الانجيل بحسب

يوحنا

أعمـق كتاب في العالم.

أ. ت. روبرتسون *A. T. Robertson*

١. المكانة الفريدة بين الأسفار القانونية

يُعلن لنا يوحنا بوضوح أن لإنجيله هذا غرضًا تبشـيريًا: «لتؤمنوا» (٢٠: ٣١). إنّ ملايين النسـخ من إنجيل يوحنا المخصّصة للجيب، والتي تمّ توزيعها خلال القرن الماضي، تشهد على أن الكنيسة نجحت، ذات مرة، في اقتفاء آثار الرسل.

يُعَدّ إنجيل يوحنا من جملة الأسفار الكتابية المحبّبة إلى قلوب المسيحيين الناضجين والأتقياء، بل قُلْ السفر المفضّل بينهـا جميعهـا على الإطلاق. فإنجيل يوحنا لا يكتفي بتقديم الحقائق المختصة بحيـاة ربنا، بل يتضمن أيضًا أحاديث طويلة، مع خواطر عميقة، بقلم رسـول يُرجَّح أنه بدأ حياته مع المسـيح في الجليل حينما كان فتى في مُقتبَل العمر، وهكذا لازمه طوال حياته حتى بعد تقدّمه في السن حينما كان معه في مقاطعة آسيا. والجدير بالذكر أن إنجيله هذا يحتوي على أشهر آية في العهد الجديد كله (٣: ١٦)، والتي رأى مارتن لوثر أنها تُعَدُّ "خلاصة الإنجيل".

ولو افترضنا أن إنجيل يوحنا كان هو السفر الوحيد في العهد الجديد، لظلّ يمدّنا بالطعام الروحي القوي وباللبن العقلي، للدراسة والتأمل، طوال حياتنا.

٢- الكاتب

ظلت مسألة تحديد شخصية كاتب الإنجيل الرابع، موضوع جدل واسع النطاق، خلال فترة المئة والخمسين سنة الماضية. وهذا يعود، بلا شك، إلى كون هذا الإنجيل يعرض شهادة واضحة للاهوت ربنا يسوع المسيح. لقد سعت هذه الهجمة لبرهان أن هذا الإنجيل لم يأتِ بواسطة شاهد عيان، بل جاء حصيلة عمل قام به "رجل فذّ متديّن" عاش بعد يوحنا بفترة تتراوح بين الخمسين والمئة عام. وعليه، يُفترض أن هذا الإنجيل ليس سوى تعبير عن رؤية الكنيسة للمسيح؛ وهكذا يخلو من كل ما يتعلق بما كان عليه الرب فعلاً، أو ما قاله، أو فعله.

لا يُذكَر في هذا الإنجيل صراحةً أنّ يوحنا هو كاتبه، إلاّ أن هناك العديد من الأسباب التي تدعونا إلى الاعتقاد أن الرسول يوحنا، وهو واحد من الاثني عشر، هو الذي كتبه فعلاً.

يروي لنا اكليمندُس الإسكندري أن بعض الأصدقاء المقرّبين من يوحنا، جاءوا إليه في أفسس، قرب نهاية حياته الطويلة، طالبين منه أن يكتب إنجيلاً لتكميل الأناجيل المتشابهة. وهكذا، تمكّن يوحنا، تحت تأثير روح الله، من تدوين إنجيل روحي. وهذا لا يعني أن باقي الأناجيل كانت تُعتبر غير روحية؛ إنما السبب وراء وصف هذا الإنجيل بـ"الروحي"، على نحو خاص، يعود إلى تركيز يوحنا على كلمات المسيح وعلى ما تتضمنه الآيات من معانٍ عميقة.

البرهان الخارجي

كان ثيوفيلوس الأنطاكي *Theophilos of Antioch* هو أول كاتب معروف ذكر بالتحديد أن يوحنا هو الكاتب (نحو عام ١٧٠م). غير أنه سبق ذلك بعض الإشارات إليه، والاقتباس منه، بوصفه الإنجيل الرابع، في كتابات أغناطيوس، ويوستينوس الشهيد (على الأرجح)، وتاتيان، وضمن القانون الموراتورياني، وكذلك عند الهرطوقيّين بازيليدس *Basilides* وفلانتينوس *Valentinus*.

ويُعَدّ إيرينايوس *Irenaeus* ختام سلسلة من التلمذة المتتالية والمتصلة، تمتد من الرب يسوع نفسه إلى يوحنا، ومن يوحنا إلى بوليكاربوس، ومن بوليكاربوس إليه شخصيًا. وهذا يجتاز بنا منذ فجر المسيحية إلى قرب نهاية القرن الميلادي الثاني. وعلى هذا الأساس، نجد أن إيرينايوس يقتبس من هذا الإنجيل على نطاق واسع، على اعتبار أن الرسول يوحنا هو كاتبه، بحسب المعتقد الذي كان راسخًا في الكنيسة آنذاك. ومن إيرينايوس فصاعدًا ثمة شهادات واسعة النطاق لهذا الإنجيل، بما في ذلك شهادة كل من إكليمندُس الاسكندري وترتُليانوس.

وطول الفترة الزمنية حتى بداية القرن التاسع عشر، لم يظهر على مسرح التاريخ المسيحي مَن يرفض فكرة أن يوحنا هو كاتب هذا الإنجيل، إلاّ بدعة مبهمة المعالم تُعرف بالألوجيه *Alogi*.

أما الفقرة الختامية من الأصحاح الحادي والعشرين من هذا الإنجيل، فيرجَّح أنها كُتبت، في نهاية القرن الأول، بواسطة شيوخ الكنيسة في أفسس، لتشجيع المؤمنين على قبول إنجيل يوحنا. كذلك يعود بنا العدد ٢٤ إلى «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» الذي سبق الحديث عنه في العدد ٢٠، وفي الأصحاح الثالث عشر. ويُجمع

المفسّرون على اعتبار أن الإشارة هنا هي إلى الرسول يوحنا.

كان اللاهوتيـون الليبراليون (التحرُّريون) قد درجوا على التعليـم أن كتابة الإنجيل الرابع تعود إلى فترة متأخرة من القرن الثاني. إلاّ أنه قد تمّ العثور عام ١٩٢٠، في مصر، على جزء من الأصحاح الثامن عشر من إنجيل يوحنا (المخطوطة ٥٢، التي أظهرت الأبحاث التي تعتمد أساليب موضوعية أنها تعود إلى النصف الأول من القرن الثاني، وبأكثر تحديد إلى عام ١٢٥م تقريبًا). كما أن العثور عليها في أحد الأقاليم (وليس في الإسكندرية مثلاً)، يأتي ليؤكد صحة الرأي التقليدي القائل إن هذا السفر قد كُتب خلال الحقبة الأخيرة من القرن الأول؛ لأنه يلزم بعض الوقت لوصول المخطوطة من أفسس إلى مصر العليـا (جنوب مصـر). كما أن جزءًا آخر من الأصحاح الخامس من يوحنا، وبالتحديد مخطوطة إجرتون الثانية *Egerton Papyrus 2*، ويعود تاريخ كتابته إلى مطلع القرن الثاني، يؤكد بدوره صحة القول بأن تاريخ كتابة هذا الإنجيل يعود إلى الفترة الزمنية التي عاش فيها يوحنا.

البرهان الداخلي

في نهاية القرن التاسـع عشر، حاول الأسقف الأنجليكاني الشهير وستكوت *Westcott*، تأكيد فكرة أن يوحنا هـو كاتـب هذا الإنجيل، مستخدمًا في ذلك فكرة الدوائر المتحـدة المركز، وكل واحدة أضيق من التي سـبقتها. وباستطاعتنا تلخيص حجّته هذه على النحو التالي:

(١) كان الكاتب يهوديًا، كما يظهر بشـكل واضح من أسلوب كتابته، والألفاظ التي استعملها، بالإضافة أيضًا إلى إلمامه بكل من العادات والسمات اليهودية، ودرايته بخلفية العهد القديم.

(٢) كان يهوديًّـا عـاش في فلسـطين (١: ٢٨؛ ٢: ١، ١١؛ ٤: ٤٦؛ ١١: ١٨، ٥٤؛ ٢١: ١، ٢). فأورشـليم والهيـكل كان يعرفهما عن قـرب (٥: ٢؛ ٩: ٧؛ ١٨: ١؛ ١٩: ١٣، ١٧، ٢٠، ٤١؛ وراجع أيضًا ٢: ١٤-١٦؛ ٨: ٢٠؛ ١٠: ٢٢).

(٣) كان شـاهد عيـان للأحداث التي ذكرها. فقد احتـوى إنجيله على العديد من التفاصيل المختصة بالأماكن، والأشـخاص، والزمان، والتصرفات (٤: ٤٦؛ ٥: ١٤؛ ٦: ٥٩؛ ١٢: ٢١؛ ١٣: ١؛ ١٤: ٥، ٨؛ ١٨: ٦؛ ١٩: ٣١).

(٤) كان رسـولاً، نظـرًا لمعرفتـه الحميمـة بمجموعـة التلاميـذ المقرّبـين مـن الـرب، وأيضًـا بالرب نفسـه (٦: ١٩، ٦٠، ٦١؛ ١٢: ١٦؛ ٣: ٢٢، ٢٨؛ ١٦: ١٩).

(٥) وبما أن الكاتب يذكر، بشكل دقيق ومحدّد، أسماء التلاميذ الآخرين، مع الحرص على عدم ذكر اسمه، يُفترض أن ذلك الشخص الذي أُغفِل ذكر اسمه في ١٣: ٢٣؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٧، ٢٠ هو الرسول يوحنا.

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ ثلاثة نصوص هامة تدعّم حقيقة أن الكاتب كان شـاهد عيان لما يكتب وهي: ١: ١٤؛ ١٩: ٣٥؛ ٢١: ٢٤.

٣ـ التاريخ

يصرّح إيرينايوس بوضوح أن يوحنا كتب إنجيله من أفسس. وإذا صحّ قوله هذا، فإن عامي ٦٩ أو ٧٠م، يكونا أقدم تاريخ محتمَل لكتابة هذا الإنجيل، أي لدى وصول الرسول إلى أفسس. وبما أن يوحنا لم يتطرق بالمرة إلى ذكر خراب أورشليم، فمن المحتمل إذًا أن هذا الحدث المروع لم يكن قد حدث بعد. وبالتالي، تكون كتابة الإنجيل قد سبقته.

يميل بعض الدارسين الليبراليين إلى الاعتقاد أن الإنجيل كُتب في تاريخ باكر، قد يرجع إلى فترة ما بين ٤٥-٦٦م، نظرًا لبعض الروابط المحتملة بمخطوطات البحر الميت. وهذا ليس بالأمر المألوف، ذلك لأن المحافظين يميلون إلى التواريخ المبكرة وغير المحافظين يميلون للتواريخ المتأخرة. أمّا في هذه القضية، فإن تقاليد الكنيسة الأولى تقف إلى جانب التاريخ المتأخر.

ثمة حجج دامغة لدعم تاريخ يعود إلى فترة متأخرة من القرن الأول. فأغلب الدارسون، يُجمعون مع إيرينايوس، واكليمنضُس الاسكندري، وجيروم؛ على أن إنجيل يوحنا هو الأخير بين مجموعة الأناجيل الأربعة المكتوبة، وذلك يعود، إلى حد ما، إلى اعتماد كاتبه، حسبما يبدو، على الأناجيل الأخرى المتشابهة، ويعمل على تكميلها. أمّا السبب وراء إغفال ذكر خراب أورشليم في إنجيل يوحنا، فقد يرجع إلى أن الإنجيل قد كُتب بعد تلك الكارثة بنحو خمس عشرة أو عشرين سنة، أي بعد أن كانت قد خفّت حدّة الصدمة. كما أن إيرينايوس قد صرّح بأن يوحنا عاش خلال حُكم الإمبراطور تراجان *Trajan*، والذي بدأ ملكه في عام ٩٨. لذا، يُحتمل أن كتابة هذا الإنجيل تعود إلى تاريخ غير بعيد عن هذه الحقبة الزمنية. كذلك فإن ما يتضمنه هذا الإنجيل من إشارات إلى «اليهود»، يؤكد التاريخ اللاحق للكتابة، أي حين اشتدّ التعبير عن المقاومة اليهودية للإيمان المسيحي، وتحولت إلى اضطهاد عنيف.

ورغم عدم إمكانية تحديد تاريخ معيّن لكتابة إنجيل يوحنا، تبقى الفترة الممتدة بين عامي ٨٥، ٩٥م هي الاحتمال الأكثر ترجيحًا.

٤ـ الخلفية والمواضيع الرئيسية

يبني يوحنا إنجيله حول سبع معجزات أو «آيات»، صنعها الرب يسوع في العلن. وكل واحدة منها مصمَّمة لإظهار أن يسوع هو الله: (١) تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (٢: ٩). (٢) شفاء ابن خادم الملك (٤: ٤٦- ٥٤). (٣) شفاء مريض بركة بيت حسدا (٥: ٢- ٩). (٤) إشباع الخمسة آلاف (٦: ١- ١٤). (٥) سير يسوع على بحر الجليل لإنقاذ تلاميذه من العاصفة (٦: ١٦- ٢١). (٦) شفاء الأعمى منذ ولادته (٩: ١-٧). (٧) إقامة لعازر من الموت (١١: ١- ٤٤). تُضاف إلى هذه الآيات العلنية السبع آية ثامنة صنعها الرب يسوع، بعد القيامة، أمام تلاميذه وحدهم: آية صيد السمك المعجزي (٢١: ١-٤).

يقول تشارلز إردمَن *Charles Erdman* بأن الإنجيل الرابع قد "حث، أكثر من أي كتاب آخر، عددًا أكبر من الأشخاص على اتّباع المسيح، كما أنه ألهم من المؤمنين عددًا أكبر على خدمة الرب بإخلاص، وقدّم للدارسين

عددًا أكبر من المشكلات العسرة".

وبالإمكان الاستناد إلى هذا الإنجيل للحصول على تسلسل زمني لخدمة ربنا الأرضية. فقد يظهر لنا من الأناجيل الثلاثة الأخرى أن خدمة المسيح قد استغرقت سنة واحدة فقط. أمّا الإشارات إلى الأعياد السنوية في يوحنا، فتترك لدينا انطباعًا بأن خدمته الجهارية قد دامت نحو ثلاث سنوات. وعلى هذا الأساس، نلاحظ معًا ما يلي: العيد الأول للفصح (٢: ١٢، ١٣)؛ «عيد» (٥: ١)، ويُحتمل أنه عيد الفصح أو الفوريم؛ العيد الثاني (أو الثالث) للفصح (٦: ٤)، عيد المظال (٧: ٢)؛ عيد التجديد (١٠: ٢٢)، وعيد الفصح الأخير (١٢: ١).

كما أن يوحنا يتوخّى الدقّة في إشارته إلى الوقت والزمن. ففي حين يكتفي كُتّاب الأناجيل الثلاثة الآخرون، على وجه العموم، بالإشارة إلى الوقت بشكل تقريبي، يذكر يوحنا تفاصيل محدّدة، مثل حديثه عن الساعة السابعة (٤: ٥٢)؛ واليوم الثالث (٢: ١)؛ ويومين (١١: ٦)؛ وستة أيام (١٢: ١).

كذلك يتفرّد هذا الإنجيل بأسلوبه المميّز ولغته، ولا تشبهه فيهما إلاّ رسائل يوحنا. فالجمل قصيرة وبسيطة. إنها عبرانية في المغزى مع كونها يونانية في المبنى. وعلى وجه العموم، كلّما قصرت الجملة ازداد عمق ما تحتويه من حق. ومن جهة أخرى، فإن يوحنا يعتمد في كتابته عددًا محدودًا من العبارات يقل عن باقي الأناجيل، إلاّ أن هذه العبارات تبقى الأكثر عمقًا في معناها. فلنلاحظ قليلاً الألفاظ الهامة التالية وعدد مرات تكرارها: الآب (١١٨)، الإيمان (١٠٠)، العالم (٧٨)، المحبة (٤٥)، الشهادة ومشتقاتها (٤٧)، الحياة (٣٧) والنور (٢٤).

يشكّل ذكر العدد سبعة أو أحد مضاعفاته إحدى السمات المميزة لإنجيل يوحنا. والجدير بالذكر أن لهذا العدد ارتباطًا في كل الكتاب المقدس بمفهومي الكمال والتكميل (راجع تكوين ٢: ١ـ ٣). ففي هذا الإنجيل يقوم روح الله بتكميل إعلان الله عن ذاته في شخص يسوع المسيح؛ لذا تتكرر فيه الأنماط المبنية على العدد سبعة.

إن العبارات السبع «أنا هو...» في إنجيل يوحنا، هي مألوفة جدًا: «خبز الحياة» (٦: ٣٥، ٤١، ٤٨، ٥١)؛ «نور العالم» (٨: ١٢؛ ٩: ٥)؛ «الباب» (١٠: ٧، ٩)؛ «الراعي الصالح» (١٠: ١١، ١٤)؛ «القيامة والحياة» (١١: ٢٥)؛ «الطريق والحق والحياة» (١٤: ٦)؛ وأخيرًا «الكرمة» (١٥: ١ـ ٥). وبالمقابل، ثمة سبع عبارات أخرى «أنا هو»، أوردها إنجيل يوحنا في سياق كلامه مجرّدةً دون قيودٍ تحدّدها — وإن كان بعضها قلّما يحظى بالانتباه — وذلك في: ٤: ٢٦؛ ٦: ٢٠؛ ٨: ٢٤، ٢٨، ٥٨؛ ١٣: ١٩؛ ١٨: ٥، ٨. وبإمكاننا اعتبار الشاهدين الأخيرين يشيران إلى الحادثة نفسها.

وفي الأصحاح السادس، والذي يتحدث عن خبز الحياة، فإن العبارة اليونانية المترجمة إلى «خبز» أو «أرغفة»، قد تكررت واحدةً وعشرين مرة، أي مضاعف الرقم سبعة. كذلك فقد كرّر المسيح في حديثه هذا عن خبز الحياة، العبارتين «خبز من السماء» و«النازل من السماء» سبع مرات.

كان قصد يوحنا من الكتابة، كما ذكرنا من قبل، هو حمل قرّائه على الإيمان «أن يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون (لهم) إذا (آمنوا) حياة باسمه» (٢٠: ٣١).

التقسيم

١ـ المقدمة: ابن الله في مجيئه الأول (١: ١ـ ١٨).

٢ـ ابن الله في السنة الأولى من خدمته (١: ١٩ — ٤: ٥٤).

٣ـ ابن الله في السنة الثانية من خدمته (أص ٥).

٤ـ ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: الجليل (أص ٦).

٥ـ ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: أورشليم (٧: ١ — ١٠: ٣٩).

٦ـ ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: بيرية (١٠: ٤٠ — ١١: ٥٧).

٧ـ ابن الله في خدمته لخاصته (أص ١٢ـ ١٧).

٨ـ ابن الله في آلامه وموته (أص ١٨، ١٩).

٩ـ ابن الله في انتصاره (أص ٢٠).

١٠ـ الخاتمة: ابن الله مع خاصّته بعد قيامته (أص٢١)

التفسير

١ـ المقدمة: ابن الله في مجيئه الأول (١:١-١٨)

يبدأ يوحنا إنجيله بالحديث عن الكلمة؛ إلاّ أنه لا يشرح لأول وهلة من هو هذا الكلمة (أو ما هو). فالكلمة، كفي مفهومنا، هي وحدة لفظية بها نعبّر للآخرين عن أنفسنا. ولكن يوحنا لا يكتب عن "ألفاظ"، بل بالحري عن "شخص". وهذا الشخص هو الرب يسوع المسيح، ابن الله. فالله قد عبّر عن ذاته للبشرية، تعبيرًا كاملاً، في شخص الرب يسوع المسيح. وهكذا فإن المسيح بمجيئه إلى العالم، أعلن لنا من هو الله بالتمام. كما أنه بموته لأجلنا على الصليب، نقل إلينا مقدار محبة الله لنا. إذًا، فالمسيح هو كلمة الله الحي للإنسان، والتعبير عن أفكار الله.

أ. الكلمة في الأزل وفي الزمان (١: ١ـ ٥)

١ : ١ في البدء كان الكلمة. لم يكن له هو نفسه أية بداية، بل هو موجود منذ الأزل. فالرب يسوع كان هناك، مهما بدت سحيقة جدًا الحقبة الزمنية التي باستطاعة الذهن البشري الرجوع إليها. فهو لم يُخلَق قطّ، كما أن لا بداءة له (ولذلك ليس من المناسب أن تُدرج ضمن

إنجيل ابن الله أية سلسلة نسب). **والكلمة كان عند الله.** كانت له شخصيّة، أو أُقنوميّة خاصّة ومُميّزة. فلم يكن مُجرّد فكرة أو خاطرة، ولا مِثالاً غامضًا من نوع ما، بل كان شخصًا حقيقيًّا. **كان عند الله. وكان الكلمة الله.** فهو لم يسكن **عند الله** وحسب، بل كان هو نفسه الله. يعلّم الكتاب المقدس بوجود إله واحد وثلاثة أقانيم في اللاهوت: الآب والابن والروح القدس. فكُلّ من هذه الأقانيم الثلاثة هو الله؛ والله هو كُلُّها. وفي هذه الآية إشارة إلى أقنومين من جملة أقانيم اللاهوت الثلاثة: الله الآب، والله الابن. ويطالعنا هنا الإعلان الأول من جملة عدة إعلانات أخرى واضحة في هذا الإنجيل بأنّ يسوع المسيح هو الله. لذلك لا يكفي القول إنه كان "إلهًا"، ولا إنه كان "على شبه الله"، ولا الزعم بأنّه يحمل سمات إلهية. فالكتاب المقدس يعلّم عنه صراحة بأنه **الله.**

١: ٢ قد يبدو العدد الثاني مجرّد تكرار لمضمون العدد السابق، لكنه ليس كذلك في الواقع؛ فهذا العدد يعلّم أنّ شخصية المسيح وألوهيته كانتا من دون بداية أو بدء. فهو لم يصبح شخصًا أوّل مرّة بولادته طفلاً في بيت لحم، ولا هو أمسى إلهًا على أثر قيامته، كما يزعم اليوم بعض المعلمين؛ إنما هو الله منذ الأزل.

١: ٣ كل شيء به كان. فهو نفسه لم يكن كائنًا مخلوقًا بل كان خالق **كل شيء**، بما في ذلك الجنس البشري، والحيوانات، وكواكب السماء، والملائكة، كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى. **وبغيره لم يكن شيء ممّا كان.** ولا مجال هنا البتة لأية استثناءات محتملة. **فكل شيء** مخلوق، قام الرب بخلقه. وبصفته الخالق، فهو، بلا شك، أسمى مقامًا من أي شيء صنعه. كما أن الأقانيم الثلاثة في اللاهوت، شاركت جميعها في عملية الخلق هذه: «الله خلق السماوات والأرض» (تك ١: ١). وكان «روح الله يرفّ على وجه المياه» (تك ١: ٢) «الكل به (بالمسيح) وله قد خُلق» (كو ١: ١٦).

١: ٤ فيه كانت الحياة. وهذا لا يعني أنه كان مجرد كائن حي، بل إنما التركيز هو على أنه كان، وما زال، مصدر الحياة. والإشارة هنا هي إلى الحياة على كل من الصعيدين المادي والروحي. فنحن، لدى ولادتنا، حصلنا على الحياة المادية، لكننا نحصل على الحياة الروحية، عندما نولد ثانية؛ والمسيح هو مصدر هاتين الحياتين كلتيهما.

والحياة كانت نور الناس. فالرب الذي وهبنا بالحياة، هو نفسه أيضًا نور الناس، إنه يضمن للإنسان ما يحتاج إليه من قيادة وإرشاد. فشتّان بين مجرّد الوجود على قيد الحياة والتعرّف بسبل الحياة، وبالهدف الحقيقي للحياة، وبالطريق إلى السماء. لذا نجد أن الرب الذي منحنا الحياة، هو نفسه الذي يُنير خطواتنا في سيرنا.

يذكر هذا الأصحاح التمهيدي من إنجيل يوحنا سبعة ألقاب رائعة لربنا يسوع المسح. فهو يُدعى: ١- الكلمة (ع١، ١٤)؛ ٢- النور (ع٥، ٧)؛ ٣- حمل الله (ع٢٩، ٣٦)؛ ٤- ابن الله (ع٣٤، ٣٩)؛ ٥- المسيح (مسيّا) (ع٤١)؛ ٦- ملك إسرائيل (ع٤٩)؛ ٧- ابن الإنسان (ع٥١). والجدير بالذكر أن الألقاب الأربعة الأُولى، والتي أُورد الرسول كلاًّ منها مرتين على الأقل، كان لها، على ما يبدو، طابع عام وشامل. أمّا الألقاب الثلاثة الأخيرة، والمذكورة مرة واحدة فقط، فإنها تنطبق أولاً على إسرائيل، أو شعب الله في القديم.

١ : ٥ والنور يضئ في الظلمة. إنّ أذهان الناس قد أظلمت بسبب دخول الخطية. وهكذا بات العالم يتخبّط في **ظلمة**، بمعنى أن الناس لم يعودوا، بشكل عام، يعرفون الله، ولا يرغبون في التعرف به. وإلى هذه الظلمة جاء الرب يسوع، فبات **النور** المضيء في موضع مظلم.

والظلمة لم تدركه. وقد يعني هذا أن الظلمة لم تفهم الرب يسوع عندما وافى عالمنا. فالناس لم يدركوا هويته على حقيقتها، ولا السبب وراء مجيئه. أوردت إحدى الترجمات في حاشيتها معنى آخر لهذه العبارة: **والظلمة لم تغلبه.** والفكرة، في هذه الحال، هي أن رفض الإنسان وعداءه، لم ينجحا في منع النور الحقيقي من الإضاءة.

ب. *خدمة يوحنا المعمدان* (١: ٦-٨)

يشير العدد ٦ إلى يوحنا المعمدان، لا إلى يوحنا كاتب هذا الإنجيل. **ويوحنا** المعمدان هذا هو **مُرسل من الله** لإعداد طريق الرب يسوع. فمهمته كانت إعلان مجيء المسيح، وتنبيه الناس إلى ضرورة الاستعداد لقبوله.

١ : ٧ هذا جاء ليشهد لحقيقة أن يسوع كان حقًّا نور العالم، حتى يتمكّن **كل** الناس من الإيمان به.

١ : ٨ كان يوحنا سيُظهر عدم أمانة للمهمة المعهودة إليه لو حاول جذب الانتباه إلى نفسه. لكنه وجّه أنظار الناس إلى يسوع، لا إليه هو شخصيًا.

ج. *ابن الله في مجيئه الأول* (١: ٩-١٨)

١ : ٩ كان النور الحقيقي. لقد ادّعى أشخاص كثيرون، عبر العصور، بأنهم مرشِدون ومخلِّصون. لكنّ الرب الذي شهد له يوحنا، كان **النور الحقيقي**، النور الأفضل والأصدق. وبحسب إحدى الترجمات، ورد هذا العدد على الشكل التالي: "النور الحقيقي الذي في مجيئه إلى العالم، ينير كل إنسان". فكل إنسان ينال النور بفضل **مجيء النور الحقيقي... إلى العالم**. ومن جهة أخرى، لا يعني هذا أن كل إنسان قد حصل على شكل من أشكال المعرفة الداخلية عن بالمسيح. كما أنه لا يشير إلى سماع جميع الناس عن الرب يسوع، في وقت من الأوقات. لكن المعنى المقصود هنا هو أن **النور** يضيء على الناس أجمعين، وذلك بصرف النظر عن جنسياتهم، أو أعراقهم، أو ألوان بشرتهم. كما أن الرب يسوع بإشراقه على كل الناس يكشف حقيقتهم. فبمجيء الرب إلى العالم، بصفته الإنسان الكامل، أظهر مدى قصور الناس عن بلوغ مستوى الكمال الرفيع هذا. فعندما يخيّم الظلام الدامس على إحدى الغرف، لا تستطيع رؤية الغبار على الأثاث فيها، لكنك سترى حقيقة الغرفة حينما يشعّ النور فيها. وبطريقة مماثلة، فإن إشراق **النور الحقيقي**، يعمل على إعلان حقيقة أمر كل إنسان.

١ : ١٠ كان الرب يسوع، منذ ولادته في بيت لحم إلى يوم رجوعه إلى السماء، **في العالم** نفسه الذي نعيش نحن فيه الآن. فهو المسؤول عن خلق هذا العالم بأسره، كما أنه هو المالك الشرعيّ له. لكن الناس حسبوه مجرّد إنسان نظيرهم، عوضًا عن الاعتراف به بوصفه الخالق العظيم. وهكذا عاملوه كغريب منبوذ.

١ : ١١ إلى خاصته (إلى الأشياء التي تخصه أو إلى موضع نفوذه وسلطانه، بحسب حاشية إحدى الترجمات)، **جاء**. لم يتعدّ أملاك شخص آخر، بل عاش على كوكب من صُنعه هو. **وخاصته** (أي شعبه) **لم تقبله**. الإشارة هنا، بشكل عام، قد تكون إلى البشرية جمعاء، وهذا صحيح، بما أن الناس في غالبيتهم قد رفضوا الرب؛ لكن الأمّة اليهودية كانت،

على وجه التحديد، هي الشعب الخاصّ الذي اختاره الله قديمًا شعبًا أرضيًّا له. فالرب، في مجيئه إلى العالم، قدّم نفسه إلى اليهود بصفته المسيّا المنتظر، غير أنهم لم يقبلوه.

١: ١٢ لذا فإنه الآن يقدّم نفسه مجدَّدًا للبشرية جمعاء، مانحًا كل الذين قبلوه، سلطانًا أو حقًا أن يصيروا أولاد الله.

يرسم لنا هذا العدد، بكل وضوح، السبيل لصيرورتنا أولاد الله. فهذا لا يتم من طريق الأعمال الصالحة، ولا الانتماء إلى كنيسة ما، ولا ببذلنا قصارى جهدنا. إنما يحصل بقبولنا الرب والإيمان باسمه.

١: ١٣ على المرء أن يولد قبل أن يصبح إنسانًا بمعنى الكلمة. هكذا أيضًا يحتاج كل منا إلى ولادة ثانية لكي يصبح واحدًا من أولاد الله. ويُعرف هذا بالولادة الجديدة، أو الاهتداء، أو اختبار الخلاص. يذكر لنا هذا العدد ثلاث طرق، لا تحدث بها الولادة الجديدة، والطريقة الوحيدة التي تحدث بها. أولاً، الطرق الثلاث التي لا تقودنا إلى الولادة الجديدة: **ليس من دم**. وهذا يعني أن الإنسان لا يصبح مسيحيًا لمجرّد أنه وُلد في عائلة مسيحية؛ فالخلاص لا ينتقل من الوالدين إلى الطفل عبر مجرى الدم. **ولا من مشيئة جسد**. وبمعنى آخر أن الإنسان لا يملك في جسده القوة اللازمة أو القدرة على إحداث الولادة الثانية. فصحيح أنه يحتاج للرغبة في نوال الخلاص، إلاّ إن هذه الرغبة أو **المشيئة** الذاتية، غير كافية لتخليصه. **ولا من مشيئة رجل**، فما من إنسان آخر يقدر أن يخلّص أخاه الإنسان. فأحد الوعّاظ مثلاً، قد يكون مهتمًا كثيرًا برؤية أحدهم يُقبل إلى الرب ويُولَد من جديد، لكنه يبقى عاجزًا عن إحداث هذه الولادة المدهشة. إذًا، كيف تحدث هذه الولادة؟ إن الجواب عن هذا السؤال الهام والمصيري يكمن في العبارة **بل من الله**. وهذا يعني ببساطة أن القدرة على إحداث الولادة الجديدة لا تعتمد على أي شيء أو أي شخص، بل على الله وحده.

١: ١٤ والكلمة صار جسدًا عندما وُلد يسوع في مذود بيت لحم. لقد كان دائمًا وأبدًا موجودًا بصفته ابن الله مع الآب في السماء، غير أنه اختار الآن أن يأتي إلى العالم في جسم بشري. لقد حلّ بيننا. فالأمر لا يتعلّق بظهور له قصير الأمد، ووليد خطإٍ ما أو سوء فهم؛ بل إنّ الله جاء فعلاً إلى أرضنا هذه، وعاش هنا بوصفه الإنسان الكامل بين الناس. والفعل حلّ، يعني "سكن" أو "نصب خيمته". فجسده كان بمثابة الخيمة التي عاش فيها بين الناس، وذلك على مدى ثلاث وثلاثين سنة.

ورأينا مجده. غالبًا ما يشير لفظ "المجد" في الكتاب المقدس إلى النور الساطع واللامع الذي يرافق استعلان الله وحضوره في مكان ما. كما أنه يعني أيضًا كمال اللاهوت وسموّه. لقد حجب الرب يسوع، خلال وجوده على الأرض، مجده في جسد بشريّ. ومع هذا، فقد ظهر مجده، في جانبين. الأول: مجده الأدبي، بمعنى بهاء حياته الكاملة وسجاياه الفائقة. لم يكن فيه أي نقص أو عيب، بل كان كاملاً في كل طرقه. ومن جهة أخرى، ظهرت في حياته جميع أنواع الفضائل، في توزان رائع وبديع. ثم أعلن الرب مجده بشكل منظور، على جبل التجلّي (مت١٧: ١، ٢)، حيث تمكّن بطرس ويعقوب ويوحنا من رؤية وجه الرب وهو يضيء كالشمس وثيابه تلمع كالنور الساطع. لقد حصل هؤلاء التلاميذ الثلاثة على لمحة مسبقة عن بهاء الرب يسوع عند عودته إلى الأرض لكي يملك عليها ألف سنة.

ويوحنا بقوله: «ورأينا مجده»، كان يشير بشكل أساسي، ولا شك، إلى مجد الرب يسوع الأدبي. لقد كان له، مع سائر التلاميذ، امتياز الاندهاش برؤية هذه الحياة الكاملة في المطلق، تُعاش هنا على هذه الأرض. لكن من المحتمل أن يوحنا كان يقصد أيضًا الحدث على جبل التجلّي. وهذا المجد الذي رآه التلاميذ، أكّد لهم أنّ الربّ يسوع كان بالحق ابن الله. فيسوع هو الوحيد من الآب، أي أن المسيح هو ابن الله الوحيد. وهكذا لم يكن لدى الله أي ابن آخر نظيره. فكل المؤمنين المخلّصين هم، بمعنى من المعاني، أبناء الله؛ أمّا يسوع فهو الابن، ابن الله، في مركز يخصّه وحده. وما دام ابن الله فهو أيضًا مساوٍ لله.

كان المخلِّص مملوءًا نعمة وحقًّا. فمن جهة، كان مملوءًا ألطافًا يظهرها لأناس لا يستحقونها. ومن جهة أخرى، كان الكمال عينه في إخلاصه واستقامته، حتى إنه لم يكن ليسمح بأية أعذار للخطية، أو يوافق على الشر. فالله وحده قادر أن يكون منعمًا بالتمام وبارًّا بالتمام في آن واحد.

١: ١٥ شهد يوحنا المعمدان ليسوع أنه ابن الله. فيوحنا كان يخبر الناس عن الرب، وذلك قبل أن بدأ الربُّ خدمته الجهارية. وعندما ظهر يسوع على مسرح الأحداث، قال يوحنا ما معناه: "هذا هو الشخص الذي طالما وصفتُه لكم". لقد جاء يسوع بعد يوحنا، في ما يتعلق بولادته وخدمته. لقد وُلد بعد يوحنا بستة أشهر، كما أنه قدّم نفسه إلى الشعب في القديم بعد مرور فترة من الزمن على كرازة يوحنا ومعموديته. ومع هذا، فإن يسوع صار قدام يوحنا. لقد كان أعظم من يوحنا، وأهلاً لكرامة أكثر منه، وذلك ببساطة لأنه كان قبل يوحنا. فيسوع هو ابن الله، الكائن منذ الأزل.

١: ١٦ جميع الذين يؤمنون بالرب يسوع يحصلون من ملئه على فيض القوة الروحية. وملؤه هذا عظيم جدًّا، ويؤهله لسد احتياجات جميع المؤمنين في كل البلدان وفي كل العصور. أمّا العبارة ونعمة فوق نعمة فتعني أيضًا "النعمة الفياضة". والنعمة هنا معناها رضى الله السخيّ على أولاده المحبوبين، وبركاته التي يغدقها عليهم.

١: ١٧ هنا يفارق يوحنا بين كل من حقبتي العهدين القديم والجديد. فالناموس الذي بموسى أُعطي لم يكن مَعْرَضًا للنعمة؛ بل إنّه أمر الناس بالطاعة، وحكم عليهم بالموت لإخفاقهم في ذلك. لقد أعلم الناس بما هو حق، بدون مدّهم بالقوة اللازمة للعمل بموجب هذا الحق. وهكذا أُعطي الناموس لكي يعرف الناس أنهم خطاة، لكنه كان عاجزًا عن تخليصهم من خطاياهم. أمّا النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا. فالرب لم يأتِ ليدين العالم، بل لخلاص غير المستحقين، والعاجزين عن تخليص أنفسهم بأنفسهم، والذين كانوا أعداءه. إنها النعمة التي تقدِّم أفضل ما في السماء لأردإ من على الأرض.

ويسوع المسيح ليس مصدر النعمة وحسب، بل مصدر الحق أيضًا. وهو القائل عن نفسه: «أنا هو... الحق». كان أمينًا ومستقيمًا، في المطلق، في كل كلماته وأعماله. لذا، لم يُظهِر النعمة على حساب الحق. وإذ كان يحب الخطاة، لم يكن ليحب خطاياهم. وإدراكًا منه أن أجرة الخطية هي موت، مات بنفسه ليدفع عقاب خطايانا المُحق، وهكذا يُنعم علينا بلطفه إذ يخلّص نفوسنا، ويعطينا منازل في السماء.

١: ١٨ الله لم يره أحد قط. الله روح، وبالتالي لا يُرى. فهو ليس له جسد. لقد ظهر حقًا لبعض الناس في العهد القديم، بشكل ملاك أو إنسان، إلاّ إن هذه الظهورات لا تعلن لنا حقيقة شخصية الله. كما أنها كانت ذات طابع موقّت، وقد اختارها الله للتحدُّث إلى شعبه. أمّا الرب يسوع المسيح **فهو ابن الله الوحيد**، وما من ابن آخر نظيره. إنه دائمًا قريب من الله الآب قُربًا مميّزًا، وله مكانة خاصة عنده. كما أنّه كان، وما زال، **في حضن الآب**، حتى خلال وجوده هنا على الأرض. كان واحدًا مع الله ومساويًا لله. وهذا الكائن الإلهي المبارك أعلن سجايا الله المجيدة للناس. فلما رأى الناس يسوع، كانوا بذلك قد رأوا الله أيضًا، وسمعوه يتكلم، وشعروا بمحبته وحنانه. فالمسيح أعلن بالتمام أفكار الله وموقفه من نحو بني البشر.

٢ـ ابن الله في السنة الأولى من خدمته (١: ١٩ – ٤: ٥٤)

أ ـ شهادة يوحنا المعمدان (١: ١٩ـ ٣٤)

١: ١٩ عندما بلغت **أورشليم** أنباء مفادها أن رجلاً اسمه **يوحنا** كان يحثّ الأمة على التوبة قبل قدوم المخلّص، **أرسل اليهود** بعثة من **الكهنة واللاويين** لاكتشاف هوية هذا الشخص. **والكهنة** كانوا أولئك الذين يقومون بالخدمات الهامة في الهيكل، فيما كان **اللاويون** يُعنَون بالواجبات العامة فيه. لقد جاء هؤلاء يسألونه: «**من أنت؟**»، "هل أنت المسيّا الذي طالما انتظرناه؟".

١: ٢٠ كان بإمكان بعض الرجال الآخرين اغتنام هذه الفرصة لاكتساب الشهرة، بادعائهم أنهم المسيح. لكن يوحنا كان شاهدًا أمينًا. لذا صرّح بالقول إنه ليس هو المسيح (المسيّا).

١: ٢١، ٢٢ كان اليهود يتوقّعون رجوع إيليا إلى الأرض قبل مجيء المسيح (ملا٤: ٥). لذا، وبعد إنكار يوحنا أنه المسيّا، فقد رجّحوا أنه إيليا. إلاّ أن يوحنا أكّد لهم أنه لم يكن إيليا. ومن جهة أخرى، سبق لموسى أن صرّح في تثنية ١٨: ١٥ بما يلي: «يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من اخوتك مثلي له تسمعون». لذا، تذكّر اليهود هذه النبوة ظانين أن يوحنا قد يكون ذلك النبي الذي أتى موسى على ذكره. لكن يوحنا عاد لينكر ذلك. وبما أن عودة البعثة إلى أورشليم من دون أي جواب واضح، كان يشكّل لها حرجًا، جاؤوا يسألون يوحنا التصريح بهويته.

١: ٢٣ «**قال: أنا صوت صارخ في البرية**». وبذلك يكون المعمدان قد اقتبس في إجابته الآية الواردة في إشعياء ٤٠: ٣، حيث النبوة عن الشخص الذي سيظهر لإعداد الطريق أمام المسيح الآتي. وبتعبير آخر، لقد صرّح يوحنا بأنه كان ذلك الشخص موضوع النبوة. كان هو **الصوت**، وبنو إسرائيل **البرية**. فالشعب، بسبب خطيتهم، وابتعادهم عن الله، اصبحوا يُعانون الجدوبة والعُقم، كما هو حال الصحراء. تكلم يوحنا تكلم عن نفسه، ببساطة، بصفته **صوتًا**. لم يقدِّم نفسه كرجل عظيم يستحق الثناء ويثير الإعجاب، بل **كصوت**، لا يُرى بل يُسمع فقط. كان يوحنا الصوت، أمّا يسوع فكان الكلمة. والكلمة يحتاج إلى صوت يعرَّف به، كما أن الصوت يفقد أية قيمة من دون الكلمة. ويبقى الكلمة أعظم بما لا يُقاس من الصوت. لذا فإنه امتياز مجيد لنا نحن أن نكون بمثابة صوت له.

كانت رسالة يوحنا: «**قوّموا طريق الرب**». وبكلمة أخرى، "إن المسيّا قادم. لذا انزعوا من حياتكم كل ما يعيقكم عن قبوله. فتوبوا عن خطاياكم حتى يتسنى له أن يأتي ويملك عليكم بصفته ملك إسرائيل".

١: ٢٤، ٢٥ كان الفريسيون يشكّلون طائفة من اليهود المتزمّتين والمتباهين بمعرفتهم الكبيرة بالناموس وبمجوداتهم للعمل بموجب تعليمات العهد القديم في أدقّ تفاصيلها. وفي الواقع، كان العديد منهم من المرائين الذين حاولوا الظهور بمظهر ديني، إلاّ أنهم كانوا يعيشون حيوات خاطئة جدًّا. كانوا يريدون أن يعرفوا بأي سلطان كان يوحنا يعمّد، ولا سيما بعد إنكاره أمامهم أنه أحد الأشخاص المهمّين الذين ذكروهم له.

١: ٢٦، ٢٧ أجابهم يوحنا قائلاً: «**أنا أعمّد بماء**». لم يكن يرغب في أن يظن فيه أحد أنه شخصية هامة. فمهمته، بكل بساطة، كانت تقتصر على إعداد الناس للمسيح. وكلّما كان سامعوه يتوبون عن خطاياهم، كان يعمّدهم بالماء، كرمز خارجي للتغيير الذي حصل في دواخلهم. ثم أردف يوحنا يقول، بالإشارة طبعًا إلى يسوع: «**ولكن في وسطكم قائم الذي لستم تعرفونه**». ذلك لأن الفريسيين فاتهم إدراك أن يسوع هو المسيح الذي طالما انتظروه. وكأن يوحنا كان يخاطب الفريسيين بالقول: "لا تفتكروا فيّ أني رجل عظيم. فالذي يجب أن تعيروه انتباهكم هو الرب يسوع؛ لكنكم **لا تعرفونه** على حقيقته". فالرب هو الجدير بالإكرام. لقد جاء بعد يوحنا المعمدان، إلاّ أنه يتفوق عليه، وهو أهلٌ لكل الثناء. وكان من واجب العبد أو الخادم أن يحلّ سيور حذاء سيده. لكن يوحنا لم يحسب نفسه **أهلاً** للقيام بهذه الخدمة الحقيرة للمسيح.

١: ٢٨ إن الموقع الصحيح **لبيت عبرة** (أو بيت عنيا، كما أوردت إحدى الترجمات) ما يزال مجهولاً. غير أننا نعرف أن هذا المكان يقع عند الناحية الشرقية من نهر **الأردن**. وإذا قَبِلنا الاحتمال الآخر، بيت عنيا، فمن غير الممكن أن تكون الإشارة هنا إلى بيت عنيا القريبة من أورشليم.

١: ٢٩ وفي الغد، بعد زيارة الفريسيين القادمين من أورشليم، **نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه**. فملأه هذا الأمر غبطة فائقة، حتى هتف بأعلى صوته: «**هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم**». كان الحَمَل، في نظر اليهود، من الحيوانات المخصّصة للذبائح. ففي القديم علّم الله شعبه المختار ضرورة ذبح حمل، ثم رشّ دمه للتكفير. وكان هذا الحمل يُذبح كبديل، وبالتالي يُسفك دمه لمغفرة الخطايا.

غير أن الحملان المسفوك دمها في العهد القديم لم ترفع الخطية، فتلك الحملان كانت نماذج أو أمثلة تشير إلى حقيقة أن الله سوف يدبّر، في يوم من الأيام، **حملاً** سيقدر فعلاً على رفع الخطية. وهكذا ظلّ اليهود الأتقياء، على مرّ السنين، ينتظرون قدوم هذا **الحمل**. والآن، لمّا حان الوقت أخيرًا، جاء يوحنا المعمدان يعلن بانتصار مجيء **حمل الله** الحقيقي.

ويوحنا، بقوله إن يسوع **يرفع خطية العالم**، لم يكن يعني بذلك أن خطايا كل إنسان قد أصبحت مغفورة تلقائيًا. فموت المسيح، كان له قيمة عظيمة وكافيه لدفع أجرة خطايا **العالم** بأسره. إلاّ أنه لا ينال الغفران إلاّ أولئك الخطاة الذين يقبلون الرب يسوع مخلصًا.

يشير ج.س. جونس *J. C. Jones* إلى أن هذا العدد يبسط أمامنا سموّ الفداء المسيحي:

١ـ أنه يسمو من ناحية طبيعة الذبيحة. فاليهودية كانت تستعين بحملان غير عاقلة، أمّا الذبيحة في المسيحية فهي حمل الله.

٢ـ أنه يسمو من جهة فعالية العمل. فالذبائح في اليهودية، كان فيها كل سنة ذكر خطايا،

أمّا الذبيحة في المسيحية فقد رُفعت الخطية. «ولكنه الآن قد أُظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه».

٣ـ أنه يسمو من جهة مدى تأثيره. فالذبائح في ظل اليهودية كانت تنتفع منها أمّة واحدة فقط، أمّا الذبيحة في المسيحية فهي لفائدة جميع الأمم. إنها ترفع «خطية العالم».

١: ٣٠، ٣١ لم يكن يوحنا ليكلّ أو يملّ من تذكيره الشعب بأنه إنّما كان يعدّ الطريق أمام شخص أعظم منه سيأتي؛ فيسوع كان أعظم من يوحنا على قدر ما يسمو الله في عظمته على الإنسان. ويوحنا وُلد قبل يسوع بعدة أشهر، بينما يسوع كان موجودًا منذ الأزل. وعندما يقول يوحنا: «**وأنا لم أكن اعرفه**»، فلا يعني ذلك بالضرورة أنه لم يسبق له أن رآه من قبل.

يُرجَّح أنّ علاقة حميمة كانت تربط بين يوحنا ويسوع، وذلك بسبب صلة القربى. إلاّ أن يوحنا ما كان ليتحقق من أن قريبه هو المسيّا إلاّ في ساعة معموديته. فمهمّة يوحنا كانت تقتضي إعداد طريق الرب، ومن ثم إرشاد الشعب إليه لدى ظهوره. ولأجل هذا، راح يوحنا يعمّد الشعب بالماء. فهدفه كان إعداد طريق الرب، وليس جذب تلاميذ إليه.

١: ٣١ الإشارة هنا هي إلى ما حدث عندما تعمّد الربّ يسوع في الأردن على يد يوحنا. فبعدما خرج الربُّ من الماء **نزل الروح القدس مثل حمامة... فاستقرّ عليه** (قارن متى ٣: ١٦). ومن ثمّ يواصل كاتبُ الإنجيل حديثه لتفصيل معنى ذلك.

١: ٣٣ كان الله قد أعلن ليوحنا عن قدوم المسيا، وأنه متى حضر، سوف **ينزل الروح ويستقر عليه**. لذا وعلى أثر حصول هذا مع يسوع، تحقّق يوحنا أنه كان الشخص الذي سيعمّد **بالروح القدس**. **والروح القدس** هو شخص إلهي، إذ إنّه أحد الأقانيم الثلاثة في اللاهوت، وهو مساوٍ لله الآب والله الابن.

بينما كان يوحنا يعمّد بالماء، كان يسوعُ سوف **يعمّد بالروح القدس**. وفي الواقع أن المعمودية **بالروح القدس** حصلت يوم الخمسين (أع١: ٥؛ ٢: ٤، ٣٨). فإذ ذاك نزل الروح القدس من السماء ليسكن في جسد كل مؤمن، وليجعل كل مؤمن أيضًا عضوًا في جسد المسيح الذي هو الكنيسة (١كو١٢: ١٣).

١: ٣٤ وهكذا شهد يوحنا، في ضوء ما رأى خلال معمودية يسوع، لحقيقة كون يسوع الناصري هو **ابن الله** الذي سبق للنبوات أن تحدّثت عن مجيئه إلى العالم. وعندما صرّح يوحنا بأن يسوع هو **ابن الله**، فقد عنى بذلك أنه هو الله الابن.

ب. *دعوة أندراوس ويوحنا وبطرس* (١: ٣٥ـ٤٢)

١: ٣٥، ٣٦ وفي الغد: عبارة تشير هنا إلى اليوم الثالث بعد مجيء اليهود لمقابلة يوحنا. كان **يوحنا مع اثنين من** تلاميذه. كان هذان الرجلان قد سمعا كرازة يوحنا، وآمنا بكلامه. لكنهما لم يكونا، حتى ذلك الوقت، قد قابلا الرب يسوع. والآن شهد يوحنا جهارًا للرب يسوع. فبالأمس، كان قد تحدّث عن شخصه (حمل الله)، وعن عمله (الذي يرفع خطية العالم). وها هو اليوم يكتفي بجذب الانتباه إلى شخص الرب فقط. وهكذا جاءت رسالته مقتضبة، وبسيطة، وخالية من كل أنانية لكونها منصبّة بالتمام على شخص المخلّص.

١ : ٣٧ إن أمانة يوحنا في الكرازة، جعلته يخسر **تلميذين**، لكنه سُرّ برؤيتهما يتبعان **يسوع**. وهكذا يجدر بنا أن نهتم بأن يتبع أصدقاؤنا الرب أكثر من اهتمامنا بأن يكنّوا لنا كل احترام واعتبار.

١ : ٣٨ يهتم المخلّص دائمًا بأولئك الذين يتبعونه. وهنا عبّر عن اهتمامه هذا عندما التفت إلى التلميذين ليسألهما: «**ماذا تطلبان؟**». لقد كان يعرف الجواب عن هذا السؤال، فهو العليم بكل شيء. لكنه أراد أن يُفصحا عن رغبتهما. أمّا ردّهما، «**ربي... أين تمكث؟**»، فيُظهر نيّتهما المكوث مع الرب حتى يتسنّى لهما التعرّف به أكثر. ما كانا ليكتفيا بمجرّد مقابلته، بل كانا توّاقين للشركة معه. واللفظة **ربي** (رابّي) معناها في اللغة العبرانية **معلّم** (وحرفيًّا "الشخص العظيم القدر").

١ : ٣٩ **فقال لهما**: «**تعاليا وانظرا**» فالمخلّص لا يردّ خائبًا أي شخص يرغب بصدقٍ في التعرف به أكثر. وهكذا دعا يسوع هذين الرجلين إلى زيارته في مكان سكنه في ذلك الوقت، والذي يُرجّح أنه كان وضيعًا جدًّا بالمقارنة مع بيوتنا العصرية.

فأتيا ونظرا أين كان يمكث، ومكثا عنده ذلك اليوم. وكان نحو الساعة العاشرة. لم يسبق لهذين الرجلين أن حصلا قط على شرف رفيع كهذا. لقد باتا ليلتهما في البيت نفسه مع خالق الكون العظيم. كما أنهما كانا بين السبّاقين في الأمّة اليهودية للتعرّف بالمسيّا.

وتشير **الساعة العاشرة** إمّا إلى العاشرة قبل الظهر وإمّا إلى الرابعة بعد الظهر. إلاّ أن التوقيت الأول، والذي يتبع التقويم الروماني، هو الأرجح.

١ : ٤٠ **أندراوس كان واحدًا من الاثنين**. وفي أيامنا، أندراوس أقلّ شُهرةً من أخيه **سمعان بطرس**. لكن الجدير بالذكر أنه كان أول من قابل يسوع بينهما.

لا يُذكر اسم الشخص الآخر، غير أن علماء الكتاب المقدس يُجمعون، في غالبيتهم، على أنه كان يوحنا، أي كاتب هذا الإنجيل. وحجتهم في ذلك هو أن تواضع يوحنا هو الذي حال دون ذكر اسمه.

١ : ٤١ بعد أن يجد أحد الأشخاص يسوع، فإنه عادةً يريد لأقربائه أن يقابلوه بدورهم أيضًا. فالخلاص هو أعظم من أن يحتفظ به أحدنا لنفسه. لذا قصد أندراوس بسرعة **أخاه سمعان** لينقل إليه النبأ المثير «**قد وجدنا مسيّا**». كم كان مدهشًا ذلك الإعلان المجيد. كان قد مضى على الأقل أربعة آلاف سنة، على انتظار الشعب لمسيح الله الموعود به، وها **سمعان** يسمع الآن، من شفتي أخيه، هذا النبأ المُذهِل عن ظهور المسيّا. لقد عاشا حقًّا حيث كان يُصنَع التاريخ. وما أبسط مضمون رسالة أندراوس تلك، والمؤلفة من كلمتين فقط: «**وجدنا مسيّا**»! لكن الله استخدمها لربح بطرس. وهذا يعلّمنا أننا لسنا في حاجة لأن نكون وعّاظًا مقتدرين أو مفوّهين مَهَرة، بل كل ما يلزمنا هو إخبار الناس عن الرب يسوع، بتعابير بسيطة، والله هو الذي يهتم بالباقي.

١ : ٤٢ لقد جاء أندراوس بأخيه إلى المكان المناسب وإلى الشخص المناسب. فهو لم يأتِ به إلى الكنيسة، ولا إلى العقيدة، أو إلى رجل الدين، بل **جاء به إلى يسوع**. وكم كان هامًّا عمله هذا. فبفضل اهتمام أندراوس، أصبح في ما بعد سمعان صيادًا عظيمًا للناس، وأحد أقطاب رسل المسيح. صحيح أن شهرة سمعان

فاقت شهرة أخيه، لكن أندراوس، ولا شك، سيشارك في مجازاة أخيه، ذلك لأنه هو الذي جاء به إلى يسـوع. لقد عرف الرب اسم سمعان من دون أن يُعلمه أحد به. كذلـك عرف عن سمعان أنه صاحب شـخصية متقلّبة وغير ثابتة. وأخيرًا، عرف أن هذه الشخصية هي قابلة للتغيير، بشـكل يصبح معه حازمًـا كالصخر. وكيف تمكن يسـوع من معرفة هذا كلـه؟ ذلك لأنه كان هو الله، وما يزال.

لقد تغير حقًا اسم سمعان ليصبح **صفا** (لفظة آرامية تعـني حجرًا)، كمـا أنه تحوّل فعـلاً إلى رجل صاحب شـخصية قوية، ولا سـيّما بعد صعود الـرب ونزول الروح القدس.

ج. *دعوة فيلبس ونثنائيل* (١: ٤٣-٥١)

١: ٤٣ ها قد بلغنا **اليـوم** الرابع الذي نقرأ عنه في هذا الأصحاح. وقد أشـار بـوش *Bosh* إلى أننا لا نرى في اليوم الأول سـوى يوحنا وحـده (ع١٥-٢٨)؛ فيما نرى في اليوم الثاني يوحنا ويسـوع (ع٢٩-٣٤)؛ وفي اليوم الثالث يسـوع ويوحنا (ع٣٥-٤٢)؛ وفي اليوم الرابع نرى يسـوع وحـده (ع٤٣-٥١). لقد سـار الرب شمالاً باتجـاه المقاطعة المعروفـة **بالجليل**. وهناك وجـد **فيلبس**، ودعـاه إلى إتّباعه. «**اتبعـني**»: يا لها من عبارة عظيمة، بسـبب عظمة الشخص الذي نطق بها، ولعُظم الامتياز الذي تعرضه. كما أن المخلّص ما زال يُطلق هذه الدعوة السـامية، على الرغم من بساطتها، وذلك لجميع الناس في كل مكان.

١: ٤٤ كانـت **بيت صيـدا** مدينة واقعة عند شـطوط بحـر الجليل. وقلّـة هي مدن العـالم التي تمّ تشـريفها بهذا الشكل: فالرب صنع هناك بعض أعماله المقتدرة وعجائبه (لو ١٠: ١٣)، وكانت مسـقط رأس **فيلبس وأنـدراوس وبطرس**. غير أنهـا رفضت المخلّص، وعلى أثر ذلك كابدت شرّ تدمير، حتى إنه بات من المستحيل الآن تحديد موقعها آنذاك.

١: ٤٥ أراد **فيلبس** يشـارك شخصًا آخر سعادته هذه الـتي كان قد اختبرها حديثًا. لذا مضى **ووجد نثنائيل**. فالمهتـدون حديثًـا إلى الإيمـان، يبقون أفضـل رابحي نفوس. ورسالته جاءت بشكل مختصر مفيد. فهو نقل إلى نثنائيـل أنه قد وجد المسـيّا الـذي كان قد تنبأ عنه موسى والأنبياء: **يسوع الذي من الناصرة**. وفي الواقع، لم تكن رسالته هذه دقيقة تمامًا. ذلك لأنه وصف يسوع بأنه **ابن يوسـف**. لكن يسوع كان، بالطبع، قد وُلد من العذراء مريم، ولم يكن له أب بشـري. إنّما **يوسف** كان قد تبنّى يسـوع، صائرًا بذلك أباه الشـرعي، من دون أن يكون أبـاه الحقيقي. وقد علّق جيمس سـتوارت *James Stewart* على هذا بالقول:

> لم تكن طريقة المسـيح يومًـا أن يطالب بإيمان ناضج ومكتمل منذ البداية. كما أنه لم يكن ليحرم الناس من إتّباعه بسـبب نقـص في عقيدتهم. هذا دأبه، وبالطبـع لم يطرأ عليه أي تغيـير اليوم. فهو يجعل نفسـه إلى جانـب إخوته. إنـه يدعوهم إلى الالتصاق به حيثما اسـتطاعوا، ويقبلهم مهما كان مقـدار إيمانهم. فهو يكتفي بهـذا في البداية، لكي يعـود فيقود أصدقـاءه قُدُمًا، خطـوةً فخطوة، إلى عمق أعماق سـرّ جوهره، وإلى تمـام مجد التلمذة، وذلك كما فعل بالمجموعة الأولى من التلاميذ.

١: ٤٦ كانت هناك مشاكل عند **نثنائيل**؛ فالناصرة كانت مدينة محتقرة في الجليل، حتى بدا له أنه من المستحيل أن يعيش المسيّا في بيئة فقيرة كهذه. لذا عبّر بالكلام عن السؤال الذي كان يدور في خلده. أمّا **فيلبس** فآثر عدم محاججته؛ لإحساسه بأن تعريف الناس مباشرة بالرب يسوع هو الطريقة المثلى لمواجهة الاعتراضات. ويا له من درس قيّم لجميع الذين يسعون لربح الآخرين للمسيح. فلا تجادل، ولا تحاجج ولا تسترسل في مباحثات ونقاشات مطوّلة. يكفي أن تدعو الشخص الذي تتعامل معه بالقول: «**تعال وانظر**».

١: ٤٧ يبيّن العدد ٤٧ أنّ **يسوع** كان يعرف كل شيء. لقد قال إن نثنائيل هو **إسرائيلي** حقًّا، **ولا غشّ** أو التواءَ فيه، وذلك من دون أن يكون لديه أي سابق معرفة به. فيعقوب في القديم، اشتهر باعتماده في تجاربه أساليب غير مستقيمة تمامًا؛ أمّا نثنائيل فكان إسرائيليًّا خاليًا من أيّ "يعقوب".

١: ٤٨ لقد اندهش **نثنائيل** طبعًا، لدى سماعه شخصًا غريبًا عنه بالكلية، يخاطبه كما لو كان يعرفه من قبل. كان، على ما يبدو، محتجبًا تمامًا، خلال جلوسه **تحت التينة**. فأغصان الشجرة في الجوار، وأوراقها الظليلة، كانت، ولا شك، قد حجبته عن الأبصار. لكن يسوع رآه، على الرغم من اختبائه هذا.

١: ٤٩ لعلّ قدرة الرب يسوع على رؤية **نثنائيل** عندما كان محتجبًا عن أنظار الناس، هي التي أقنعته، أو ربما أُعطي هذه المعرفة بطريقة معجزية وخارقة. وعلى كل حال، لقد عرف الآن أن يسوع كان **ابن الله**، **وملك إسرائيل**.

١: ٥٠ قدّم الرب لنثنائيل برهانين على أنه المسيّا. كان قد وصف له خُلقه، كما أنه تمكّن من رؤية نثنائيل، عندما عجزت باقي العيون عن ذلك. لقد اكتفى نثنائيل بهذين البرهانين، وعلى أساسهما آمن. أمّا الرب يسوع فوعده بأنه سوف يرى براهين أعظم من هذه بعد.

١: ٥١ كلّما صدّر الرب يسوع كلامه بالعبارة «**الحق الحق أقول لكم**» (وتعني حرفيًا "آمين آمين") كان ذلك يعني أنه مزمعًا أن ينطق بأمور هامة. وهنا أعطى نثنائيل صورة عن المستقبل حين يرجع ليملك على الأرض. عندئذ سيعرف العالم أن ابن النجار الذي عاش في الناصرة المحتقرة، كان حقًّا ابن الله وملك إسرائيل. وفي ذلك اليوم، سوف **تنفتح السماء**، ورضى الله سيستقر على الملك السماوي عندما سيملك في عاصمته، أورشليم.

من المرجّح أن نثنائيل كان يتأمل في قصة سلّم يعقوب (تك٢٨: ١٢). كانت تلك السلّم، مع ملائكتها الصاعدين والنازلين عليها، بمثابة صورة للرب يسوع المسيح نفسه الذي هو الطريق الوحيد للسماء. فملائكة الله سوف يصعدون وينزلون على **ابن الإنسان**. فالملائكة هم خدّام الله الذين ينطلقون كلهيب نار لإتمام المهمّات التي يكلّفهم إياها. ومتى ملك يسوع بصفته الملك السماوي العظيم، سيتنقّل الملائكة، ذهابًا وإيابًا، بين السماء والأرض، لتتميم إرادته.

كان يسوع يقول لنثنائيل إنه لم يكن يرى سوى مظاهر بسيطة جدًّا من مسيانيّته. وهكذا سيتسنى له، بعد أن يأخذ يسوع الملك في المستقبل، أن يرى استعلان الرب بالتمام بوصفه الابن الممسوح ملكًا. عندئذ، سيتأكّد للبشرية جمعاء أن شخصًا صالحًا قد خرج من الناصرة.

د. الآية الأولى: تحويل الماء إلى خمر (٢: ١-١١)

٢: ١ إن اليوم الثالث يشير، ولا شك، إلى **اليوم الثالث لمكوث الرب في الجليل.** فبحسب ١: ٤٣، كان المخلّص قد وافى تلك الديار. نحن لا نعرف تمامًا أين كانت تقع **قانا**، غير أنّ باستطاعتنا أن نستنتج من العدد ١٢ من هذا الأصحاح أنها كانت على مقربة من كفرناحوم، لكن أعلى منها جغرافيًا.

كان **عرس في قانا الجليل** في ذلك اليوم المحدّد، وكانت أم يسوع هناك. والجدير بالذكر أن مريم ذُكرت هنا بصفتها **أمّ يسوع**. فالمخلّص لم يشتهر لكونه ابن العذراء مريم، لكنها هي التي ذاع صيتها بما إنها كانت أم ربنا. فالكتاب المقدس يعطي دائمًا الصدارة والمكانة الأولى للمسيح وليس لمريم.

٢: ٢ ودُعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس. لقد اتّخذ معدّو هذا الزواج قرارًا حكيمًا بدعوتهم المسيح إلى حضور هذا الزواج. وما زال الناس، في أيامنا، يتصرّفون بحكمة، عندما يدعون الرب إلى زيجاتهم. وهذا بالطبع يستلزم أن يكون العروسين كلاهما مؤمنين حقيقيين بالرب يسوع. عندئذ يترتب عليهما تقديم حياتهما للمخلّص، مع عزمهما على جعل بيتهما مكانًا يستريح فيه الربّ.

٢: ٣ نفد الخمر، وما إن وعت أم يسوع الأمر، حتى عرضت مشكلتها على ابنها. لقد عرفت أنه كان باستطاعته تأمين الخمر بشكل معجزي. وربما أرادت لابنها أن يعلن ذاته للضيوف المحتشدين بصفته ابن الله. والخمر في الكتاب المقدس، غالبًا ما تشير إلى الفرح. ومريم، بقولها: **ليس لهم خمر**، قدّمت وصفًا دقيقًا جدًّا لحالة الرجال والنساء الذين لم يختبروا الخلاص قط. فما من فرح حقيقي ودائم من نصيب غير المؤمن.

٢: ٤ يبدو ردّ الرب على أمّه باردًا وناشفًا. لكنه لم يكن ذلك التوبيخ العنيف، كما قد يظهر لنا. فالكلمة «**امرأة**» المستخدمة هنا، كانت بمثابة لقب احترام، شبيهة بالعبارة المألوفة لدينا "سيّدة *Lady*". والرب، بقوله: «**ما لي ولك يا امرأة؟**»، كان يصرّح بأنه لم يكن، في معرض إنجازه لمهمته الإلهية، يخضع لتوجيهات أمّه، بل كان يتحرّك بالكلية إطاعة لإرادة أبيه السماوي. كانت مريم تبغي رؤية يسوع ممجّدًا، لذا وجب تذكيرها بأن وقت حصول ذلك لم يكن قد حان **بعد**. فقبل ظهوره للعالم بصفته المسيح الغالب قاهر الكل، ينبغي له أولاً أن يرتقي المذبح كالذبيحة؛ وهذا ما تمّمه على صليب الجلجثة.

أشار وليامز *Williams* إلى ما يلي:

> لقد وردت العبارة «ما لي ولك» مرات عدة في الكتاب المقدس. وهي تعني: "أية قواسم مشتركة تجمع بيننا؟" والجواب هو: "لا شيء". فداود تفوّه بهذه العبارة مرتين أمام السبائه بني صروية. فكم كان يستحيل وجود أي شيء مشترك بينه وبينهم على صعيد الحياة الروحية. كما أن اليشع استخدمها بدوره للتعبير عن الهوّة السحيقة التي كانت تفصل بينه وبين يهورام، ابن آخاب. كذلك، فإن الشياطين، باستخدامهم هذه العبارة نفسها ثلاث مرات، أعلنوا بذلك عدم توافر أية قواسم مشتركة بين المسيح والشيطان. وأخيرًا وجّه الرب هذه العبارة إلى العذراء مريم لإظهار مدى عمق الهوة بين ألوهيته الخالية من الخطية، وبشريتها الخاطئة، وأنه لم يكن إلاّ لصوت الآب وحده سلطان على أذنه.

٢: ٥ فهمت مريم مغزى هذه الكلمات، لذا أعطت تعليماتها للخدام بضرورة أن يفعلوا **مهما** أمرهم. إن لكلماتها هذه أهمية بالغة لكل واحد منا. ولنلاحظ أنها لم توجّه الرجال إلى إطاعتها هي، أو أي كائن بشري آخر، لكنها قادتهم إلى الرب يسوع بصفته الكائن الإلهي الذي تجب إطاعته. إن تعاليم الرب يسوع هي معروضة علينا على صفحات العهد الجديد. لذا يجب علينا، خلال قراءتنا لهذا الكتاب الثمين، أن نتذكّر هذه التوصية، وهي آخر كلمات سُجّلت على فم مريم: **«مهما قال لكم فافعلوه»**.

٢: ٦ كان هناك، في مكان الاحتفال بالعرس، **ستة أجران من حجارة، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة**. وكان الشعب اليهودي يستخدم هذا الماء لتطهير أنفسهم من أية نجاسة. على سبيل المثل، كان اليهودي الذي يمسّ إحدى الجثث يُعتبر غير طاهر، إلى حين ممارسته فريضة تطهير معيّنة.

٢: ٧ أعطى يسوع تعليماته بضرورة **ملء الأجران ماء**. وهذا ما فعله الخدّام للحال. لقد استخدم الرب الوسائل المتوافرة عندما كان مزمعًا أن يصنع معجزة. وهكذا سمح للناس أن يقدّموا **الأجران**، **وبملئها بالماء**، ثم قام هو بما يعسر على أي إنسان القيام به، إذ حوّل الماء إلى خمر. ولنلاحظ أن الخدّام، وليس التلاميذ، هم الذين ملأوا الأجران ماء. وبذلك يكون الرب قد تجنّب أي احتمال لاتهامه بالغش، كما أن الأجران قد امتلأت **إلى فوق**، حتى لا يعود باستطاعة أحد الادّعاء بأنه قد تمّ إضافة بعض الخمر إلى الماء.

٢: ٨ وإذ حصلت المعجزة أمر الرب الخدام **يستقوا** من محتوى الأجران، لتقديمه **إلى رئيس المتّكإ**. ويتّضح لنا من هذا أنّ المعجزة كانت قد حدثت بشكل فوري. فتحوُّل الماء إلى خمر حصل خلال ثوانٍ معدودة، ولم يكن ليستغرق فترة طويلة من الوقت. وكما عبّر أحدهم عن هذا بصورة شعريّة: "لقد فوجئت المياه لدى رؤية الله إلهها، فاحمرّت وجنتاها خجلاً".

٢: ٩ كان **رئيس المتكإ** هو المنوط به الاهتمام بإعداد الطاولات والطعام. وما إن ذاق ما قُدّم إليه، حتى تحقق أنّ شيئًا غير طبيعي قد حصل. **ولم يكن يعلم من أين** هذه الخمر. لكنه علم أنها كانت من نوعية عالية جدًّا. لذا **دعا العريس** على الفور.

في أيامنا، كيف يجب أن يكون موقف المسيحيين من الخمر؟ الخمر، تُستخدم أحيانًا لأغراض طبية، وهذا يتوافق كليًّا مع تعليم العهد الجديد (١تي٥: ٢٣). ولكن، بسبب الإساءات المرعبة الناتجة من التمادي في شرب الخمر، يرى معظم المسيحيين المؤمنين ضرورة تجنّب الخمر بالكلية. فكل إنسان معرّض لإدمان الكحوليات. أمّا الوقاية من هذا الخطر، فتكون من طريق البعد التام عن المشروبات الكحولية. ومن جهة أخرى، يحتاج أحدنا دائمًا أن يأخذ بعين الاعتبار ما تخلّفه أفعاله من تأثير في الآخرين. وبحسب بيئتنا، يخسر المؤمن شهادته إذا ما رآه أحد الأشخاص غير المخلّصين وهو يشرب خمرًا. لذا، ينبغي له الامتناع عن ذلك.

٢: ١٠ يلفت رئيس المتكإ الانتباه إلى الفرق البارز بين طريقة تصرّف الرب يسوع، وأساليب التصرّف المألوفة لدى الناس. ففي العرس، كانت قد درجت العادة أن تُقدّم الخمر الجيدة أولاً، عندما يكون باستطاعة الحاضرين تمييز مذاقها الطيّب والاستمتاع به. أما بعد أن يكونوا قد أكلوا وشربوا حتى سكروا، لن يعود

لديهم تلك القدرة عينها على تمييز نوعية مشروباتهم. وفي هذا العرس بالذات جاءت الخمر الجيدة أخيرًا. يتضمن كل هذا بعض المعاني الروحية العميقة لنا. فالعالم يقدّم عادةً للناس أفضل ما عنده، في البداية؛ وهكذا يبسط أمام الشباب أفضل عروضاته الجذّابة، ومن ثمّ، بعد أن يكونوا قد أضاعوا حيواتهم في الملذات الباطلة، لا يعود لدى العالم، لآخرة الإنسان وشيخوخته، سوى البقايا والحثالة. أمّا الحياة المسيحية، فهي عكس ذلك تمامًا، لأنها في تحسّن مستمر. كما أنّ المسيح يُبقي على الخمر الجيدة إلى النهاية والفرح فيها يلي الفاقة.

وهذا النص الكتابي ينطبق أيضًا، وبشكل مباشر، على الأمة اليهودية. ففي ذلك الوقت لم تكن الديانة اليهودية لتعرف طعم الفرح الحقيقي. فالناس كانوا يدورون في دوّامة رتيبة من الطقوس والاحتفالات، وهكذا فقدت الحياة كل طعم في نظرهم. لقد كانوا محرومين الفرح الإلهي. لذا جاء الرب يسوع يعلّمهم بضرورة وضع إيمانهم فيه. فهو القادر أن يحوّل وجودهم الرتيب إلى حياة فيّاضة فيها شبع سرور. كما أن مياه الطقوس والاحتفالات اليهودية يمكن تحويلها إلى خمر اختبار السعادة الحقيقية في المسيح.

٢: ١١ إن التصريح بأنه كانت **هذه بداية الآيات التي** صنعها يسوع، ينفي العجائب السخيفة المنسوبة إلى ربنا خلال صباه. وهذه العجائب مذكورة في بعض الأناجيل المزيّفة من أمثال "إنجيل بطرس". إنها تنسب إلى ربنا عجائب صنعها، حسب زعمهم، عندما كان فتى، مع أنها في طبيعتها أقرب إلى التجديف منها إلى أي شيء آخر. لذا ارتأى الروح القدس، في معرفته المسبقة بالأمور، إضافة هذه الملاحظة البسيطة، وذلك لحماية هذه الفترة من حياة الرب من الادعاءات الباطلة، ولصون شخصيته المجيدة.

كان تحويل الماء إلى خمر بمثابة آية، أي معجزة ذات مغزى. كان لهذا العمل الخارق معانٍ روحية. كما أن القصد من هذه العجائب هو إظهار أن يسوع كان حقًا مسيح الله. فهو بصنعه هذه الآية، **أظهر مجده**. لقد أعلن بذلك للناس أنه كان حقًّا الله الذي ظهر في الجسد. **فآمن به تلاميذه**. كانوا بالطبع، وبمعنى من المعاني، قد آمنوا به قبلاً، لكن إيمانهم به تقوّى الآن، حتى إنهم باتوا يثقون به أكثر. وقد كتب سندلان جونس *Cynddylan Jones* في هذا السياق ما يلي:

> كان تحويل الماء إلى دم هو أول معجزة صنعها موسى، وكانت تحتوي على عنصر فتّاك جدًّا. أمّا معجزة المسيح الأولى فكانت تحويل الماء إلى خمر، وكان فيها عنصر مهدّئ ومسكّن.

هـ. ابن الله يطهّر بيت أبيه (٢: ١٢-١٧)

٢: ١٢ غادر الآن المخلّص قانا **وانحدر إلى كفرناحوم هو وأمه وأخوته وتلاميذه**. وقد استغرقت فترة إقامتهم في كفرناحوم بضعة أيام فقط، لأنه سرعان ما صعد الرب إلى أورشليم.

٢: ١٣ نرى، ابتداء من هنا، شهادة الرب الأولى لمدينة **أورشليم**. وتستمر هذه الفترة من خدمته حتى العدد ٢١ من الأصحاح الثالث. وهكذا يكون قد باشر خدمته الجهارية وأيضًا ختمها بتطهيره الهيكل في زمن الفصح (راجع متى ٢١: ١٢، ١٣؛ مر ١١: ١٥-١٨؛ لو ١٩: ٤٥، ٤٦). فالفصح كان عيدًا سنويًا لإحياء ذكرى إنقاذ الشعب القديم من العبودية في مصر، ومن ثم قيادتهم، عبر البحر الأحمر، إلى البرية، فإلى أرض

الموعد. وقد دوّن لنا الوحي الإلهي في خروج ١٢ أول احتفال بالفصح. والرب، لكونه يهوديًا تقيًّا، **صعد إلى أورشليم**، لأجل هذا اليوم الهام في التقويم اليهودي.

٢: ١٤ وفي مجيئه إلى **الهيكل**، **وجد** أنه كان قد أصبح أشبه بسوق تجارية. ففيه يُباع **الغنم والبقر والحمام**، كما أن **الصيارفة** كانوا يمارسون أعمالهم هناك. وهذه الحيوانات كانت تُستعمل في العبادة كذبائح. أمّا الصيارفة فكانوا يأخذون مال القادمين من بلدان أجنبية، ويحوّلونها إلى عملة أورشليم حتى يتسنّى للحجّاج دفع الجزية المختصة بالهيكل. والمعروف أن هؤلاء الصيارفة غالبًا ما كانوا يستغلون الأشخاص القادمين من أماكن بعيدة.

٢: ١٥ إن **السوط** الذي صنعه الرب من حبال، يُرجّح أنه كان من الصنف الصغير. ولا يدوّن النص أنه استخدمه على أحد من الناس. لكن من المحتمل أنه اكتفى بحمله في يده كرمز للسلطة. راح يحرّكه في الهواء أمامه عندما **طرد** التجار **من الهيكل، وقلّب موائد** الصيارفة.

٢: ١٦ كانت الشريعة تسمح للفقراء بتقريب زوجي حمام، بسبب عدم سعة يدهم لاقتناء الحيوانات الأغلى ثمنًا. وهكذا أمر الرب **باعة الحمام** بضرورة رفع **هذه من هنا**. ذلك لأنه لم يكن يليق أن يجعلوا **بيت أبيه بيت تجارة**. والله، على مرّ العصور، يحذّر شعبه من استخدام الخدمات الدينية كوسيلة لكسب الغنى. لم تكن تصرفات يسوع هذه لتنطوي على أي ظلم أو شراسة في معاملة الناس، بل كانت بالحري تشير إلى قداسته وبرّه.

٢: ١٧ عندما رأى **تلاميذه** ما حصل، تذكّروا المزمور ٦٩: ٩ حيث تنبأ المرنم عن المسيّا أنه، في مجيئه، سوف تأكله تمامًا **غيرته** لأجل أمور الله. وها هم الآن يعاينون يسوع في حرصه الشديد على ضرورة عبادة الله بطهارة. فتحققوا بذلك أنه هو مَن تحدّث عنه كاتب المزمور.

وينبغي أن نتذكر أن جسد المؤمن هو هيكل الروح القدس، وكما أهتم الرب يسوع بأن يكون هيكل أورشليم طاهرًا، علينا دائمًا أن نطلب إليه أن يحفظنا في حالة الطهارة المستمرة.

و. *يسوع يتنبأ بموته وقيامته* (٢: ١٨-٢٢)

٢: ١٨ كان الشعب اليهودي، على ما يبدو، يطلب دائمًا أن يرى آية أو معجزة. كان لسانُ حالهم ما معناه: "إن صنعت عملاً ما عظيمًا ومقتدرًا، فعندئذ سنؤمن". والرب يسوع كان قد صنع قدامهم المعجزة تلو الأخرى، ومع هذا فقد ظلت قلوبهم غير متجاوبة معه. فجاؤوا في العدد ١٨ يشكّكون في سلطته التي خوّلته طرد بعض رجال الأعمال من الهيكل. لقد طالبوه بصنع آية ما لدعم ادّعائه بأنه المسيّا.

٢: ١٩ والرب، في معرض ردّه عليهم، أدلى بتصريح مدهش حول موته وقيامته. فقال لهم إنهم **سينقضون** هيكله، لكنه سيقيمه **في ثلاثة أيام**. إن ألوهية المسيح تبرز مجدّدًا في هذا العدد. فالله وحده كان باستطاعته القول: «**وفي ثلاثة أيام أقيمه**».

٢: ٢٠ لم يفهم **اليهود** ما قاله لهم الرب. لقد كان اهتمامهم بالأمور المادية يفوق اهتمامهم بالحق الروحيّ. والهيكل الوحيد الذي كان باستطاعتهم التفكير فيه، هو هيكل هيرودس القائم آنذاك في أورشليم. لقد استغرق بناء هذا الهيكل **ستًّا وأربعين سنة**. لذا صعب عليهم أن يتخيّلوا كيف يستطيع أي إنسان إعادة بنائه **في ثلاثة أيام**.

٢: ٢١ غير أنّ الرب يسوع **كان يقول عن جسده**، ذلك الهيكل الذي حلّ فيه كل ملء اللاهوت. وكما سبق لهؤلاء اليهود أن دنّسوا الهيكل في أورشليم، هكذا كانوا مزمعين أن يسلّموه للموت، وذلك في غضون سنوات قليلة.

٢: ٢٢ ثم لاحقًا، وبعد أن صُلب الرب يسوع، **وقام من الأموات، تذكّر تلاميذه** أنه كان قد وعد بأنه سيقوم في اليوم الثالث. وعلى أثر تتميم هذه النبوة بهذا الشكل المدهش، أمام عيونهم، **آمنوا بالكتاب والكلام الذي قاله يسوع**.

غالبًا ما نواجه بعض الحقائق التي يصعب علينا فهمها. لكننا نتعلم هنا ضرورة ادّخار كلمة الله في قلوبنا؛ فسيأتي يوم فيه سيوضِّح لنا الله معناها، ولو كنّا عاجزين عن إدراك معناها الآن. أمّا العبارة، **فآمنوا بالكتاب**، فتفيد أنهم آمنوا بنبوات العهد القديم بشأن قيامة المسيّا.

ز. كثيرون يدّعون الإيمان بالمسيح (٢: ٢٣-٢٥)

٢: ٢٣ على أثر **الآيات** التي صنعها يسوع **في أورشليم في عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه**. وهذا لا يعني بالضرورة أنهم وثقوا به حتى سلّموه حياتهم؛ لكنهم ادّعوا بالحري أنهم قبلوه. لم يكن تصرفهم هذا صادقًا أو حقيقيًّا، بل تظاهروا فقط بإتّباع يسوع. وهذه الظاهرة هي شبيهة بما يحصل في أيامنا، حيث أنّ عددًا كبيرًا من الناس يدّعون أنهم مسيحيون، وذلك مع أنه لم يسبق لهم قط أن وُلدوا ثانية بالإيمان بالرب يسوع المسيح.

٢: ٢٤ كان العديد قد آمنوا **بيسوع**، إلاّ أنه لم يؤمن بهم (فعل الإيمان نفسه ورد هنا أيضًا في النص اليوناني الأصلي)؛ أي أنه لم **يأتمنهم على نفسه**. لقد أدرك أنهم أقبلوا إليه من قبيل الفضولية. وكانوا يطلبون شيئًا مدهشًا وخارقًا. لقد **كان يعرف الجميع**، عالمًا أفكارهم ودوافعهم. كان يعرف ما الذي يجعلهم يتصرفون بهذا الشكل أو ذاك. كذلك عرف هل كان إيمانهم حقيقيًا أو مجرّد شيء مزيّف.

٢: ٢٥ ما من أحد عرف قلب الإنسان أفضل من الرب نفسه. **فهو لم يكن محتاجًا أن يعلّمه أحد** أو ينير ذهنه حول هذا الأمر. لقد كان يملك المعرفة الكاملة **بما كان في الإنسان**، وبما يملي عليه تصرفه.

ح. يسوع يعلم نيقوديموس عن الولادة الجديدة (٣: ١-٢١)

٣: ١ ثمة مفارقة واضحة بين قصة **نيقوديموس** والأحداث التي سبقتها مباشرة. فالعديد من اليهود في أورشليم كانوا قد ادّعوا الإيمان بالرب، لكنه عرف عدم صدق إيمانهم هذا. أمّا نيقوديموس فكان يختلف عنهم. لقد لمس الرب رغبة صادقة لمعرفة الحق. لذا كان من المناسب جدًّا (في الأصل اليونانيّ) استهلال العدد ١ بحرف الاستدراك "ولكن": «**(ولكن) كان إنسان من الفريسيين اسمه نيقوديموس رئيس لليهود**».

كان نيقوديموس يُعرّف، في أوساط شعبه بأنّه معلِّم. ولعله قصد الرب للتعلّم منه، حتى يتسنى له العودة إلى اليهود حاملاً معه بعض التعليم الإضافيّ.

٣: ٢ لا يُفصح الكتاب المقدس عن السبب الذي حدا بنيقوديموس على المجيء **إلى يسوع ليلاً**. وأبسط تفسير لذلك، هو أنه كان سيشعر بالحرج الشديد أمام الناس الذين يرونه مُقبلاً إلى يسوع، في حين لم يكن الشعب اليهودي، في غالبيته، قد قبِل الرب. لكنه، وعلى الرغم من كل هذا، جاء إلى يسوع. اعترف نيقوديموس بأن الرب هو **معلم** أرسله الله، بما أنه كان يعسر على أيّ

كان صُنع عجائب كهذه، من دون الاستعانة مباشرة بالله في ذلك. وهكذا يكون قد فات نيقوديموس، وعلى الرغم من كل علمه، إدراك أن الرب هو الله الذي ظهر في الجسد. كان أشبه بالكثيرين في أيامنا ممّن يعتبرون أن يسوع كان رجلاً عظيمًا، ومعلّمًا مدهشًا ومثالاً رائعًا؛ وكل هذه التصريحات تبقى مقصّرة عن تقديم الحق الكامل المختص بشخص الرب. فيسوع كان، وما يزال هو الله.

٣: ٣ يبدو، أوّل وهلة، أن لا علاقة لردّ يسوع بما قاله نيقوديموس لتوّه. ففحوى كلام الرب له كان: "يا نيقوديموس، أنت قصدتني لأجل التعليم، لكن حاجتك الفعلية هي إلى أن تُولد ثانية. فمن هنا يجب أن تبدأ: يلزمك أن **تولد من فوق**. وإلاّ، فلن تقدر أبدًا أن **ترى ملكوت الله**".

لقد صدّر الرب هذه الكلمات المباركة بالعبارة: «**الحق الحق أقول لك**». وهذه العبارة (حرفيًّا "آمين، آمين") تنبّهنا إلى أنه سيتبعها حق هام جدًّا.

كيهودي، كان نيقوديموس ينتظر مجيء المسيّا الذي سيحرّر إسرائيل من عبودية روما. فالعالم بأسره آنذاك كان تحت سيطرة الإمبراطورية الرومانية، كما أن اليهود كانوا خاضعين لقوانينها ولحكومتها. كان نيقوديموس يتوق إلى ذلك الوقت الذي فيه سيُرسي المسيّا مملكته على الأرض، وعندئذ ينعم الشعب اليهودي بالمكانة الأولى بين الأمم، ويشهد أيضًا هلاك جميع أعدائه. لكنّ الرب جاء الآن يُعلم نيقوديموس أنه ينبغي للإنسان أن **يولد من فوق** حتى يتسنى له دخول هذا الملكوت. وكما أن الولادة الأولى هي ضرورية للحياة الجسدية، هكذا أيضًا الولادة الثانية هي ضرورية للحياة الروحية. وبكلمة أخرى، لا يستطيع دخول ملكوت المسيح إلاّ الذين تغيّرت حيواتهم. فبما أنه سيملك بالبّر، لذا وجب على رعاياه أن يكونوا هم أيضًا أبرارًا. فهو لا يستطيع أن يملك على أناس ما يزالون يعيشون في خطاياهم.

٣: ٤ نلمس هنا أيضًا مدى الصعوبة التي واجهها الناس في فهم كلمات الرب يسوع. لقد أصرّ **نيقوديموس** على التمسّك بحرفية أقوال الرب. لذا لم يستوعب كيف يقدر شخص بالغ أن **يولد ثانية**. فقد رأى أنه من المستحيل على الرجل أن **يدخل بطن أمه ثانية لكي يولد**.

يشكّل نيقوديموس خير إيضاح لحقيقة كون «الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله، لأنه عنده جهالة. ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحيًّا» (١كو٢: ١٤).

٣: ٥ قدّم يسوع لنيقوديموس المزيد من الشرح عندما كلّمه عن ضرورة أن **يولد من الماء والروح**. وإلاّ، فلن يكون بوسعه أبدًا أن **يدخل ملكوت الله**.

ماذا عنى يسوع بذلك؟ لقد شدّد كثيرون على أن المقصود هنا هو الماء بمعناه الحرفي، وأن الرب يسوع تكلّم هنا عن ضرورة المعمودية لنوال الخلاص. إلاّ إن هذا التعليم يناقض تعليم الكتاب المقدس في مواضع أُخرى. ففي كل موضع من كلمة الله، نقرأ أن الخلاص هو بالإيمان بالرب يسوع المسيح وحده. كما أن المعمودية مصمّمة لأولئك الذين اختبروا الخلاص، ولا تصلح كوسيلة للخلاص.

يقترح بعضهم أنّ **الماء** في هذا العدد يشير إلى كلمة الله. ففي أفسس ٥: ٢٥، ٢٦ نجد ارتباطًا وثيقًا بين الماء وكلمة الله. كما أنه مذكور في بطرس الأولى ١: ٢٣ ويعقوب ١: ١٨ أن الولادة الثانية تحصل بواسطة

كلمة الله. لذا فمن المحتمل جدًا أن يكون الماء في هذا العدد يشير إلى الكتاب المقدس. ونحن نعلم أنه لا يمكن حصول أي خلاص بمعزل عن كلمة الله. فالخاطي يلزمه قبول الرسالة المتضمنة في هذه الكلمة الإلهية، وذلك قبل إمكانية حصول الولادة الجديدة.

لكن الماء قد يشير أيضًا إلى الروح القدس. ففي يوحنا ٧: ٣٨، ٣٩ تحدث الرب يسوع عن ينابيع المياه الحية. ويذكر لنا الوحي مباشرة بعد ذلك أن الرب تطرّق إلى الماء في معرض كلامه عن الروح القدس. فإذا كان الماء يشير إلى الروح القدس في الأصحاح السابع، فلمَ لا يحتمل المعنى نفسه في الأصحاح الثالث؟

إلاّ أننا سنواجه صعوبة، على ما يبدو، في حال قبلنا هذا التفسير الأخير. فالرب يسوع قال: «**إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله**». فإذا سلّمنا بأن الماء هنا يعني الروح، فسيظهر عندئذ أنّ الروح قد ورد ذكره مرتين في هذا العدد. لكن اللفظة اليونانية المترجمة "و"، كان بالإمكان أيضًا ترجمتها بشكل صحيح بواسطة التعبير "نفسه". وهكذا يصبح هذا العدد على الشكل التالي: **إن كان أحد لا يولد من الماء، من الروح نفسه، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله**. هذا، باعتقادنا، هو المعنى الصحيح لهذا العدد. فالولادة الجسدية لا تكفي، بل يحتاج المرء أيضًا إلى ولادة روحية حتى يدخل ملكوت الله. وهذه الولادة الروحية تحصل بعمل الروح القدس عندما يؤمن الإنسان بالرب يسوع المسيح. وهذا التفسير تدعمه حقيقة أن العبارة «مولود من الروح»، قد وردت مرتين في الأعداد التالية (ع٦، ٨).

٣: ٦ حتّى لو تمكّن نيقوديموس من دخول بطن أمه مرة أخرى، لكي يولد ثانية، لما أصلح ذلك طبيعته الفاسدة. فالعبارة **المولود من الجسد هو جسد** تفيد أن الأبناء المولودين من آباء وأمهات جسديين، يولدون في الخطية، ويكونون عاجزين عن تخليص أنفسهم بأنفسهم. ومن جهة أخرى، فإن **المولود من الروح هو روح**. فالولادة الروحية تحصل عندما يؤمن الإنسان بالرب يسوع. والإنسان الذي يولد ثانية بواسطة الروح القدس، ينال من جراء ذلك طبيعة جديدة، ويصبح أهلاً لملكوت الله.

٣: ٧ كان على نيقوديموس ألاّ يتعجّب من تعاليم الرب يسوع. فعليه إدراك أنه ينبغي للإنسان أن **يولد من فوق**، والتحقّق من عجز الطبيعة البشرية التام عن معالجة حالة السقوط التي تتخبّط فيها. كما أنه يحتاج أن يفهم تمامًا أن على الإنسان أن يكون مقدّسًا وطاهرًا، روحيًا، حتى يصبح من رعايا ملكوت الله.

٣: ٨ استعان الرب يسوع بالطبيعة، حسب عادته، لتوضيح حق روحي. فذكّر نيقوديموس بأن الريح **تهبّ حيث تشاء**، وباستطاعة الإنسان أن **يسمع صوتها، لكنه لا يعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب**. فالولادة الجديدة تشبه كثيرًا الريح. أولاً، لأنها تحصل بحسب إرادة الله، وهي قوة غير واقعة تحت سيطرة الإنسان. ثانيًا، لأن الولادة الثانية هي غير منظورة، إذ ليس باستطاعتك رؤية حدوثها، بل بإمكانك أن تلمّس نتائج ذلك في حياة الإنسان. فإن بعض التغييرات تطرأ على الإنسان الذي يختبر الخلاص: فهو الآن يمقت تلك الأمور الشريرة التي كان يهواها من قبل. كذلك، فأمور الله التي كانت موضوع احتقاره سابقًا، هذه

الأمور عينها أصبح الآن يحبها. وكما يعسر على أيّ كان فهم الريح بالتمام، هكذا فإن الولادة الجديدة هي عمل معجزي يقوم به الروح القدس، ويعجز الإنسان عن إدراكه تمامًا. إلى ذلك، فإن الولادة الجديدة، وعلى غرار الريح، لا يمكن التنبؤ بشأنها. فإنه من غير الممكن التصريح بزمان حصولها أو بمكانه.

٣: ٩ من جديد، يوضح نيقوديموس عجز الذهن الطبيعي عن استيعاب الأمور الإلهية. لقد كان، ولا شك، إلى هذه اللحظة يحاول التفكير في الولادة الجديدة كحدث طبيعي أو مادي، لا كظاهرة روحية. لذا، طرح على الرب يسوع السؤال التالي: «**كيف يمكن أن يكون هذا؟**».

٣: ١٠ **أجاب يسوع** أنه كان يُفترض بنيقوديموس، بصفته **معلم إسرائيل**، أن يفهم هذا. فالعهد القديم كان قد علّم بوضوح عن المسيّا، أنه لدى عودته إلى الأرض لإرساء مملكته، سوف يدين أعداءه أولاً، وينزع جميع المعاثر. وهكذا، لن يدخل الملكوت إلاّ أولئك الذين اعترفوا بخطاياهم وتركوها.

٣: ١١ ثم ركّز الرب يسوع على عصمة تعليمه، وعلى تقاعس الإنسان عن الإيمان به على الرغم من ذلك. فهو كان منذ الأزل على علم بصحة كل ما يقوله، كما أنه لم يعلّم إلاّ ما عرفه ورآه. لكن نيقوديموس، مع معظم اليهود في أيامه، كانوا قد رفضوا تصديق شهادته.

٣: ١٢ ما هي **الأرضيات** التي أشار إليها الرب في هذا العدد؟ كانت تلك الأمور المختصة بملكوته **الأرضي**. فنيقوديموس، وبصفته تلميذًا للعهد القديم، كان على علم بأن المسيّا سوف يأتي ذات يوم لتأسيس مملكة، بالمعنى الحرفي للكلمة، هنا على الأرض، تكون أورشليم عاصمتها. أمّا ما فاته إدراكه فهو أنّ الولادة الجديدة هي شرط لدخول هذه المملكة. وما هي **السماويات** التي أشار إليها الرب هنا؟ إنها الحقائق الموضّحة في الأعداد التالية، حول الطريقة المدهشة التي بها يحصل الإنسان على هذه الولادة الجديدة.

٣: ١٣ كان هناك شخص واحد جدير بالتحدث عن الروحيات، ذلك لأنه كان الرب الوحيد **الذي كان في السماء**. فالرب يسوع لم يكن مجرد معلّم بشري أرسله الله، بل كان هو الرب الذي عاش مع الله الآب منذ الأزل، ونزل إلى العالم. وبقوله إن **ليس أحد صعد إلى السماء**، لم يكن يعني بذلك أن قديسي العهد القديم، من أمثال أخنوخ وإيليا، لم يمضوا إلى السماء، بل تمّ **نقلهم** إلى هناك. أمّا الرب فقد **صعد إلى السماء** بقوته الذاتية. وثمة تفسير آخر يعتبر أنه ما كان لأي كائن بشري آخر نصيب في الدخول والمكوث باستمرار في الحضرة الإلهية، كما كان للرب يسوع. كان بإمكانه الصعود إلى مسكن الله بطريقة فريدة في نوعها، بما أنه سبق له أن نزل من السماء إلى هذه الأرض. وحتى عندما كان الرب يسوع واقفًا على الأرض، يتحدث إلى نيقوديموس، صرّح بأنه كان **في السماء**. وكيف يكون ذلك؟ نحن هنا أمام تصريح بأن الرب كان، بصفته الله، موجودًا في كل مكان في آن واحد. وهذا ما نعنيه بقولنا إنه كلي الحضور. لقد أقدمت بعض الترجمات الحديثة على حذف العبارة «**الذي هو في السماء**»، لكن المخطوطات تؤكّد ورودها على نطاق واسع، وهي تشكل جزءًا من النص.

٣: ١٤ كان الرب يسوع الآن مزمعًا أن يكشف الستار عن حق سماوي لنيقوديموس. كيف تحصل الولادة الجديدة؟ يجب دفع أجرة خطايا الإنسان، فالناس لا يمكنهم الذهاب إلى السماء في خطاياهم. وكما **رفع موسى الحية** النحاسية على راية **في البرية**، عندما لدغت الحيات المحرقة جميع بني إسرائيل، **هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان** (راجع سفر العدد ٢١: ٤- ٩). كان بنو إسرائيل قد أُصيبوا بالإحباط ونفد صبرهم خلال تيهانهم في البرية؛ لذا تذمروا على الرب. وعلى أثر ذلك، أرسل إليهم الرب حيات محرقة لمعاقبتهم، ومات من جراء ذلك عدد كبير من الشعب. وعندما صرخ الباقون على قيد الحياة، إلى الرب بتوبة صادقة، دعا الرب موسى إلى صنع حيّة من نحاس، وجعلها على راية. وهكذا كان الإسرائيلي الذي لدغته الحية يُشفى، بشكل معجزي، لدى نظره إلى الحية النحاسية.

لقد اقتبس الربّ هذه الحادثة من العهد القديم لتوضيح طريقة حصول الولادة الجديدة. فثعبان الخطية لدغ الرجال والنساء، وجعلهم تحت حكم الموت الأبدي. كما أن الحية النحاسية كانت مثالاً أو رمزًا للرب يسوع. والنحاس، في الكتاب المقدس، يرمز إلى الدينونة. كان الرب يسوع بلا خطية، ولا يستحق بالتالي أي عقاب، لكنه أخذ مكاننا واحتمل الدينونة التي كانت من نصيبنا. كما أن الراية تشير إلى صليب الجلجثة حيث رُفع الرب يسوع. ونحن نخلص من طريق النظر إليه بإيمان.

٣: ١٥ لقد جُعل المخلّص خطية لأجلنا، وهو الذي لم يعرف خطية، وذلك لكي نصير نحن بِرّ الله فيه. **وكل من يؤمن** بالرب يسوع المسيح ينال **الحياة الأبدية** هبةً مجانية.

٣: ١٦ نحن هنا أمام أحد الأعداد الأكثر شهرة في كل الكتاب المقدس. وهذا يعود، ولا شك، إلى كونه يعرض علينا الإنجيل في غاية الوضوح والبساطة. إنه يلخّص ما سبق للرب يسوع أن علّمه لنيقوديموس بشأن السبيل للحصول على الولادة الجديدة. وهكذا نقرأ عن الله، أنه **هكذا أحب الله العالم**. **والعالم** هنا يشتمل على البشرية جمعاء. فالله لا يحب خطايا الناس ولا نظام هذا العالم الشرير، بل يحبّ الناس ولا يشاء أن يهلك أي واحد منهم.

أمّا مدى محبة الله فيظهر من كونه قد **بذل ابنه الوحيد**. فالله ليس لديه ابن آخر نظير الرب يسوع. إنه في استعداده لبذل **ابنه** عن الناس الخطاة والعصاة، قد عبّر بذلك عن محبته اللامتناهية للجنس البشري. وهذا لا يعني أنّ كل إنسان هو مخلّص. لكن ينبغي لكل إنسان قبول ما فعله المسيح لأجله قبل أن يمنحه الله حياة أبدية. لذا أضيفت الكلمات: «**لكي لا يهلك كل من يؤمن به**». إذًا، لا داعي لأي كان أن يهلك؛ فالله رتّب سبيلاً يمكّن الجميع من نوال الخلاص؛ لكن يبقى على الفرد أن يعترف بالرب يسوع مخلّصًا شخصيًّا له. وبفعله هذا، تصبح **الحياة** الأبدية ملكه منذ الآن. وقد قال بورهام *Boreham* في هذا المجال:

> عندما تدرك الكنيسة مقدار محبة الله للعالم، لن تعود تعرف طعم الراحة أو الهناءة، إلى أن يتم إخضاع جميع الممالك العظمى لإرادة الله، وتُربح كل جزيرة صغيرة للمسيح.

٣: ١٧ ليس الله بحاكم ظالم أو قاسٍ، يجب أن يسكب غضبه على البشر، بل إنّ قلبه مملوء بالحنان من نحو الإنسان، وقد كان على استعداد لدفع أغلى ثمن لخلاص الناس. كان بإمكانه أن **يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم**، لكنه لم يفعل ذلك، بل أرسله، على نقيض ذلك، لكي يتألم، ويسفك دمه، ويموت، **ليخلص به العالم**. ولعظمة قيمة عمل الرب يسوع بات باستطاعة جميع الخطاة في كل مكان أن يخلصوا، بشرط قبوله.

٣: ١٨ والآن تنقسم البشرية جمعاء فريقين: مؤمنين وغير مؤمنين. وهكذا تتقرّر أبديتنا على أساس موقفنا من ابن الله. فالشخص الذي يؤمن بالمخلِّص، **لا يُدان**، أمّا الذي لا يؤمن به **فقد دين**. لقد أكمل الرب يسوع عمل الخلاص، وبات الآن على كل فرد أن يقرّر هل يقبله أو يرفضه. أنه لأمر مروّع أن يرفض الإنسان عطية محبة كهذه. وإن كان الإنسان لا يؤمن بالرب يسوع، فلا يعود أمام الله إلاّ أن يدينه.

إن الإيمان **باسم** الرب، هو نفسه الإيمان به؛ فالاسم، في الكتاب المقدس، يشير إلى الشخصية بأكملها. وإن كنت تؤمن باسمه، فأنت بذلك تؤمن به.

٣: ١٩ يسوع هو **النور** الذي جاء **إلى العالم**. كان حمل الله الخالي من أية خطية أو عيب. وقد مات لأجل خطايا كل العالم. لكن، هل يحبه الناس لأجل هذا؟ لا، إنما يكرهونه. كما أنهم يرفضونه، لأنهم يفضّلون خطاياهم على قبول الرب يسوع مخلّصًا. فالأشرار يهربون من حضرة المسيح، وذلك على غرار بعض الزحافات التي تنفر من النور.

٣: ٢٠ إن الذين يحبون الخطية، يكرهون **النور**، بما أن النور يكشف خطيتهم. فإبّان وجود يسوع في العالم، كان الخطاة ينزعجون من محضره، ذلك لأن قداسته كانت تلقي الأضواء على رداءة حالهم. كما أنّ السبيل الأمثل لكشف التواء أحد العيدان، هو وضع أحد العيدان المستقيمة إلى جانبه. والرب يسوع، في مجيئه إلى العالم بوصفه الإنسان الكامل، أعلن اعوجاج الناس الآخرين جميعهم لدى مقايستهم به.

٣: ٢١ كل إنسان مخلص حقًا، سيُقبل إلى **النور**، أي إلى الرب يسوع، حيث يتحقق من بؤسه وشقائه وحالته الخاطئة. ومن ثم سيقبل المخلّص لنفسه، وهكذا يولد ثانية بالإيمان بالمسيح.

ط. *خدمة يوحنا المعمدان في اليهودية* (٣: ٢٢-٣٦)

٣: ٢٢ تناول الجزء الأول من هذا الأصحاح الحديث عن شهادة الرب يسوع في مدينة أورشليم. لكن يوحنا يصف لنا، ابتداء من هذا العدد وحتى نهاية الأصحاح، خدمة المسيح **في اليهودية**، حيث كان قد واصل ولا شك، إعلان الأخبار السارة المختصة بالخلاص. كان الناس الذين يُقبلون إلى النور، يُعمّدون. وقد يبدو لنا من هذا العدد أنّ يسوع هو الذي كان يعمّد بنفسه، لكننا نفهم من يوحنا ٤: ٢ أن هذا العمل كان يتم بأيدي تلاميذه.

٣: ٢٣ إن يوحنا المشار إليه في هذا العدد، هو يوحنا المعمدان. فهو كان ما يزال يكرز برسالة التوبة في محيط اليهودية، ويعمّد أولئك اليهود الذين تابوا استعدادًا لمجيء المسيّا. **وكان يوحنا أيضًا يعمّد في عين نون... لأنه كان هناك مياه كثيرة**. هذا لا يبرهن، بشكل قاطع وجازم، أنه انتهج في معموديّته أسلوب التغطيس، لكنه بالتأكيد يشير ضمنًا

إليه. فلو أنه كان يعمّد بالرش أو بسكب الماء، لما دعت الحاجة إلى الكلام عن وجود **مياه كثيرة** في المكان.

٣: ٢٤ إن الغرض من هذا العدد هو إعطاء بعض التوضيحات حول خدمة يوحنا المتواصلة، وحول استمرار اليهود الأتقياء في التجاوب معه. فبعد قليل سيُلقى يوحنا في السجن، حيث سيُقطع رأسه من أجل شهادته الأمينة. لكنه كان في ذلك الوقت، ما يزال يتابع مهمته بكل اجتهاد.

٣: ٢٥ يتّضح لنا من هذا العدد أنّ بعضًا من **تلاميذ يوحنا تباحثوا مع اليهود من جهة التطهير**. فماذا يعني ذلك؟ فالتطهير، على الأرجح، يشير هنا إلى المعمودية. وكانت المسألة موضوع الجدل هل معمودية يوحنا أفضل من معمودية يسوع. وأيّة واحدة من المعموديتين كانت أكثر اقتدارًا؟ وأيّة واحدة منهما كانت لها قيمة أعظم؟ فربما كان بعض تلاميذ يوحنا قد ادّعوا، عن جهل، أنه ما من معمودية أفضل من تلك التي يمارسها معلّمهم. أو لعلّ الفريسيين حاولوا أن يزرعوا بذور الغيرة من يسوع ومن شعبيته المتزايدة في قلوب تلاميذ يوحنا.

٣: ٢٦ جاؤوا إلى يوحنا للاحتكام إليه. وكأنهم راحوا يخاطبونه بالقول: "إذا كانت معموديتك هي الفضلى، فلماذا يقوم العديد من الناس بتركك وبإتّباع يسوع؟" (فالعبارة «**هوذا الذي كان معك في عبر الأردن**» تشير إلى المسيح). كان يوحنا قد شهد للرب يسوع، وعلى أثر ذلك، ترك العديد من تلاميذ يوحنا معلمهم، وصاروا يتبعون يسوع.

٣: ٢٧ إن كان يوحنا قد قصد في ردّه أن يشير إلى الرب يسوع، فهذا يعني أنّ كل نجاح أحرزه المخلّص، إنما كان علامة على رضى الله عليه. وفي حال كان يوحنا يتكلم هنا عن نفسه، فهو في الواقع يصرّح بأنه لم يسبق له قط أن ادّعى أية عظمة أو أهمية لشخصه. فهو لم يعتبر قط أن معموديته كانت أرفع شأنًا من معمودية يسوع، بل كان بكل بساطة يقول هنا إنه لم يكن يملك أي شيء سوى ما أُعطي من السماء. وهذا يصحّ علينا جميعنا، حتى إنّه لا سبب في الكون يبرّر افتخارنا أو سعينا لتعزيز مكانتنا في نظر الناس.

٣: ٢٨ ذكّر يوحنا تلاميذه بأنه قد أشار أمامهم مرارًا وتكرارًا إلى أنه **ليس هو المسيح**، بل كان **مُرسَلاً** فقط لإعداد طريق المسيّا. فلماذا يتخاصمون بشأنه؟ ولماذا يسعون لتجميع حزبٍ حوله؟ فهو لم يكن ذلك الشخص الهام، بل إنّما كان يحاول توجيه الناس إلى الرب يسوع.

٣: ٢٩ كان الرب يسوع المسيح هو **العريس**، فيما يوحنا المعمدان لم يكن سوى **صديق العريس**. والعروس لا تخص صديق العريس، بل بالحري تخصّ **العريس** نفسه. لذا كان من المناسب أن يقوم الشعب باتّباع يسوع وليس يوحنا. لقد ورد ذكر **العروس** هنا للإشارة، بشكل عام، إلى جميع الذين سيُصبحون من تلاميذ الرب يسوع. ففي العهد القديم، ورد الكلام عن إسرائيل بصفتها زوجة يهوه. وفيما بعد، يصف العهد الجديد كنيسة المسيح مستعينًا بصورة العروس. لكن هذه العبارة استُخدمت هنا في إنجيل يوحنا بمعناها العام، إذ شملت أولئك الذين تركوا يوحنا المعمدان لدى ظهور المسيّا. إنها، في هذا السياق، لا تشير إلى إسرائيل، ولا إلى الكنيسة. ويوحنا لم يحزن لخسارة أتباعه، بل كان يغمره فرح عامر لدى إصغائه

إلى **صوت العريس**. كان راضيًا أن يرى يسوع يستحوذ على كل الاهتمام. وهكذا **كمل فرحه** عندما كان الناس يعظّمون يسوع ويكرّمونه.

٣: ٣٠ يلخّص هذا العدد كل الهدف من خدمة يوحنا. لقد عمل مجاهدًا بلا انقطاع، لتوجيه الرجال والنساء إلى المسيح، ولدفعهم إلى تقدير قيمته على حقيقتها. ويوحنا، بفعله هذا، أدرك ضرورة الإبقاء على نفسه خلف الرب. فكل سعي لخادم المسيح لجذب الانتباه إليه يشكّل في الواقع ضربًا من الخيانة وعدم الولاء للرب.

لنلاحظ العبارات الثلاث التي تتصدّرها الكلمة «ينبغي» في هذا الأصحاح: بالنسبة إلى الإنسان الخاطي (ع٧)؛ وبالنسبة إلى المخلِّص (ع١٤)؛ وبالنسبة إلى المؤمن (ع٣٠).

٣: ٣١ يسوع هو **الذي يأتي من فوق وهو فوق الجميع**. ويهدف هذا التصريح إلى إظهار أصله السماوي ومقامه السامي. وبالمقابل، صرّح يوحنا المعمدان، وفي معرض برهانه على حقارته النسبية، بأنه كان هو نفسه **من الأرض وكان أرضيًا ومن الأرض يتكلم**. إنه يعني ببساطة أنه كان، لجهة ولادته، ابن والدين بشريين. كذلك، وبسبب افتقاره إلى أي مقام سماوي رفيع، ما كان بوسعه التكلم بالسلطان نفسه الذي يملكه ابن الله. كان يوحنا أقلّ شأنًا من الرب يسوع، ذلك لأن **الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع**. فالمسيح هو السيّد المطلق على الكون بأسره. إذًا حري بالناس أن يتبعوه هو عوضًا عن اتّباع رسوله.

٣: ٣٢ متى تكلم الرب يسوع، كان يتكلم بسلطان. كان ينقل إلى الناس **ما رآه وسمعه**، الأمر الذي ينفي احتمال حصول أي خطإٍ أو غش. لكن، ويا للعجب، **ليس أحد يقبل شهادته**. وهذه العبارة «**ليس أحد**»، يجب عدم تناولها بمعناها المطلق. فهناك دائمًا أفراد يقبلون كلمات الرب يسوع. إلاّ أن يوحنا كان ينظر هنا إلى البشرية، بشكل عام، معلنًا ببساطة أن الناس في غالبيتهم، يرفضون تعاليم المخلّص. كان يسوع الشخص الإلهي الذي نزل من السماء، لكنهم قليلون نسبيًّا أولئك الذين كانوا على استعداد للإصغاء إليه.

٣: ٣٣ يصف العدد ٣٣ القلّة التي قبلت كلمات الرب بصفتها كلمات الله نفسه. إنهم بذلك قد **ختموا أن الله صادق**. وهكذا هو الحال في أيامنا: عندما يقبل الناس رسالة الإنجيل، فإنهم بذلك يقفون في صف الله ضدّ أنفسهم وضدّ باقي الناس. إنهم يدركون أنه متى تفوّه الله بشيء ما، فلا بدّ أن يكون ذلك حقًّا. ولنلاحظ أن العدد ٣٣ يعلّم في وضوح بلاهوت المسيح. فهو يذكر أن كل من يؤمن **بشهادة** المسيح، يكون بذلك قد اعترف **بأن الله صادق**. إنه مجرّد أسلوب آخر للقول إن شهادة المسيح هي شهادة الله، وإن قبول إحداهما يعني أيضًا قبول الأُخرى.

٣: ٣٤ كان يسوع **من أرسله الله**. لقد نطق **بكلام الله**. ولدعم هذا التصريح، صرّح يوحنا بأنه **ليس بكيل يعطي الله الروح**. كان يسوع ممسوحًا بروح الله القدوس بشكل لم يكن ليصحّ على أي شخص آخر. فالآخرون وعوا معونة الروح القدس لهم في خدمتهم لكن لم يحظَ أحد من الناس بخدمة مملوءة بالروح القدس كما كان الحال مع ابن الله. وهكذا حصل الأنبياء على إعلان جزئي عن الله؛ أمّا الروح القدس ففي المسيح، وبه، أعلن للإنسان كل حكمة الله، وقلب الله بكل ما فيه من محبة غير محدودة.

٣: ٣٥ أمامنا مرة واحدة من أصل سبع مرات فيها يذكر لنا إنجيل يوحنا أن **الآب يحب الابن**. وقد ظهرت هذه المحبة هنا بمنحه السلطان على **كل شيء**. كما أن مصائر الناس، كما يوضح لنا العدد ٣٦، هي من جملة الأمور الواقعة تحت سيطرة المخلّص.

٣: ٣٦ لقد منح الله المسيح السلطان لإعطاء **حياة أبدية** لكل الذين يؤمنون به. وهذا العدد هو من أكثر الأعداد وضوحًا في كل الكتاب المقدس حول السبيل لإخبار الخلاص. فالخلاص يحصل ببساطة بالإيمان **بالابن**. نحتاج، خلال قراءتنا لمضمون هذا العدد لأن نتحقق أنّ الله هو المتكلم. إنه تعالى يقطع وعدًا، لا يمكن نقضه أبدًا. وهو يقول، بكل وضوح، إن كل **من يؤمن بالابن له حياة أبدية**. إن قبول هذا الوعد ليس بمثابة قفزة في الظلام، بل هو ببساطة الإيمان بما هو حق ولا يمكن أن يكون كذبًا. أمّا الذي لا يطيع **ابن الله، فلن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله** منذ الآن. وهكذا يتبين لنا من هذا العدد أنّ مصيرنا الأبدي يعتمد على موقفنا من **ابن الله**. فإذا قبلناه، فعندئذ سيمنحنا الله **الحياة** الأبدية. وإن رفضناه، لن تكون لنا البتّة **حياة** أبدية. وليس هذا فقط، بل إن سيف غضب الله يكون مُسلّطًا على أعناقنا منذ الآن، وقد يهوي علينا في أية لحظة.

ولنلاحظ جيدًا أن لا ذكر البتة في هذا العدد لأي شيء يتعلق بحفظ الناموس، أو إطاعة القاعدة الذهبية، أو الذهاب إلى الكنيسة، أو بذل قصارى جهدنا، أو شق طريقنا إلى السماء بأنفسنا.

ي. امرأة في السامرة ترجع إلى الرب (٤: ١-٣٠)

٤: ١، ٢ كان **الفريسيون** قد **سمعوا أن يسوع** كان **يعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا**، وأن شعبية يوحنا كانت تشهد انحدارًا واضحًا. ولعلهم حاولوا بذلك زرع بذور الغيرة والخصام بين تلاميذ يوحنا وتلاميذ الرب يسوع. وفي الواقع، لم يكن **يسوع** هو الذي **يعمّد** بنفسه، بل كان ذلك يحصل على أيدي تلاميذه. غير أنه على كل حال، كانت نيّة الذين يعتمدون هي أن يصبحوا من أتباع الرب أو من تلاميذه.

٤: ٣ كان يسوع، بتركه **اليهودية** قاصدًا الجليل، يسعى لعرقلة مساعي الفريسيين للتسبّب بشقاقات. لكن هذا العدد يحتوي أيضًا على شيء هام آخر. **فاليهودية** كانت بمثابة المقرّ الرئيس للنظام الديني اليهودي، فيما عُرفت مقاطعة **الجليل** بطابعها الأممي الصرف. لقد أدرك الرب يسوع أن القادة اليهود قد بدأوا في رفضه ورفض شهادته، لذا تحوّل الآن برسالة الخلاص إلى بني الأمم الأُخرى.

٤: ٤ كانت **السامرة** تقع على الطريق الذي يربط اليهودية بالجليل. لكن قلة فقط من اليهود كانوا يسلكون هذا الطريق. فمقاطعة السامرة كانت محتقرة كثيرًا لدى الشعب اليهودي حتى إنهم كانوا غالبًا ما يتخذون طريقًا أطول لبلوغ الجليل شمالاً، وذلك من خلال المرور ببيرية. لذا، عندما نقرأ أنه كان **لا بد** ليسوع أن **يجتاز السامرة**، علينا أن نفهم أن الاعتبارات الجغرافية ليست هي التي أرغمته على ذلك، بل إنما ارتأى سلوك هذه الطريق بسبب وجود نفس محتاجة في **السامرة**، كان باستطاعته مساعدتها.

٤: ٥ وصل الرب يسـوع، خلال عبوره السامرة، إلى قرية صغيرة **يُقال لها سوخار**، كانت تقع على مقربة من **الضيعة التي وهبها يعقوب ليوسف ابنه** (تك٤٨: ٢٢). وخلال تجوال يسـوع في تلك الربوع، كانت مشاهد تاريخها القديم ترتسم باستمرار في مخيلته.

٤: ٦ وكان **هنـاك نبـع يُعرف ببئر يعقـوب**. وما يزال باسـتطاعة الـزوار رؤية تلك البئر، بمـا أنها من الموقع الكتابية القليلة التي يمكن تحديدها اليوم بشـكل مؤكد تقريبًـا. وكان الوقـت **نحو الظهيرة** (بحسـب التقويم اليهودي)، أو السادسـة بعد الظهر (بحسـب التقويم الروماني)، عندما بلغ يسـوع البئر. كان قد **تعب** من جراء رحلته الطويلة سـيرًا على الأقدام، لذا **جلس على البئـر**. فيسوع كان أيضًا إنسانًا بالإضافة إلى كونه الله الابـن. فبصفتـه الله، لم يكن ليتعب أبـدًا، لكنه تعب كإنسـان. إننا نواجه صعوبة في محاولتنا استيعاب هذه الأمور كلها. غير أنه يعجز أي ذهن بشـري أن يفهم بالكلية شـخصية الرب يسـوع المسـيح. فحقيقة أنه كان بإمكان الله أن يتنازل إلى عالمنا ليعيش كالإنسـان الكامل بين الناس، تبقى سرًّا يفوق إدراكنا.

٤: ٧ في أثنـاء جلوس الرب يسـوع على البئر، **جاءت امرأة من القرية لتستقي مـاء**. وإذا حصل ذلك خلال سـاعة الظهيرة، كما يقول بعض العلماء، فتكون هذه المرأة قد جاءت إلى البئر طلبًا للماء في وقت غير مألوف للقيام بهذه المهام، بما أنه أحرّ فترات النهار. لكن هذه المرأة كانت جامحة وعديمة الأخلاق، فربّما اختارت هذا الوقت انطلاقًا من شـعورها بالخجـل، وحتى لا يراها أحد، بما أن المكان سيكون خاليًا من النساء الأخريات.

وبالطبع كان الرب على علم بأنها سـتكون عند البئر في هذا الوقـت المحدّد. لقد كان يعرف أن هذه النفس كانت في حاجـة إليه. لذا عزم علـى مقابلتها، وعلى إنقاذها من حياتها الخاطئة.

في هـذا النص، نجـد الـرب، مثالنا في ربـح النفوس، منهمـكًا في العمـل. ونحن نعمل حسـنًا إذا درسـنا الأسـاليب التي استعملها ليصل بهذه المرأة إلى الشعور بحاجتها، ومـن ثم يقدّم الحل لمشـكلتها. لقد خاطب ربنـا المرأة فقط سـبع مرات. كمـا أن المرأة تكلمت بدورها سبع مرات أيضًا: ست مرات مع الرب، ومرة واحدة مع أهل المدينة. ولو تكلمنا نحن مع الرب على قدر ما تكلمت هي، لربما نجحنا في شـهادتنا كنجاحها هي في تحدّثها إلى أهل المدينة. اسـتهلّ يسوع الحديث بطلبه معروفًا منها. وإذ كان قد أضناه السفر، **قال لها**: «**اعطني لأشرب**».

٤: ٨ يفسّـر لنا العدد ٨، من الزاوية البشرية، السبب الذي دعا الرب إلى الطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب. **كان تلاميذه قد مضوا** إلى سـوخار **ليبتاعوا بعض الطعام**. وكانـت قد درجـت العـادة أن يحملوا معهـم أوعية لاسـتقاء الماء، ويبدو أن التلاميـذ اخذوا هذه الأوعية معهم. وهكذا، لم يكن، حسـب الظاهر، في متناول يد الرب أية وسيلة للحصول على ماء من البئر.

٤: ٩ عرفت المرأة أن يسوع كان **يهوديًّا**، واستهجنت تحدّثه إليها وهي **سـامرية**. فالسـامريون كانوا يدّعون التحـدّر من يعقوب، ويعتبرون أنفسـهم إسـرائيليين حقيقيـين. وفي الواقـع، كانـوا خليطًا من النسـلين

اليهودي والأممي. وكان جبل جرزيم بمثابة المقرّ الرسمي لعبادتهم. كان هذا الجبل يقع في السامرة، وعلى مرأى من الرب ومن هذه المرأة خلال حديثهما معًا. بالمقابل، كان اليهود يكرهون السامريين في الصميم؛ وكانوا في نظرهم من المولّدين غير الصُّرحاء. لذا خاطبت هذه المرأة الرب بالقول: «**كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية؟**» لقد فاتها أن تدرك أنها كانت تتحدث إلى خالقها، وأن محبته كانت تسمو وترتقي فوق انحيازات البشر الحقيرة جميعها.

٤: ١٠، ١١ كان الرب، بطلبه معروفًا منها، قد حرّك اهتمامها وفضوليتها. وها هو الآن يثير هذه الفضولية أكثر بعد، إذ يتحدّث عن نفسه بوصفه الله والإنسان معًا. فهو كان قبل كل شيء **عطية الله**. الكائن الإلهي الذي قدّمه الله ليكون مخلّص العالم، ابنه الوحيد. لكنه كان أيضًا إنسانًا، إذ قد تعب من السفر، وطلب منها أن تعطيه **ليشرب**. وبكلمة أخرى، ولو أنها أدركت أن الذي يحدثها كان هو الله وقد ظهر في الجسد، **لطلبت هي منه** بَرَكة، ولكان قد **أعطاها ماء حيًّا**. لم يكن بوسع هذه المرأة التفكير إلاّ في الماء، بمعناه الحرفي، وفي عجز الرب عن الحصول عليه في غياب ما يلزم لذلك من أدوات. وبذلك تكون قد أخفقت تمامًا في التعرّف بالرب، وفي فهم كلماته.

٤: ١٢ ازدادت الأمور التباسًا عليها عندما فكّرت في رئيس الآباء **يعقوب** الذي كان قد وهب هذه البئر. وكان قد استخدمها **هو وبنوه ومواشيه**. وبعد مرور عدة قرون على ذلك، ها هي الآن أمام مسافر مُتعَب، يطلب منها أن تعطيه ليشرب من بئر يعقوب، ويدّعي مع هذا أن لديه قدرة على إعطائها ما هو أفضل من الماء الذي أعطاه يعقوب. فإن كان في حوزته هذا الشيء الأفضل، فلمَ يطلب بعدُ ماء من بئر يعقوب؟

٤: ١٣ وهكذا شرع الرب يفسّر لها الفرق بين الماء بمعناه الحرفي، من بئر يعقوب، والماء الذي يعطيه هو. **كل من شرب من هذا الماء، سوف يعطش أيضًا**. طبعًا، كان بوسع هذه المرأة السامرية فهم هذا الكلام. فهي اعتادت المجيء يوميًا إلى البئر لاستقاء الماء، لأن حاجتها إلى الماء استمرت، ولم تُسدّ تمامًا. وهكذا هي الحال مع جميع آبار هذا العالم. فالناس يسعون للحصول على الملذات والشبع من الأمور الأرضية، لكن هذه الأمور تبقى عاجزة عن إرواء ظمإ قلب الإنسان. وكما صرّح اغسطينوس في كتابه الاعترافات: "آه يا رب، أنت خلقتنا لنفسك، وقلوبنا لن تجد راحتها إلا فيك".

٤: ١٤ إن الماء الذي يعطيه يسوع يُشبع حقًّا. **وكل من يشرب** من بركات المسيح ومن مراحمه، لن يعطش ثانية. فإحساناته لا تملأ القلب وحسب، بل تجعله يفيض أيضًا. إنها أشبه بنبع متدفّق، يفيض باستمرار، ليس في هذه الحياة وحسب، بل في الأبدية أيضًا. فالعبارة «**ينبع إلى حياة أبدية**» تعني أن منافع الماء الذي يعطيه يسوع لا تقتصر على حياتنا على الأرض، بل تستمر إلى الأبد. إن المقارنة هنا هي واضحة جدًّا. فكل ما باستطاعة الأرض مدّنا به، لا يكفي لإشباع القلب البشري. لكن البركات التي يغمرنا بها المسيح، لا تملأ القلب وحسب، بل هي أعظم وأكبر من أن يقوى أي قلب على احتوائها كلها.

إن العالم الفسيح بأسره لا يكفي
لملء زوايا القلب الثلاث،
ولذلك ما يزال يشتهي،
لكن الثالوث الأقدس، خالقه، يستطيع وحده،
إشباع النهم العميق في قلب الإنسان المثلث الشكل.
جورج هربرت George Herbert

إن ملذات هذا العالم هي لبضع سنوات قصيرة، أمّا الملذات التي يمنحها المسيح فتستمر حتى **الحياة الأبدية**.

٤: ١٥ ما إن سمعت هذه المرأة بهذا الماء المدهش، حتى سارعت إلى الطلب من الرب أن يعطيها إياه. لكنها كانت ما تزال تفكّر في الماء، بالمعنى الحرفي للكلمة. كانت ترغب في ألاّ تعود مضطرة أن **تأتي** إلى هذه البئر يوميًا **لاستقاء** الماء، ومن ثم نقله إلى بيتها في وعاء ثقيل تحمله على رأسها. ما كانت لتفهم أن الماء الذي حدّثها عنه الرب يسوع، كان روحيًا، وأنه يشير إلى كل البركات التي تكون من نصيب النفس البشرية التي تؤمن به.

٤: ١٦ ثمة تحوّل مفاجئ في سياق الحديث، عند هذا الحد. كانت لتوّها قد طلبت ماء من الرب، لكنه قال لها **اذهبي وادعي زوجك**. لماذا؟ تحتاج هذه المرأة أن تُقرّ بأنها خاطئة، قبل أن يتسنى لها اختبار الخلاص. عليها أن تُقبل إلى المسيح بتوبة صادقة، معترفة له بذنبها وبعارها. والرب يسوع كان يعرف كل شيء عن الحياة الخاطئة التي عاشتها، وكان مزمعًا أن يقودها، خطوة فخطوة، للتحقق من ذلك بنفسها.

إن الذين يعرفون أنفسهم أنهم هالكون، يستطيعون وحدهم أن يختبروا الخلاص. فجميع الناس هالكون، لكن ليسوا جميعهم على استعداد لقبول ذلك. من هنا ضرورة ألاّ نتجنب أبدًا مسألة الخطية، في معرض سعينا لربح الناس للمسيح. بل ينبغي مواجهتهم بحقيقة كونهم أمواتًا في الذنوب والخطايا، وفي حاجة إلى مخلِّص، وهم عاجزون عن تخليص أنفسهم بأنفسهم، وأن يسوع هو المخلّص الذي يحتاجون إليه، وأنه سوف يخلّصهم إذا تابوا عن خطيتهم، وآمنوا به.

٤: ١٧ حاولت المرأة في بادئ الأمر الامتناع عن قول الحق، من دون التلفُّظ بكلام كاذب. **فقالت «ليس لي زوج»**. وربما جاء تصريحها هذا صحيحًا، من الناحية القانونية. لكنها كانت تهدف من ورائه إلى إخفاء شناعة واقع كونها عائشةً آنذاك في الخطية مع رجل لم يكن زوجها.

> إنها تتحدث عن الدين، وتبحث بعض المسائل اللاهوتية، وتستخدم بعض التعابير الساخرة، وتدّعي أنها أصيبت بصدمة، وأي شيء آخر، لمنع المسيح من رؤية نفسها التائهة والهائمة في هربها من ذاتها. *(ملاحظات يومية من اتحاد الكتاب المقدس)*.

كان الرب يسوع، لكونه الله، على علم بهذه الأمور جميعها. لذا، **قال لها**: «**حسنًا قلتِ ليس لي زوج**». ما كان باستطاعتها أن تخدع هذا الإنسان، مع أنها ربما تكون قد نجحت في خداع باقي الناس. فهو كان يعرف كل شيء عنها.

٤: ١٨ لم يكن الرب قطُّ ليستخدم معرفته الكاملة بكل شيء لفضح الناس أو تخجيلهم بلا فائدة. لكنه استخدمها، كما هو الحال هنا، لإنقاذ شخص من

عبودية الخطية. ولكم روّعها بسطه أمامها ماضيها المخزي. لقد كان لها **خمسة أزواج**، كما أن الرجل الذي كان يعيش معها الآن، **ليس زوجها**.

إن وجهات النظر حول هذا العدد، تختلف بعض الشيء. وبعضهم يعلّم أن أزواج هذه المرأة الخمسة السابقين كانوا إمّا قد ماتوا وإمّا قد هجروها، حتى إنه ما كان ليشوب علاقتها بهم أية شائبة. إلاّ إن الجزء الأخير من هذا العدد، يحسم هذه المسألة، إذ يعلن لنا أن هذه المرأة كانت زانية: «**والذي لك الآن ليس زوجك**». وهنا يكمن بيت القصيد. لقد كانت هذه المرأة خاطئة، وكان عليها أن تكون على استعداد للاعتراف بذلك حتى يتسنّى للربّ أن يباركها بمنحها الماء الحي.

٤: **١٩** لقد أدركت هذه المرأة أنها لم تكن تتحدث إلى رجل عادي، وذلك بعد أن كشف لها حقيقة أمرها. إلاّ إنها لم تكن قد عرفت بعد أنه الله. لقد اعتبرته **نبيًّا**، أي ناطقًا بلسان الله، وكان ذلك أسمى ما تمكّنت من أن تتصوّره عنه.

٤: **٢٠** عند هذا الحدّ، كانت المرأة، على ما يبدو، قد وقعت تحت التبكيت بسبب خطاياها، لذا حاولت تغيير مجرى الحديث بطرحها على الرب سؤالاً حول المكان المناسب للعبادة، فخاطبت الرب بالقول: «**آباؤنا سجدوا في هذا الجبل**»، وكانت بذلك تشير إلى جبل جرزيم القريب. ومن ثم، قامت بتذكير الرب (لم يكن ذلك بالأمر الضروري)، بأن اليهود يقولون إن **أورشليم هي الموضع الذي ينبغي أن يُسجد فيه**.

٤: **٢١** لم يتحاشَ يسوع ملاحظتها هذه، بل استخدمها لعرض المزيد من الحق الروحي. فأعلمها أنه سيأتي وقت حين لن تعود تمارَس العبادة لا في جبل جزريم، ولا في أورشليم. فبحسب العهد القديم، كانت أورشليم هي المدينة التي عيّنها الله لعبادته فيها. كما أن هيكل أورشليم كان يشكّل مسكن الله، لذا توافد اليهود الأتقياء إلى أورشليم حاملين معهم ذبائحهم وتقدماتهم. وطبعًا، كل هذا لا يصحّ في عصر الإنجيل، حيث لم يعد هناك أي مكان محدّد يجب أن يؤمّه الناس لعبادة الله فيه. وقد أسهب الرب في الكلام عن هذا الأمر في الأعداد التالية.

٤: **٢٢** والرب، بقوله: **أنتم تسجدون لما لستم تعلمون**، كان بذلك يدين العبادة على الطريقة السامرية. وإنّ في تصريح الرب هذا نقضًا واضحًا لآراء اللاهوتيين العصريّين الذين يدّعون صحّة جميع الديانات، وقدرتها جميعها على منح الناس، في نهاية المطاف، نصيبًا في السماء. فالرب يسوع نقل إلى هذه المرأة كون الله غير موافق على عبادة السامريين، وغير راضٍ عنها. فهي ليست من وحي كلمة الله، بل هي من اختراع البشر. لكن هذا لم يكن ليصحّ على عبادة اليهود. فالله كان قد أفرز الشعب العبراني في القديم، ليكون شعبه الأرضيّ، ولذا مدّهم بالتعليمات الكافية والوافية لتوجيههم في سبيل عبادته.

لأن الخلاص هو من اليهود: لقد علّم الرب هنا أن الله كان قد عيّن الشعب اليهودي لحمل رسالته، كما أن الأسفار المقدسة قد أُعطيت لهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن المسيح جاء من الأمة اليهودية، بما أنه وُلد من أم يهودية.

٤: ٢٣ أمّا الأمر التالي الذي نقله الرب يسوع إلى هذه المرأة فهو أنه، بعد مجيئه، لم يعد لدى الله أي مكان محدّد لعبادته على الأرض. فالذين يؤمنون بالرب يسوع بات باستطاعتهم الآن عبادة الله في كل زمان ومكان. ذلك لأن العبادة الحق تعني أن المؤمن يدخل إلى حضرة الله بالإيمان لكي يسبّحه ويعبده هناك. فالإنسان يستطيع بروحه، الاقتراب إلى الله في الأقداس السماوية، بالإيمان، وذلك سواء أكان جسده في جب الأسود، أو في السجن، أو في الحقل. لذا أعلن يسوع لهذه المرأة أنه من ذلك الوقت فصاعدًا، سيكون السجود للآب بالروح والحق. فاليهود كانوا قد جعلوا العبادة تقتصر على الشكليات الخارجية والطقوس. كانوا يظنون أنّهم بتمسّكهم بحرفية الناموس، وبممارستهم لبعض الشعائر الدينية، كانوا في الواقع يسجدون للآب. لكن عبادتهم هذه لم تكن بالروح. كانت خارجية، لا داخلية. ربما كانت أجسادهم محنية إلى الأرض، فيما قلوبهم لم تكن مستقيمة أمام الله. فلعلهم كانوا يظلمون المساكين، أو يستعملون أساليب الغش في أعمالهم.

وكان السامريون، بالمقابل، يمارسون عبادة طقسيّة لكنّها مغلوطة. كان يعوزها سند من الكتاب المقدس لها. كانوا قد ابتكروا ديانتهم الخاصة بهم، ويمارسون فرائض من اختراعهم. لذا كان الرب، بقوله إن السجود يجب أن يكون بالروح والحق، يوبّخ في الواقع كلاً من اليهود والسامريين. لكنه أراد أن ينقل إليهم أيضًا أنه، وبعد مجيئه إلى العالم، بات بإمكانهم الآن الاقتراب إلى الله بواسطته، في سجود مُخلِص وحقيقي. تأمل هذا مليًّا! لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. فالله مهتم بعبادة شعبه له. فهل يحصل مني على هذه العبادة؟

٤: ٢٤ الله روح، هو تعريف بكيان الله. فهو ليس مجرّد إنسان، معرّض لشتّى أخطاء البشرية وقصورها. ولا هو محدّد في مكان معيّن في أي وقت من الأوقات. لكنه شخص لا يُرى، وهو حاضر في كل الأمكنة في آن، كما أنه كلّي المعرفة وكلّي القدرة. إنه كامل في جميع طرقه. لذا، فإن الذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. فلا مجال للمراءاة هنا. ولا داعي للادّعاء بالتقوى، عندما يكون داخلُ أحدنا فاسدًا. كما أن التفكير في أن الله يرضى علينا إذا مارسنا بعض الشعائر والطقوس، هو تفكير في غير محله. ولئن كان الله قد أرسى بنفسه هذه الفرائض، فهو ما يزال يُصر على ضرورة أن يتقدم منه الإنسان بقلب تائب ومنكسر. إن اللفظة «ينبغي»، وردت مرتين أيضًا في هذا الأصحاح: «ينبغي» لرابحي النفوس (والتي تُرجمت في العربية «لا بد»؛ ٤: ٤)، و«ينبغي» للساجد (٤: ٢٤).

٤: ٢٥ إن إصغاء المرأة السامرية إلى الرب جعلها تفكّر في المسيا الآتي. لقد حرّك روح الله القدوس في داخلها رغبة مقدّسة في رؤية هذا المسيا يُقبِل. وهكذا عبّرت عن يقينها بأنه، لدى حضوره، سوف يخبرنا بكل شيء. من هذا التصريح أظهرت بكل جلاءٍ إدراكها لأحد أعظم الأهداف من مجيء المسيح.

أما العبارة «مسيّا الذي يُقال له المسيح»، فيُقصد منها فقط توضيح شبه هاتين الكلمتين في المعنى. فالمسيا هو اللقب العبراني للكائن الإلهي الذي مسحه الله، فيما المسيح هي اللفظة العربية المقابلة.

٤: ٢٦ قال لها يسوع بالحرف الواحد: «**أنا الذي أكلّمك هو**». وبذلك، يكون يسوع قد استخدم لنفسه أحد أسماء الله في العهد القديم: «**أنا هو**». فهو خاطبها بالقول: "**أنا هو** يكلمك" أو بعبارة أخرى، "يهوه هو الذي يكلمك". لقد أعلن لها هويته المدهشة: فالذي كان يكلمها هو المسيّا الذي كانت هي في انتظاره، كما أنه هو الله بنفسه. ذلك أنّ يهوه العهد القديم هو يسوع العهد الجديد.

٤: ٢٧ لمّا رجع التلاميذ من سوخار، وجدوا الربّ يسوع **يتكلّم مع** هذه **المرأة**. وقد تعجّبوا من كونه يتكلّم معها لأنّها سامريّة. ويُحتمل أيضًا أنّهم استطاعوا أن يميّزوا أنّها كانت خاطئة. ومع ذلك لم يسأل أحد الربَّ عمّا كان يطلبه منها ولا لماذا كان يتكلّم معها. وحسنًا قيل: "تعجّب التلاميذ من كونه يتكلّم مع المرأة، وكان أحرى أن يتعجّبوا من كونه قد تكلّم معهم هم!".

٤: ٢٨ فتركت المرأة جرتها. وهذه الجرة ترمز إلى مختلف الأمور التي حاولت استخدامها في حياتها لإشباع أعمق ما تتوق إليه نفسها. لقد برهنت جميعها على عدم جدواها. أمّا الآن، وبعد أن وجدت الرب يسوع، فلم يعد لديها أية حاجة إلى تلك الأمور التي كان لها بالغ الأهمية في حياتها قبلاً.

لقد جربت الآبار المشقّقة، يا رب،
لكن آه، لأن المياه خذلتني
وتوارت، حتى عندما انحنيت لأشرب،
كما أنها سخرت بي فيما رحت اصرخ مولولاً.
والآن، لا شبعَ لي إلاّ في المسيح،
واسمه وحده يكفيني،
ففيك أيها الرب يسوع
أجد المحبة، والحياة، والسعادة الدائمة.

ب. أ *B.E.*

وهي **لم تترك جرتها** وحسب، بل **مضت** أيضًا **إلى المدينة**. فما إن يختبر أحدنا الخلاص، حتى يبدأ للحال يفكّر في الآخرين الذين هم في حاجة إلى ماء الحياة. علّق ج. هدسوت تايلور *J. Hudson Taylor* على هذا بالقول: "بعضهم متحمّسون جدًّا لخلافة الرسل؛ أمّا أنا فأفضّل بالحري أن أخلف المرأة السامرية التي في غيرتها على النفوس، نسيت جرتها، فيما كان الرسل منهمكين بأمر الطعام".

٤: ٢٩، ٣٠ كانت شهادتها فعّالة على الرغم من بساطتها. فهي دعت جميع سكان المدينة إلى المجيء للنظر **إلى إنسان قال لها كل ما فعلته**. كما أنها حرّكت قلوبهم بحديثها أمامهم عن احتمال أن يكون هذا الرجل هو المسيّا. فبالنسبة إليها هي شخصيًا، لم يكن لديها أدنى شك في صحة ذلك، ولا سيّما لأنّ الرب سبق له أن أعلن لها عن ذاته بأنه **المسيح**. لكنها أثارت هذا التساؤل في أذهانهم حتى يتسنى لهم أن يقصدوا يسوع، ويتحققوا بأنفسهم من صحة ذلك. كان ولا شك، قد ذاع صيت هذه المرأة في القرية، وذلك بسبب خطيتها وعارها. وكم أذهل الناسَ آنذاك أن يروها الآن واقفة في الأماكن العامة، لتشهد جهارًا للرب يسوع. لقد أثبتت شهادة هذه المرأة فعاليتها. ذلك لأن سكان تلك القرية، تركوا بيوتهم وأعمالهم، إذ خرجوا في اثر يسوع.

ك. مسرة الابن بعمل إرادة أبيه (٤: ٣١-٣٨)

٤: ٣١ عاد التلاميذ بالطعام، وهكذا دعوا الرب إلى **الأكل**. يبدو أنهم لم يكونوا على علم بالأحداث العظيمة التي كانت تحصل في ذلك الموضع. ففي تلك اللحظات التاريخية، التي كانت فيها مدينة سامرية تتعرف برب المجد، لم تكن أفكارهم لترتفع أعلى من مستوى طلب الطعام لأجسادهم.

٤: ٣٢ لقد وجد الرب يسوع **طعامًا** وشبعًا في كسبة لأبيه السماوي عابدين. وبالمقارنة مع هذا الفرح، بدا الغذاء الجسدي قليل الأهمية. ونحن نحصل على ما نسعى في أثره في الحياة. فاهتمام التلاميذ كان في الطعام؛ لذا مضوا إلى القرية للحصول على طعام، ثم عادوا حاملين معهم طعامًا. أمّا الرب فكان مهتمًّا بالنفوس، كان مهتمًّا بتخليص الرجال والنساء من الخطية، ومنحهم ماء الحياة الأبدية. فهو أيضًا وجد ما جدّ في أثره. ونحن بدورنا، ماذا يشغلنا؟

٤: ٣٣ اخفق **التلاميذ** في إدراك أبعاد كلمات الرب، وذلك بسبب نظرتهم الأرضية إلى الأمور. فإنهم ما كانوا ليقدّروا حقيقة أنه "باستطاعة الفرح والسعادة بالنجاح الروحي رفع الناس آنيًّا، فوق جميع احتياجاتهم الجسدية، لكي تحلّ مكان المآكل والمشرب". لذا استخلصوا، في أذهانهم، أنه لا بد من أن أحدًا ما جاء إلى يسوع قبلهم وأتاه بالطعام.

٤: ٣٤ يحاول يسوع مجدّدًا الآن تحويل أبصارهم عن الأمور المادية إلى الأمور الروحية. **فطعامه** كان أن **يعمل مشيئة الله**، وأن يكمّل العمل الذي كان الله قد أوكله إليه. وهذا لا يعني أن الرب يسوع كان يمتنع عن تناول الطعام الفعلي، بل المقصود بالحري هنا هو أن عمل مشيئة الله، وليس الاهتمام بالجسد، كان الهدف الأعظم عند الرب يسوع، وشغله الشاغل في حياته.

٤: ٣٥ لعل التلاميذ كانوا يتحدثون معًا حول الحصاد المقبل. أو ربما كانت العبارة "**أربعة أشهر** بين البذار **والحصاد**" بمثابة قول مأثور في أوساط اليهود. وعلى كل حال، عاد الرب يسوع يستعين مرة أخرى **بالحصاد**، هذه الحقيقة المادية، لتلقين درس روحي. كان على التلاميذ ألاّ يفكروا في إن وقت الحصاد كان ما يزال بعيدًا. لم يكن من الخير لهم أن يقضوا حيواتهم في طلب الطعام واللباس، على اعتبار أنه سيبقى بوسعهم أن يتمموا عمل الله في ما بعد. كانوا يحتاجون أن يتحققوا من أن **الحقول قد ابيضّت للحصاد** منذ الآن. والحقول هنا تشير، بالطبع، إلى العالم. ففي اللحظة التي تفوّه فيها الرب بهذه الكلمات، كان في وسط حقل جاهز للحصاد، ويحتوي على النفوس الثمينة لرجال السامرة ونسائها. كان يخبر تلاميذه عن عملية جمع عظيمة كانت في انتظارهم، وعن ضرورة انكبابهم على تتميمها فورًا وبكل اجتهاد.

واليوم أيضًا، ما يزال الرب يخاطب المؤمنين بيننا بالقول: «**ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول**». وعلى قدر ما نخصّص وقتًا كافيًا للتأمل في حاجات العالم العظيمة، يضع الرب على قلوبنا ثقلاً مقدسًا بخصوص النفوس الهالكة حوالينا. ومن ثم ستترتب علينا مسؤولية الذهاب لأجله، لجلب الحزم المملوءة ثمارًا ناضجة.

٤: ٣٦ يوجّه الرب يسوع الآن التلاميذ بشأن العمل الذي كانوا مدعوّين إلى القيام به. فهو اختارهم ليكونوا حصّادين. وهم بذلك، لن يتقاضوا أجرة في هذه الحياة فقط، بل سيجمعون ثمرًا للحياة الأبدية أيضًا. فخدمة المسيح تترتب عليها مكافآت كثيرة في الزمن الحاضر. لكن سيأتي اليوم الذي فيه سينعم الحصادون بفرح إضافي إذ يرون في السماء النفوس التي هي ثمر إخلاصهم في إعلان رسالة الإنجيل.

لا يعلّم العدد ٣٦ أن الإنسان يكسب الحياة الأبدية من طريق أمانته في قيامه بعمل الحصاد. لكنه يركّز بالحري على أن ثمر ذلك العمل يستمر إلى الحياة الأبدية.

في السماء، سيفرح الزارع والحاصد معًا. ففي الحياة العاديّة، يجب تهيئة الحقل أولاً، وإعداده لاستقبال البذار، وذلك قبل زرعها فيه. ثم لاحقًا يقوم الحصادون بجمع الغلة. هكذا هو الحال أيضًا على صعيد الحياة الروحية. ذلك لأنه ينبغي أولاً الكرازة بالرسالة، ثم يجب سقيها بالصلاة. لكن، متى حان موسم الحصاد، سيفرح معًا جميع الذين شاركوا في هذا العمل.

٤: ٣٧ رأى الرب في هذا، تتميمًا للقول الذي كان شائعًا في ذلك اليوم: «**إن واحدًا يزرع وآخر يحصد**». فبعض المسيحيين المؤمنين مدعوون إلى الكرازة بالإنجيل على مدى سنوات عديدة من دون رؤية الكثير من الثمر الناتج من تعبهم. ثم يأتي آخرون بعدهم في نهاية هذه السنوات، وإذا بالنفوس ترجع إلى الرب بأعداد كبيرة.

٤: ٣٨ كان يسوع يرسل تلاميذه إلى أماكن سبق أن أعدها آخرون. فالأنبياء كانوا، على امتداد فترة العهد القديم، قد تنبّأوا عن قدوم المسيّا، وعن حقبة الإنجيل. كما أنّ يوحنا المعمدان كان قد ظهر أيضًا على مسرح الأحداث الروحية كسابق للرب، ساعيًا لإعداد قلوب الناس لقبوله. كما أن الرب نفسه كان قد زرع البذار في السامرة، مُعدًّا بذلك حصادًا للحصادين. والآن، كانت أقدام التلاميذ ستطأ حقل الحصاد. لذا أراد لهم الرب أن يدركوا أنهم كانوا يدخلون على تعب آخرين، وذلك على الرغم من الفرح الذي سيغمرهم لدى رؤيتهم العديد من الناس يرجعون إلى المسيح.

إن عددًا قليلاً فقط من النفوس يخلصون نتيجة خدمة شخص واحد. فمعظم الناس يسمعون رسالة الإنجيل مرات عديدة قبل قبولهم المخلّص. لذا، يتعيّن على مَن يقوم أخيرًا بقيادة شخص ما إلى المسيح ألاّ يعتز كثيرًا بنفسه، وكأنه الأداة الوحيدة التي استخدمها الله في هذا العمل المدهش.

ل. العديد من السامريين يؤمنون بيسوع (٤: ٣٩-٤٢)

٤: ٣٩ بعد أن تفوهت المرأة السامرية بشهادتها البسيطة والصريحة، آمن كثيرون من شعبها بالرب يسوع. كان كل ما صرّحت به هو: «**قال لي كل ما فعلت**»، ومع هذا، فقد كان كافيًا لجذب الآخرين إلى المخلّص. يجب أن يشجّعنا هذا على الشهادة للمسيح بكل بساطة وشجاعة وصراحة.

٤: ٤٠ جاء استقبال السامريين للرب يسوع مختلفًا تمامًا عن استقبال اليهود له. كان السامريون، على ما يبدو، يكنّون أصدق مشاعر التقدير لشخصه المبارك، لذا **سألوه أن يمكث عندهم**. وتلبية لدعوتهم، **مكث الرب هناك يومين**. فكّر قليلاً في الامتياز العظيم الذي نعمت به مدينة سوخار، عندما استضافت رب الحياة والمجد خلال هذه الفترة من الزمن.

٤: ٤١، ٤٢ ما من اختبارَي اهتداءٍ يتشابهان تمامًا. كان بعضهم قد آمنوا بسبب شهادة المرأة. لكن عددًا **أكثر جدًّا** آمنوا بسبب كلمات الرب يسوع نفسه. فالله يستخدم وسائل متنوعة لجذب الخطاة إليه. كما أن الشرط الأساسي الهامّ يبقى هو الإيمان بالرب يسوع المسيح. ويا لروعة الشهادة الواضحة للمسيح كما خرجت من أفواه هؤلاء السامريين. فالشكوك كانت غائبة تمامًا عن أذهانهم. كما أن ما تمتعوا به من يقين كامل وتام بنوال الخلاص، لم يؤسسوه على كلام المرأة، بل على كلمات الرب يسوع نفسه. فهؤلاء السامريون سمعوا الرب، وآمنوا بكلامه، وهكذا علموا أن **هذا هو بالحقيقة المسيح مخلّص العالم**. لقد كان باستطاعة الروح القدس وحده أن يعطيهم أن يدركوا هذا الحق. فالشعب اليهودي كانوا، على ما يبدو، يظنون أن المسيّا سيكون لهم وحدهم؛ أمّا السامريون ففهموا أن فوائد مهمة المسيح سوف تشمل العالم بأسره.

م. الآية الثانية: *شفاء ابن خادم الملك* (٤: ٤٣-٥٤)

٤: ٤٣، ٤٤ بعد اليومين اللذين قضاهما يسوع بين أوساط السامريين، مضى شمالاً **إلى الجليل**. ويبدو أن ثمة صعوبة تواجهنا في العدد ٤٤؛ ففيه نقرأ أن السبب وراء انتقال المخلّص من السامرة إلى الجليل كان لأن **ليس لنبي كرامة في وطنه**. إلاّ أن الجليل كان وطنه، بما أن الناصرة كانت تقع هناك. ولعلّ المعنى المقصود هنا هو أن يسوع توجّه إلى مكان في الجليل غير الناصرة. وعلى كل حال، تبقى هذه العبارة صحيحة، لأن ما يحصل عليه الإنسان من تقدير في وطنه يكون عادة أقلّ من التقدير الذي يكون من نصيبه خارج وطنه؛ فأقرباؤه وأصدقاؤه يعتبرون أنه واحد منهم وما يزال قاصرًا. وبالطبع، ما كان مواطنو الرب يسوع ليكنّوا له التقدير اللائق به.

٤: ٤٥ لدى عودة الرب **إلى الجليل**، استقبله الشعب هناك بحفاوة إذ **كانوا قد عاينوا كل ما فعل في أورشليم في العيد**. ومن الواضح إن الجليليين المشار إليهم هنا كانوا من اليهود الذين ذهبوا إلى أورشليم للعبادة. وقد تسنّى لهم هناك أن يروا الرب، ويشهدوا بعض أعماله الخارقة. والآن، اصبحوا مستعدين للترحيب به وسطهم في الجليل، لا على أساس اعترافهم به كابن الله، بل لأن يسوع، الذي كان قد ذاع صيته في كل مكان، أثار فضوليتهم.

٤: ٤٦ ومن جديد، كان لقرية **قانا** شرف أن يزورها الرب بنفسه. فبعض القوم كانوا قد شاهدوه، خلال الزيارة الأولى، يحوّل الماء إلى خمر. وها هم الآن سيعاينون معجزة أخرى سيصنعها الرب ويبلغ تأثيرها حتى إلى **كفرناحوم**. **كان خادم للملك ابنه مريض في كفرناحوم**. وهذا الرجل كان، ولا شك، يهوديًا يعمل في خدمة هيرودس الملك.

٤: ٤٧ لقد سمع هذا الرجل عن **يسوع** أنّه كان في **اليهودية**، وقد عاد الآن **إلى الجليل**. وبالطبع، كان لديه بعض الإيمان بقدرة المسيح الشفائية، ذلك لأنّه قصده مباشرة، **وسأله أن ينزل ويشفي ابنه** الذي كان مشرفًا على الموت. وعليه، يبدو أنه كان، في ثقته بالرب، يفوق معظم مواطنيه.

٤: ٤٨ كان الرب يخاطب الأمّة اليهودية ككل، وليس خادم الملك وحده، عندما ذكّرهم بإحدى ميزاتهم الخاصة، ألا وهي رغبتهم في رؤية عجائب **قبل** أن **يؤمنوا**. ونحن نجد، على العموم، أن الرب يسوع ما كان ليُسرّ بإيمان مؤسَّس على العجائب على قدر سروره بإيمان يرتكز على كلمته وحدها. وعندما يؤمن الناس بأمر ما، لمجرّد أنّ الرب نطق به، فإنّ الربّ في هذه الحال يتعظم أكثر بكثير ممّا في حال إيمانهم الناتج من معاينتهم لبرهان حسّي. إن من خصائص الإنسان كونه يريد أن يرى قبل أن يؤمن؛ أمّا الرب بالمقابل، فيعلّمنا أنه ينبغي لنا أن نؤمن أولاً، لكي يتسنّى لنا أن نرى لاحقًا.

الآيات والعجائب تشيران كلتاهما إلى المعجزات. فالآيات هي معجزات تحمل أبعادًا ومعاني عميقة، بينما العجائب هي معجزات تُدهش الناس بطبيعتها الخارقة.

٤: ٤٩ كان **خادم الملك** واثقًا بأن ابنه سيجني فائدة عظيمة من زيارة يسوع له. لذا جاء يلحّ عليه، بإيمان صادق، أن يقوم بهذه الزيارة، أكثر من أي شيء آخر. لكن من ناحية أخرى، كان إيمانه ناقصًا؛ ذلك لاعتقاده أن يسوع كان يحتاج أن يحضر إلى أمام سرير الولد حتى يتمكن من إبرائه. إلاّ أن المخلّص لم يوبخه على ذلك، بل كافأه على مقدار الإيمان الذي أظهره.

٤: ٥٠ هنا نشهد نمو إيمان الرجل. فهو مارس ما كان عنده من إيمان، ومن ثمّ منحه الرب المزيد من الإيمان. فيسوع أرسله إلى بيته بعد أن حمّله الوعد التالي: «**ابنك حي**». كان ابنه قد شُفي. **لقد آمن الرجل بكلمة الرب يسوع**، ولم يطلب أن يرى معجزة أو برهانًا حسيًّا، وهكذا انطلق في طريقة إلى بيته. هذا هو الإيمان وهو يعمل.

٤: ٥١، ٥٢ وفيما كان يقترب من بيته، خرج **عبيده** ليزفّوا له بشرى شفاء **ابنه**. هذا الإعلان لم يكن ليصدم هذا الرجل، إذ سبق أن آمن بوعد الرب يسوع له، وكان الآن ينتظر رؤية ثمر ذلك. ثم **استخبر** الأب من عبيده عن الساعة التي أخذ فيها ابنه **يتعافى**. فجاء ردهم عليه ليكشف أن الشفاء لم يحصل بشكل تدريجي، إنما حصل فورًا.

٤: ٥٣ لقد تبدّد الآن أدنى شك في أن معجزة رائعة قد حصلت. ففي الساعة السابعة من اليوم الفائت، كان يسوع قد خاطب خادم الملك في قانا بالقول: «**إن ابنك حي**». وفي **تلك الساعة** عينها، شُفي الولد في كفرناحوم، وتركته الحمى. وقد تعلم خادم الملك من ذلك إن حضور الرب يسوع الشخصي إلى المكان، لم يكن ضروريًا لصنع المعجزة أو لاستجابة الصلاة. وهذا من شأنه تشجيع جميع المسيحيين المؤمنين في مجال الصلاة. فعندنا الله العظيم والمقتدر الذي يسمع طلباتنا، ويقدر أن يتمم مقاصده في أي وقت وفي أي جزء من العالم.

فآمن خادم الملك **هو وبيته كله**. ويظهر لنا من هذا النص ومن آيات أخرى شبيهة في العهد الجديد، أن الله يحب رؤية عائلات متحدة في المسيح. كما أنه ليست إرادته أن يكون هناك عائلات منقسمة في السماء. لذا يشدّد الوحي على حقيقة أن **بيت** هذا الرجل **كله** آمن بابن الله.

٤: ٥٤ إن شفاء ابن خادم الملك لم يكن المعجزة الثانية في خدمة الرب كُلّها حتى ذلك الحين. بل إنما كان **الآية الثانية** التي صنعها **يسوع في الجليل**، بعد أن **جاء من اليهودية**.

٣ـ ابن الله في السنة الثانية من خدمته (اص٥)

أ. الآية الثالثة: *شفاء الرجل المقعد* (٥: ١ـ ٩)

٥: ١ مستهلّ الأصحاح الخامس، كان قد حان وقت أحد الأعياد اليهودية. ويرى كثيرون أنه كان عيد الفصح، مع أنه من المستحيل تأكيد ذلك، بشكل جازم. **ويسوع**، الذي وُلد في العالم كيهودي، وعاش مطيعًا للشرائع التي كان الله قد سنّها للشعب اليهودي؛ **صعد إلى أورشليم** لأجل العيد. بصفته يهوه العهد القديم، كان الرب يسوع هو الذي أرسى في البداية فريضة الفصح. وها هو الآن، بوصفه الإنسان الكامل الخاضع لأبيه السماوي، يطيع القوانين التي كان قد سنّها بنفسه.

٥: ٢ وفي أورشليم، كانت هناك **بركة** يُقال لها **بيت حسدا**، بمعنى "بيت الرحمة"، أو "بيت الشفقة". وكانت هذه **البركة تقع عند باب الضأن**. وقد نجح علماء الآثار في التنقيب عنها وتحديد مكانها تمامًا (على مقربة من كنيسة القدّيسة حنّة التي تعود إلى زمن الصليبيين). وهذه البركة كانت تتألف من **خمسة أروقة** أو فسحات مفتوحة وواسعة، قادرة على استيعاب عدد كبير من الناس. ويرى بعض دارسي الكتاب المقدس أن هذه الأروقة الخمسة تمثّل شريعة موسى، وتتحدث عن عجزها عن مساعدة الإنسان على الخروج من ضيقاته العميقة.

٥: ٣ كانت بركة بيت حسدا قد اشتهرت، على ما يبدو، بمعجزات الشفاء التي تحصل فيها. غير أننا لا نعلم هل كانت هذه المعجزات تحدث على مدار السنة، أو خلال أوقات محدّدة، كأيام الأعياد مثلاً. وكان عدد كبير من المرضى يحيطون بالبركة، وقد أمّوا المكان على أمل نوال الشفاء. كان هناك **عُمي**، بالإضافة أيضًا إلى **عُرج وعُسم** (أي مُقعدين). وتصوّر لنا أصناف الضعف المتنوعة هذه حالة الإنسان الخاطي في عجزه، وعماه، وعرجه، وعدم منفعته.

هؤلاء القوم الذين كانوا يكابدون في أجسادهم نتيجة الخطية، **كانوا يتوقّعون تحريك الماء**. كانت قلوبهم مملوءة شوقًا إلى التحرر من هذه الأمراض، كما أنهم راحوا، بكل صدق، ينشدون الشفاء. وقد كتب بلّت *J. G. Bellet* في هذا المجال ما يلي:

> لقد قبعوا في أماكنهم حول هذا الماء غير اليقيني، والمخيّب للآمال، وذلك على الرغم من حضور ابن الله... وبالطبع، لنا في كل هذا درس قيّم. البركة مكتظة بالمُقيمين عندها، ويسوع يمر بالمكان، وليس من يأبه له. إنها خير شهادة لديانة الإنسان التي تنشط فيها الفرائض المعقّدة من جهة، وتُحتقر نعمة الله وتُهمل من جهة أخرى.

٥: ٤ يبدو السرد هنا غير كاف لإشباع فضوليتنا. فكل ما نقرأه هو أن **ملاكًا كان ينزل أحيانًا في البركة ويحرّك الماء**. وكل من نزل أولاً إلى الماء، في ذلك الوقت، كان يبرأ من مرضه. باستطاعتك تخيّل هذا المشهد المأساوي والمثير للشفقة، إذ ترى كل هذا العدد من الناس المحتاجين إلى مساعده، يجاهدون للنزول في الماء، في حين لا يقدر إلاّ واحد بينهم فقط على اختبار القوة الشافية. بعض ترجمات الكتاب المقدس تحذف الجزء الأخير من العدد٣ (ابتداء من العبارة «يتوقعون تحريك الماء») بالإضافة أيضًا إلى العدد ٤ بأكمله، لكن هذا الجزء يرد في معظم المخطوطات؛ كما أن القصة تفقد الكثير من معناها من دون ذكر السبب وراء وجود هؤلاء المرضى هناك.

٥: ٥، ٦ كان أحد الأشخاص المنتظرين عند هذه البركة رجلاً مقعدًا منذ **ثمانٍ وثلاثين سنة**. وهذا يعني أن حالة المرض هذه قد لازمته حتى منذ قبل ولادة المخلّص. والرب يسوع كان على علم تام بكل شيء. لقد عرف عن هذا الرجل أن له **زمانًا كثيرًا** في مرضه، مع أنه لم يسبق له أن التقاه من قبل.

خاطبه الرب بكل محبة وشفقة، **وقال له: أتريد أن تبرأ؟** لقد علم يسوع أن تلك كانت أعظم أمنية في قلب هذا الرجل، لكنه كان يريد أيضًا أن ينتزع منه إقرارًا صريحًا بضعفه وعجزه وبحاجته الماسة إلى الشفاء. وهكذا هو الحال أيضًا، إلى حدّ كبير، بالنسبة إلى الخلاص. فالرب يعرف أننا بأمسّ الحاجة إلى اختبار الخلاص، لكنه ينتظر ليسمع من شفاهنا إقرارًا بأننا هالكون وفي حاجة إليه وإلى قبوله مخلّصًا شخصيًا لنا. فنحن لا نخلص بعمل إرادتنا، غير أن الإرادة البشرية يجب أن تتحرك قبل أن يخلّص الله النفس.

٥: ٧ جاء جواب الرجل المريض مثيرًا للشفقة حقًا. لقد مكث عند هذه البركة على مدى سنين طويلة، منتظرًا النزول إليها، لكنه ما كان ليجد من يساعده، **متى تحرك الماء**. وفي كل محاولة له للنزول إلى البركة، كان شخص آخر يسبقه إلى ذلك. وهذا إنما يذكّرنا بمقدار خيبة أملنا في حال اعتمدنا على أمثالنا من البشر لتخليصنا من خطايانا.

٥: ٨ كان **سرير** الرجل عبارة عن فراش خفيف. لذا قال له يسوع: **قم، احمل سريرك وامشِ**. والدرس الذي لنا هنا هو أننا مدعوون، بعد اختبارنا الخلاص لا أن نقوم فقط، بل أن نمشي أيضًا. فالرب يسوع يمنحنا الشفاء من وباء الخطية، ومن ثم يتوقع منا أن نمشي، أو أن نسلك كما يحق له.

٥: ٩ لا يطلب المخلّص من أي كان القيام بعمل ما، من دون مدّه بالقوة اللازمة لتتميم ذلك. فلقد تغلغلت الحياة الجديدة والقوة في جسد هذا الرجل المعاق، حتى قبل أن أنهى الرب كلامه. فشفاؤه تمّ فورًا، ولم يحصل تدريجيًا. كما إن الأعضاء التي كانت ضعيفة أو غير صالحة لفترة طويلة من الزمن، أصبحت الآن تنبض بالحيوية والقوة. ثم تلى ذلك إطاعة فورية لكلمة الله. **فحمل سريره ومشى**. ولكم هزّ أعماقه كونه قد أصبح قادرًا على ذلك بعد ثمانٍ وثلاثين سنة من المرض.

كانت هذه المعجزة قد حصلت في يوم **السبت**، أي في اليوم السابع من الأسبوع. وكان محظورًا على الشعب اليهودي القيام بأي عمل في السبت. كان هذا الرجل الذي شُفي يهوديًا، إلاّ أنه لم يتردّد، بناء على أمر الرب يسوع له، في أن يحمل سريره، وذلك بالرغم من التقاليد اليهودية المختصة بيوم السبت.

ب. *المقاومة من قِبَل اليهود* (٥: ١٠-١٨)

٥: ١٠ عندما رأى **اليهود** الرجل حاملاً سريره يوم **السبت**، قاوموه بعنف. فهؤلاء القوم كانوا متزمتين جدًا، لدرجة الوحشية أحيانًا، في العمل بموجب الفرائض الدينية. كما أنهم تمسكوا في صرامة بحرفية الناموس، في حين فاتهم غالبًا أن يُظهروا أية رحمة أو شفقة للآخرين.

٥: ١١ قدّم الرجل الذي نال الشفاء جوابًا بسيطًا. فصرّح بأن الذي شفاه هو الذي قال له أن يحمل سريره ويمشي. فمن كان بإمكانه إبراء رجل مريض دام مرضه ثماني وثلاثين سنة، يجب إطاعته، حتى لو أعطى تعليماته لأحدهم بضرورة حمل سريره في السبت. لم يكن الرجل الذي شُفي يعرف تمامًا بعد هوية الرب يسوع في ذلك الوقت. لذا تحدّث عنه بشكل عام، لكن بتقدير عميق لشخصه.

٥: ١٢ كان اليهود مهتمين بكشف هوية الشخص الذي دعا هذا الرجل إلى نقض التقليد المختص بالسبت. لذا طلبوا منه تحديد المتّهم. فشريعة موسى كانت قد نصّت على ضرورة رجم كل من ينقض السبت حتى الموت. ومن جهة أخرى، لم يكن اليهود ليهتموا كثيرًا بأمر شفاء رجل مُقعد.

٥: ١٣ لم يكن الرجل الذي شُفي يعرف من هو شافيه. بل كان من الصعب تمييزه، ذلك لأن يسوع كان قد خرج من وسط الجموع.

يشكّل هذا الحدث إحدى نقاط التحوّل العظمى في خدمة الرب يسوع المسيح الجهارية. وبما أنه صنع هذه المعجزة في السبت، فإنه أضرم بذلك غضب القادة اليهود وحقدهم. لذا شرعوا في مطاردته طالبين قتله.

٥: ١٤ ثم بعد هذا، **وجد يسوع** الرجل الذي شُفي **في الهيكل**، حيث كان، ولا شك، يشكر الله على المعجزة التي حصلت له. فذكّره الرب بأنه بعد البَرَكة العظيمة التي كانت من نصيبه، بات يترتب عليه الآن التزام سامٍ ورفيع الشأن. فالامتياز يعقبه دائمًا مسؤولية. «**ها أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضًا لئلا يكون لك أشرّ**». ويبدو أن هذا الإنسان قد مرض من جرّاء خطية ما في حياته. إلاّ أن هذا لا يصحّ على كل الأمراض؛ ففي مرات عدة، لا يكون هناك أي رابط مباشر بين مرض أحد الأشخاص وخطية معيّنة قد اقترفها، كأن يمرض الأطفال مثلاً، وذلك قبل بلوغهم العمر الذي يمكّنهم من السقوط في الخطية عن وعي وسابق معرفة.

«**لا تخطئ أيضًا**»، قالها يسوع، معبرًّا بذلك عن المقياس الإلهي للقداسة. فلو أنه قال: "حاول أن تخطئ أقل قدر ممكن"، لما أظهر عندئذ أنه الله. فالله لا يمكن أن يتساهل أبدًا مع الخطية. ومن ثم وجّه الرب إلى هذا الرجل التحذير التالي: «**لئلا يكون لك أشر**» لم يفصح الرب عن الأمر الأشر الذي قصده هنا. لكنه أراد، ولا شك، أن يجعل هذا الرجل يدرك أن للخطية نتائج وخيمة أعظم بكثير من النتائج المترتبة على أي مرض جسدي. فالذين يموتون في خطاياهم محكوم عليهم بالغضب والعذاب الأبديين.

إن الإخطاء ضدّ النعمة هو أخطر من الإخطاء ضد الناموس. فالرب يسوع كان قد أظهر محبته المباركة ورحمته لهذا الرجل. لذا حريّ به الآن ألاّ يعود إلى طريقة حياته السابقة، بل يجب ألاّ يحيا من جديد في الخطية التي كانت قد سبّبت له المرض.

٥: ١٥ أراد هذا الرجل أن يشهد جهارًا لمخلّصه، وذلك على غرار المرأة السامرية. **فأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه**. لقد قصد بذلك أن يقدّم الثناء ليسوع ويعبّر عن مشاعر التقدير له، مع أن هذا الأمر لم يكن يهمّ اليهود. بل كان شغلهم الشاغل أن يتمكّنوا من القبض على يسوع ومعاقبته.

٥: ١٦ يكشف لنا الوحي هنا مقدار نجاسة القلب البشري. كان المخلّص قد جاء وصنع عملية الشفاء العظيمة تلك، الأمر الذي أسخط **اليهود**. لقد ثارت ثورتهم لأن هذه المعجزة قد حصلت **في السبت**. فهؤلاء المتدينون كانت قلوبهم باردة وقاسية، وكانوا معنيين بحفظ الشعائر الدينية أكثر منهم بطلب البركة والخير لبني البشر. وهكذا لم يدركوا أن الذي قدّس يوم السبت، في بادئ الأمر، كان هو نفسه الذي صنع الآن عمل رحمة في هذا اليوم. فالرب يسوع لم ينقض السبت؛ ذلك لأن الشريعة كانت قد حظرت على الشعب القيام بأعمال دنيوية في هذا اليوم، لكنها لم تمنعهم من أعمال الرحمة وسدّ حاجات الآخرين.

٥: ١٧ استراح الله في اليوم السابع، وذلك بعد إكماله عمل الخلق في غضون ستة أيام. كان ذلك هو السبت. إلاّ أن راحة الله هذه تأثرت بفعل دخول الخطية إلى العالم. فدأبه الآن بات العمل بلا انقطاع على ردّ الرجال والنساء رجوعًا إليه وإلى الشركة مع شخصه المجيد. كما أنه سيرتّب وسيلة للفداء، وسيعرّف كل جيل ببشارة الخلاص. لذا، فإنه منذ زمن سقوط آدم إلى يومنا الحاضر، كان الله، وما يزال، **يعمل** بلا انقطاع. وهذا يصحّ على الرب يسوع أيضًا. فلقد انخرط في عمل أبيه، ولم تكن محبته ونعمته لتكتفيا بما تمّ خلال الأيام الستة الأولى فقط.

٥: ١٨ هذا العدد يكتسب أهمية بالغة. ففيه نقرأ عن عزم **اليهود**، أكثر من أي وقت مضى، على قتل يسوع، ذلك لأنه لم ينقض **السبت** فقط، بل ادّعى أيضًا أنه **معادلاً لله**. كان هذا في نظرهم بمثابة تجديف مخيف. لكنه كان في الواقع هو الحقّ وعين الصواب.

هل صرّح الرب يسوع فعلاً أنّه مساوٍ لله؟ لو أنه لم يقصد ذلك، لكان قد أوضح ذلك لليهود. لكنه عاد، عوضًا عن ذلك، وصرّح في الأعداد التالية، وبتعابير أكثر صراحة، بأنه حقًا واحد مع الآب. وكما كتب ج. سدلو باكستر *J Sidlow Baxter* في هذا السياق:

> لقد صرّح يسوع بمساواته مع الآب في سبع نواحٍ محدّدة:
>
> ١- مساوٍ له في العمل: «مهما عمل ذاك (الآب)، فهذا يعمله الابن كذلك» (ع١٩).
>
> ٢- مساوٍ له في المعرفة: «لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله» (ع ٢٠).
>
> ٣- مساوٍ له في قدرته على إقامة الموتى: «كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي كذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء» (ع٢١ مع ٢٨، ٢٩).
>
> ٤- مساوٍ له في الدينونة: «لأن الآب لا يدين أحدًا بل أعطى كل الدينونة للابن» (ع٢٢ مع ٢٧).
>
> ٥- مساوٍ له في الكرامة: «لكي يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب» (ع٢٣).
>
> ٦- مساوٍ له في قدرته على إحياء النفوس: «من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني... قد انتقل من الموت إلى الحياة» (ع٢٤، ٢٥).
>
> ٧- مساوٍ له في وجوب الوجود بذاته: «لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته» (ع٢٦).

ج. يسوع يدافع عن تصريحه بأنه مساوٍ لله (٥: ١٩-٢٩)

٥: ١٩ كانت تربط المخلّص بالله الآب علاقة وثيقة جدًا، منعته من القيام بأيّ عمل بالاستقلال عنه. وهو لا يعني هنا أنه كان يفتقر إلى القوة اللازمة لعمل أي شيء من نفسه، بل الحديث هنا هو عن وحدته الكاملة بالآب حتى أنه لم يعد ممكنًا أن يفعل إلاّ تلك الأمور عينها التي **ينظر** الآب يعملها. فالرب، في تصريحه بمساواته للآب، لم يدّع استقلاله عنه. فهو غير مستقل عن الآب مع كونه مساويًا له بالتمام.

لقد أراد الرب يسوع بكل وضوح، أن يحمل اليهود على التفكير فيه بأنه مساوٍ لله. فإنه من السخافة أن يدّعي مجرّد إنسان قدرة على القيام بالأعمال نفسها التي **يعملها** الله. أمّا يسوع فيصرّح برؤيته ما يعمله الآب؛ ويلزمه في هذه الحال أن يبقى باستمرار في محضر الآب، وأن يكون على إطّلاع تام على ما يجري في السماء. وليس هذا فقط، بل ينسب الربُّ يسوع إلى نفسه القدرة على القيام بالأعمال نفسها التي **ينظر الآب** يعملها. وهذا يشكّل بالطبع تأكيدًا لمساواته لله؛ فهو يظهر هنا أنّه قادر على كل شيء.

٥: ٢٠ إنهـا لَعلامـة خاصة ومميزة مـن علامات محبة الآب للابـن أن **يريه جميع ما هـو يعمله**. وهذه الأمور جميعها لم يرها يسـوع وحسب، بل كانت لديه القدرة على القيام بها أيضًـا. ثم أردف المخلّص يقول إن الله سـوف يريه **أعمالاً أعظم من هذه،** حتى **يتعجب** الشعب. لقد سـبق لهم أن عاينوا الرب يسوع يصنع المعجزات. كما أنهم رأوه لتوّه يشـفي رجـلاً أقعده المرض طوال ثمانٍ وثلاثين سـنة. لكنهم كانوا سيرون أعمالاً خارقة **أعظـم** من هذه بعد، لعل أولّها إقامة الأموات (ع٢١)، وثانيها دينونة الجنس البشري (ع٢٢).

٥: ٢١ هنـا تصريـح واضح آخر عن مسـاواة الابن للآب. فاليهود اتّهموا يسوع بأنه جعل نفسه مساويًا لله. أمّـا هو فلـم يُنكر هذه التهمة، بـل عمد بالحري إلى عرض هذه البراهـين الدامغة على حقيقة وحدانيته مع الآب. **لأنـه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، كذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء.** فهل يصحّ قول هذا الكلام في الرب لو أنه كان مجرّد إنسان؟ إن طرح السؤال في هذا المجال إنما يعني الجواب عنه في الوقت عينه.

٥: ٢٢ يعلّـم العهـد الجديد أن **الله الآب قـد أعطى كل الدينونة للابن.** وبالطبع، يحتاج الرب يسـوع، للقيام بهذا العمل، إلى معرفة مطلقة وإلى برٍّ كامل. فإنه يجب أن يكون قـادرًا على تمييز أفكار قلوب الناس ونياتها. فيا للعجب أن يكون قد فات هؤلاء اليهود معرفة ديّان الأرض كلها، عندما وقف أمامهم معلنًا سلطانه.

٥: ٢٣ يطالعنـا هنـا السـبب وراء إعطـاء الله الابن سلطانًا على إقامة الأموات وعلى إدانة العالم. والسبب هـو **لكي يكرم الجميـع الابن كما يكرمـون الآب.** إن لهذا التصريـح أهمية بالغـة، كما أنه يشـكّل أحد أوضح البراهين في الكتاب المقدس على لاهوت الرب يسوع المسـيح. فالكتاب المقدس يركّـز، في كل مكان فيه، علـى ضرورة عبادة الله وحـده. كما أنه كان محظورًا على الشعب، بموجب الوصايا العشر، أن يكون لديهم أي إلـه آخر غير الله الحقيقـي. والآن، نتعلم أنه ينبغي **للجميـع أن يكرمـوا الابن كما يكرمـون الآب.** إذًا، تبقى الخلاصة الوحيدة التي باسـتطاعتنا استنتاجها من هذا العدد، ألا وهي أن يسوع المسيح هو الله.

يدّعـي العديد من الناس أنهم يعبـدون الله، في حين ينكرون أن يسـوع المسـيح هو الله؛ فهم يعتبرونه رجلاً صالحًا، الأقرب تشبّهًا بالله من أي إنسان آخر عاش على وجه الأرض. لكنّ هذا العدد يجعل المسـيح مساويًا تمامًا لله بالمطلق، ويُلزم الناس ضرورة إعطائه الكرامة نفسـها الـتي يعطونها لله الآب. وإن كان أحد يتقاعس عن إكرام الابن، فإنه يكون بذلك قد قصّر عن إكرام الآب. كما أنْ لا نفع أن يدّعي أحدنا محبة الله، إن كان لا يكنّ مشـاعر المحبة عينها للرب يسـوع المسيح. إذا لم تكن قد تحققت من قبل ممن هو يسـوع المسيح، فيجدر بك في هذه الحال أن تتأمل بكل انتبـاه في مضمون هذا العدد. تذكّر أنك وجهًا لوجه أمام كلمة الله، وهكذا أقبل الحقيقة المجيدة أنّ يسوع المسيح هو الله الذي ظهر في الجسد.

٥: ٢٤ كنّـا في الأعـداد السـابقة قد رأينـا أن للرب يسـوع السـلطان على إعطـاء الحياة، كمـا أن عمل الدينونـة قـد أوكل إليه. والآن نتعلم ما هو السـبيل لنوال الحياة الروحية منه، وبالتالي تجنّب **الدينونة.**

هـذا العدد هو من الأعـداد المفضّلة على صفحات الكتـاب المقدس. ذلـك لأن الرسـالة المُتضمّنة فيه قد ساعدت الكثير من النـاس على الحصـول على الحياة الأبديـة. أمّا السـبب الـذي جعلـه محبَّبًـا إلى قلوب الكثيرين، فيكمن، ولا شك، في الوضوح الذي به يبسط طريق الخلاص. وقد اسـتهلّ الرب يسـوع هذا العدد بعبارته الشهيرة: «**الحق الحق**»، موجّهًا بذلك الأنظار إلى مدى أهمية مـا كان مزمعًا أن يتفوّه به. ومن ثم أضاف إليها التصريح الشـخصي الصرف: «**أقـول لكم**». إذًا، يتحدث إلينا ابن الله بأسلوب شخصي وحميم.

«**إن مـن يسـمع كلامـي**». إن سمـاع كلام يسـوع لا يقتصـر على مجـرّد الإصغاء إليه، بـل يتضمن أيضًا قبوله، والإيمان بـه، وإطاعته. فهناك العديد من الناس الذين يسمعون الكرازة بالإنجيل، ولا يعملون أي شيء في ضوئهـا. فالرب يقصد أن يقـول هنا إنه يجب على الإنسان قبول الصفة الإلهية لتعليم يسوع، والإيمان بأنه حقًّا مخلّص العالم.

«**ويؤمـن بالذي أرسـلني**». إنها مسـألة إيمان بالله. لكن، هل يعني ذلك أن الإنسـان يخلص بمجرّد الإيمان بالله؟ فالعديد من الناس يعترفون بإيمانهم بالله، مع أنهم لم يختبروا الخلاص أبدًا. كلا، فالمقصود هنا هو أن على الإنسان أن يؤمن بالله الذي أرسل الرب يسوع المسيح إلى العـالم. وبمَ يجب أن يؤمن؟ عليـه أن يؤمن بأن الله أرسـل الرب يسوع المسـيح ليكون مخلّصنا. كذلك عليـه أن يؤمن بمـا صرّح بـه الله عن الرب يسـوع، ولا سيما كونه المخلّص الوحيد، وأن لا مغفرة للخطايا بمعزل عن عمله الذي أكمله على صليب الجلجثة.

«**فلـه حياة أبدية**». ولنلاحظ أن الرب لم يذكر أنه سـوف ينال الحياة الأبدية، بل صرّح بالحري بأن هذه الحيـاة قد أصبحت له، من نصيبـه، منذ الآن. **والحياة الأبديـة هي حيـاة الرب يسـوع المسـيح**. كما أنها ليست حياة ستسـتمر إلى الأبد فحسب، بل هي أيضًا حيـاة على مسـتوى أرفع وأسمى. إنهـا حياة المخلّص الممنوحة لنا نحن المؤمنين بـه. كما أنها الحياة الروحية التي يحصل عليها الإنسـان لحظة تغيره، وذلك بالمفارقة مع الحياة الطبيعية التي نالها عند ولادته الجسدية.

«**ولا يأتـي إلى دينونـة**». والفكـرة هنـا هـي أنه لا يُـدان الآن، كما أنه لن يُدان في المسـتقبل. فالذي يؤمن بالرب يسـوع المسيح يتحرر من الدينونة، بما أن المسيح قد دفع عنه عقاب خطاياه على الصليب. والله لن يطالب بدفـع ثمن هذه العقوبة مرتـين. لقد دفعها المسيح بصفته البديل عنّا، وهذا يكفي. كما أنه أكمل العمل، ولا يمكن إضافة أي شـيء إلى العمل الكامل. لذا، لن يعاقَب المؤمن المسيحي أبدًا على خطاياه*.

«**بـل قـد انتقل مـن المـوت إلى الحيـاة**». فكل من آمن بالمسـيح **قـد انتقل** من حالـة **المـوت** الروحي إلى **الحيـاة** الروحية. لقد كان قبل التعرف بالمسـيح، ميتًا في الذنـوب والخطايـا. كما أنه كان ميتًـا في ما يتعلق بمحبته لله أو شـركته مع الرب. لكن ما إن جعل إيمانه في يسوع المسيح، حتى سـكن فيه روح الله القدوس، وأصبح حائزًا الحياة الإلهية.

* يعلِّم الكتـاب المقدّس أن المؤمـن سـيقف ذات يـوم أمـا كرسـيّ المسيح للمجازاة (رو١٤: ١٠؛ ٢كو٥: ١٠)؛ غير أنَّ خطاياه لن تُذكر يومـذاك، إذ أُنهيت القضيَّة في صليب الجلجثة. فأمام كرسيّ المسيح ستُراجَع حياة المؤمن وخدمته فينال مكافآت أو يخسر تلك المكافآت، وليس لخلاص نفسـه علاقة بهذه المحاسبة من قريب أو بعيد: فهذا الخلاص أبدي ومضمون لأنّه بالنعمة كليًّا.

٥: ٢٥ إنها المرة الثالثة التي فيها يستخدم الرب العبارة «**الحق الحق**» في الأصحاح الخامس، كما أنها المرة السابعة على صعيد هذا الإنجيل. والرب بقوله **إنه تأتي ساعة وهي الآن**، لم يكن بذلك يشير إلى فترة زمنية من ستين دقيقة، بل كان يقول إن الوقت سيأتي، بل قد حضر الآن. والوقت المقصود هنا، كان يتعلق بظهوره على مسرح التاريخ.

من هم الأموات المذكورون في هذا العدد؟ ومن هم هؤلاء الذين **سيسمعون صوت ابن الله ويحيون**؟ وقد يشير ذلك بالطبع، إلى أولئك القوم الذين كان الرب قد أقامهم من الأموات خلال خدمته الجهارية. إلاّ أن لهذا العدد معاني أشمل وأوسع من ذلك. **فالأموات** المشار إليهم هنا هم الأموات في الذنوب والخطايا. **هؤلاء يسمعون صوت ابن الله** من خلال الكرازة بالإنجيل. وهكذا ينتقلون من الموت إلى الحياة متى تجاوبوا مع الرسالة وقبلوا المخلّص.

ع٢٥	ع ٢٨، ٢٩
حياة من الموت	حياة بعد الموت
«تأتي ساعة وهي الآن»	«تأتي ساعة»
«حين يسمع الأموات»	«فيها يسمع جميع الذين في القبور»
«صوت ابن الله»	«صوته»
«والسامعون يحيون»	«فيخرج»

٥: ٢٦ يوضح هذا العدد السبيل للحصول على الحياة من يد الرب يسوع. فكما أن **الآب** هو مصدر **الحياة** ومعطيها، فقد قرّر أيضًا أن يكون للابن أيضًا **حياة في ذاته**، وأن يتمكن من إعطائها للآخرين أيضًا. وهذا يشكّل أيضًا تصريحًا واضحًا بألوهية المسيح، وبمساواته للآب. فلا يجوز القول في أي إنسان إن له حياة في ذاته؛ ذلك لأن كل واحد منّا قد أُعطي الحياة، إلاّ أن هذه الحياة لم تعطَ قط للآب، ولا للرب يسوع. فالحياة كانت فيهما منذ الأزل ولم تزل. وهذه الحياة لم تعرف أية بداية، وما كان لها قط أي مصدر خارج عنهما.

٥: ٢٧ لم يقرّر الله أن يكون للابن حياة في ذاته وحسب، بل أعطاه أيضًا **سلطانًا** أن يدين العالم. وهذا السلطان قد حصل عليه يسوع **لأنه ابن الإنسان**. فالرب دُعي ابن الله **وابن الإنسان** في آن واحد. أمّا اللقب «ابن الله» فهو لتذكيرنا بأن الرب يسوع هو أحد أقانيم الثالوث الأقدس في اللاهوت. فبصفته ابن الله، هو مساوٍ للآب وللروح القدس، كما أنه أيضًا، بهذه الصفة، مانح الحياة. لكنه أيضًا **ابن الإنسان**. فهو جاء إلى هذا العالم إنسانًا، وعاش هنا بين الناس، ومات على الصليب بديلاً عن البشر، رجالاً ونساءً. لقد رُفض وصُلب عندما أتى إلى هذا العالم بوصفه الإنسان الكامل. لكنه سيأتي ثانية، هذه المرة ليدين أعداءه، وليتمجد في هذا العالم نفسه حيث سبق له أن عومل بكل وحشية. إنّه مهيّأ تمامًا ليكون القاضي، لكونه الله والإنسان في آن.

٥: ٢٨ كان اليهود، ولا شك، قد اعترتهم الدهشة، عندما راح المسيح يصرّح أمامهم، بهذا الشكل الواضح، عن مساواته الآب. لقد عرف الرب بالطبع تلك الأفكار التي كانت تدور في خلدهم، لذا جاء يدعوهم هنا إلى عدم الاندهاش من هذه الأمور. وبعد هذا، أعلن لهم بعض الحقائق الأكثر إذهالاً. ففي وقت معيّن في المستقبل، جميع الذين ووُريت أجسادهم الثرى، سوف **يسمعون صوته**. وما أسخف أن يقوم أي شخص غير الله بالتنبؤ بأن أجساد الراقدين في القبور سوف تسمع صوته ذات يوم؛ فالله وحده يستطيع دعم هذا التصريح.

٥: ٢٩ ذات يوم، سيقوم جميع الموتى. فبعضهم سيقومون للحياة، والآخرون للدينونة. فيا للحقيقة الجليلة في كون كل إنسان عاش على هذه الأرض أو سيعيش عليها، ينتمي، في الواقع، إلى إحدى هاتين الفئتين*.

لا يعلم العدد ٢٩ أن الناس الذين عملوا الصلاح سيخلصون بسبب أعمالهم الصالحة، ولا أن الذين عملوا الشر سيُدانون بسبب حيواتهم الفاسدة. ذلك لأن الإنسان لا يخلص بواسطة عمل الصلاح، لكنه يعمل الصلاح على أثر اختباره الخلاص. فالأعمال الصالحة لا تشكّل جذور الخلاص بل بالحري ثمرته. وليست هي السبب، بل النتيجة. لذا، فالعبارة «**الذين عملوا السيئات**»، تصف أولئك الذين لم يؤمنوا بالرب يسوع المسيح ولا وضعوا ثقتهم فيه قط، حتى إن حيواتهم كانت شريرة في نظر الله. هؤلاء سيقومون للمثول أمام الله، وليصدر بحقهم الحكم بالهلاك الأبدي.

د. أربعة شهود ليسوع بصفته ابن الله (٥: ٣٠-٤٧)

٥: ٣٠ قد يبدو، أوّل وهلة، أن العبارة «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا» تعني أن الرب يسوع لم يكن يملك أية قدرة لعمل أي شيء من نفسه. إلاّ أن هذا غير صحيح. فالفكرة هي أنه كان متحدًا بالله الآب بشكل حميم جدًّا، حتى إنه لم يعد ممكنًا عمل أي شيء من نفسه. لم يكن يقدر أن يقوم بأي شيء بإيحاءٍ من سلطانه الشخصي؛ فكل أثر للعناد كان غائبًا عن شخصية المخلّص. بل كان يتصرف دائمًا طائعًا أباه السماوي طاعة كاملة، وعلى أساس علاقة مستمرة به مبنية على الشركة العميقة والانسجام.

غالبًا ما استعان المعلمون الكذبة بهذا العدد لدعم زعمهم أن يسوع المسيح لم يكن الله. فقد زعموا أنّه مجرّد إنسان، وذلك بسبب عجزه عن عمل أي شيء من ذاته. إلاّ أن هذا العدد يبرهن نقيض ذلك تمامًا. فباستطاعة الناس القيام بكل ما يريدون، سواء أكان ذلك في انسجام مع إرادة الله أم لا. أمّا الرب يسوع، فما كان باستطاعته السلوك بهذا الشكل، وذلك بسبب طبيعته المميزة. كان ذلك مستحيلاً عليه من الناحية الأدبية، وليس من الناحية المادية. لقد كان يملك القدرة المادية على فعل كل شيء، لكن ما كان باستطاعته القيام بأي شيء خطإٍ أو سيّئ. بل كان غيرَ مُمكنٍ أن يفعل أي شيء لا ينسجم مع إرادة الله الآب له. لذا، فإن هذا التصريح يميّز الرب يسوع ويفصله عن أي شخص آخر عاش، أو قد يعيش، على وجه هذه الأرض.

كان الرب يسوع يفكّر، ويعلّم، ويتصرّف على أساس الإرشادات اليومية التي كان يحصل عليها من أبيه السماوي. كما أن الفعل أدين لم يرد هنا بمعنى البتّ في مسائل شرعية، بل بالحري تقرير ما كان يناسبه من أفعال وأقوال (كالفعل أحكم).

وبما أن المخلّص لم يكن ليراعي أية دوافع ذاتية، كان باستطاعته البتّ في الأمور بشكل عادل وخالٍ من أية محاباة في الوجوه. فطموحه الأوحد كان إرضاء أبيه، وفعل إرادته. ولم يكن ليسمح لأي شيء بأن يعيقه عن تتميم قصده هذا. لذا، لم يتأثر حكمه في الأمور بما يخدم مصالحه الشخصية. أمّا نحن فإن آراءنا وتعاليمنا

* لا يُفهَمْ من هذه الآية أنَّ جميع الأموات سيُقامون دفعةً واحدة. هذا الأمر تؤكّده آيات أُخَر في الكتاب المقدّس، ولا سيَّما ما ورد في الرؤيا ٢٠، حيث يظهر أنَّ فترةً لا تقلُّ عن ألف سنة تمرُّ بين القيامتين. أمّا القيامة الأولى فهي قيامة أولئك الذين خلصوا بالإيمان بالرب يسوع المسيح. وأمّا الثانية فتشمل جميع الذين ماتوا وهم غيرُ مؤمنين.

تتأثر، على العموم، بما ننوي فعله، وبما نريد أن نصدّقه. لكـن هذا كله ما كان ليصـح على ابن الله. ذلك لأن آراءه وأحكامه لم تكن منحازة لصالحة الشخصي. لقد كان خاليًا من أي شكل من أشكال الانحياز.

٥: ٣١ قام الرب يسوع المسيح، في الأعداد الباقية من هذا الأصحاح، بالإشـارة إلى مختلف الشهود لألوهيته. فلقد كانت هناك شهادة يوحنا المعمدان (ع٣٢-٣٥)؛ وشهادة أعماله (ع٣٦)؛ وشهادة الآب (ع٣٧، ٣٨)؛ وأخيرًا شهادة أسفار العهد القديم (ع٣٩- ٤٢).

أولاً، قـدّم يسـوع تصريحًا عامًّـا يتعلق بموضوع الشـهادة، وذلك بقوله: «**إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقًّا**». وهذا لا يعـني على الإطـلاق إنه كان باسـتطاعة الرب يسـوع أن يتفـوّه بأي شـيء، غير صحيـح؛ بـل إنّه كان يعـرض، بكل بسـاطة، حقيقة عامة، حيث أن شهادة شخص واحد ما كانت المحكمة لتعتبرهـا كافية. كما أن الله كان قد أقرّ ضرورة توافر شـاهدين أو ثلاثة، على الأقـل، قبل الاعتراف بصحة الحكم أو بشرعيته. وهكذا عزم الرب يسوع أن يقدّم لا شهادتين ولا ثلاثًا، بل أربع شهادات تؤيّد لاهوته.

٥: ٣٢ ثمـة تسـاؤل حول هـذا العدد هل يشـير إلى يوحنـا المعمـدان، أو إلى الله الآب، أو إلى الـروح القـدس. فبعضهـم يـرون أن اللفظة «آخـر» تصف يوحنا المعمدان، وأن هذا العدد يرتبط بالأعداد الثلاثة التاليـة. أمّا آخرون فيعتبرونـه أن الرب كان يتحدث هنـا عن **شـهادة** الروح القدس بشـأنه. أمّـا نحن ففي اعتقادنا أن الرب كان يشير إلى **شهادة** الآب.

٥: ٣٣ بعد أن تحدث الرب عن الأعظم بين الشـهود، أي أبيه السماوي، ها هو ينتقل الآن إلى شهادة **يوحنا**. فذكّر اليهود غير المؤمنين بأنه سبق لهم أن **أرسلوا** رجالاً **إلى يوحنا** ليصغوا إلى كلامه، فجاءت شهادته متمحورة بجملتها حول شـخص الرب يسوع المسيح. فهو آثر توجيه النـاس إلى المخلّـص عوضًا عـن توجيههم إلى نفسه. لقد **شهد** للرب الذي هو **الحق**.

٥: ٣٤ كذلك ذكّر الرب يسـوع سـامعيه بأنه لم يبنِ ادّعاءه بأنه مسـاوٍ لله، على مجرّد شهادات من الناس. فلـو كان ذلك كل ما لديه، لباتت قضيته ضعيفة حقًّا. لكنه اسـتعان بشهادة يوحنا المعمدان بما أنه كان رجلاً مرسـلاً من الله، وبما أنه شهد للرب يسوع المسيح بأنه كان حقًّا المسيّا وحمل الله الذي يرفع خطية العالم.

ثم أضاف الرب: «**ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم**». فما الـذي دفع الـرب يسـوع إلى الإسـهاب، بهذا الشـكل، في حديثه مع اليهود؟ هـل كان فقط يحاول إظهار أنـه على حق فيما كانوا هـم على خطإ؟ كلاّ، بل علـى نقيض ذلك، راح يعرض جميـع هذه الحقائق المدهشـة أمام أعينهم حتى يتسـنى لهـم إدراك هويته، ومن ثم قبوله على أنّه المخلّص الموعود به. فهذا العدد يعطينا صـورة واضحة عن قلب الرب يسـوع المحب والرقيـق. كان يتحـدث إلى الذيـن يكرهونه والذين سرعان ما سيسـعون بمختلف الوسـائل للقضاء على حياتـه. لكنه ما كان ليراعي في قلبه أية مشـاعر حقد تجاههم، بل كان باستطاعته فقط أن يحبهم.

٥: ٣٥ هنا مدح الرب يسوع يوحنا المعمدان إذ اعتبره **السـراج الموقـد المنير**. وهذا يعني أنـه كان رجلاً غيورًا جدًّا، مَن كانت خدمته تعطي النور للآخرين، ومن كان

يُنفَق خلال عملية توجيه الناس إلى يسوع. في بادئ الأمر، استقطب يوحنا المعمدان حوله جمهور الشعب اليهودي. كان في نظرهم ظاهرة جديدة وشخصية غريبة قد دخلت حياتهم، لذا خرجوا للإصغاء إليه. وهكذا قبلوه، على مدى فترة من الوقت، بصفته معلمًا دينيًا شعبيًا. لماذا إذًا، بعد قبولهم يوحنا بكل هذه الحفاوة والحرارة، عادوا فتقاعسوا عن قبول الرب الذي كان يوحنا قد كرز به؟ لقد ابتهجوا آنيًا، من دون أن تحصل أية توبة. يا للتضارب إذ هم قبلوا السابق للملك، ورفضوا قبول الملك نفسه! لذا أثنى يسوع على يوحنا. فإنه لمديح عظيم أن يطلق ابن الله على أي خادم من خدام المسيح التسمية «**السراج الموقد المنير**». وليت كل واحد منّا، نحن الذين نحب الرب يسوع، يرغب في أن يكون أيضًا لهيب نار لأجل الرب، ليُنفق ذاته ويحترق، مولدًا بذلك نورًا للعالم حواليه.

٥: ٣٦ لم تكن شهادة يوحنا البرهان الأعظم الذي قدّمه يسوع على ألوهيته، بل المعجزات التي أعطاه الآب ليعملها هي التي تشهد له أن **الآب** قد أرسله حقًا. غير أن المعجزات، بحدّ ذاتها، لا تصلح كبرهان على الألوهية. ففي الكتاب المقدس نقرأ عن أشخاص مُنحوا القدرة على صنع العجائب، كما أننا نقرأ حتى أيضًا عن كائنات شريرة بإمكانها القيام بأعمال خارقة ومدهشة. أمّا معجزات الرب فتختلف عن هذه جميعها. أولاً، لأنه كان يملك القوة **في ذاته** للقيام بهذه الأعمال العظيمة، فيما كان على الآخرين أن يحصلوا على هذه القدرة. ومن جهة أخرى، لقد تمكّن رجال آخرون من صنع عجائب، إلاّ أنهم عجزوا عن منح القدرة لأشخاص غيرهم. أمّا الرب يسوع، فلم يصنع معجزات وحسب، بل أعطى رسله أيضًا هذا السلطان. أيضًا، فإن الأعمال التي أكملها المخلّص هي نفسها تلك التي كان العهد القديم قد تنبّأ عنها بشأن المسيّا. وأخيرًا، جاءت معجزات الرب يسوع فريدة في نوعها من حيث طبيعتها، ومداها، وعددها.

٥: ٣٧، ٣٨ يعود الرب للتحدث من جديد عن شهادة **الآب** له. ولعلّ الإشارة هنا هي إلى ما رافق حادثة معمودية يسوع. ففي تلك المناسبة، سُمع صوت الآب مصرّحًا بأن يسوع هو ابنه الحبيب الذي به سُرّ جدًا. والجدير بالذكر أيضًا أن الآب كان، من خلال حياة الرب يسوع وخدمته وعجائبه، قد شهد لكونه حقًا ابن الله.

لم يكن اليهود غير المؤمنين قد سمعوا صوت الله قط، ولا أبصروا هيئته. ذلك لأن كلمته **ما كانت ثابتة فيهم.** فالله يكلّم الناس بواسطة كلمته، الكتاب المقدس. وهؤلاء اليهود كانت لديهم أسفار العهد القديم، غير أنهم لم يدّعوا الله يكلّمهم من خلالها. فقلوبهم كانت غليظة، كما أن آذانهم قد ثقل سماعها.

إنهم لم يبصروا قط هيئة الله أو شخصه بما أنهم **لم يؤمنوا** بالذي **أرسله** الله. فالله لا يملك هيئة أو شكلاً ظاهرًا لعيون الناس. إنه روح، وبالتالي غير منظور. لكن الله أعلن ذاته للناس في شخص الرب يسوع المسيح. لذا، فإن الذين آمنوا بالمسيح، تمكّنوا بذلك من رؤية هيئة الله حقًا. أمّا غير المؤمنين فلم يروا فيه سوى إنسانٍ آخر نظيرهم.

٥: ٣٩ ثمة طريقتان لفهم الجزء الأول من هذا العدد. أولاً، لعل الرب يسوع قصد أن يدعو اليهود إلى **تفتيش**

الكتب. أو ربما كان يُلمح إلى حقيقة أنهم قاموا حقًّا **بتفتيش الكتب**، وذلك لظنهم أنهم نالوا **الحياة الأبدية** بمجرّد حيازتهم هذه الكتب. وكل واحد من هذين التفسيرين ممكن ومحتمل (الصيغة اليونانية تحتمل أن تُترجم أيضًا «تفتّشون»). فالرب يسوع كان، على الأرجح، يصرّح في بساطة بأن اليهود كانوا قد دأبوا على تفتيش الكتب على اعتبار أنهم كانوا بفعلهم هذا ينالون **الحياة الأبدية**. وهكذا لم يدركوا أن أسفار العهد القديم المختصة بالمسيّا الآتي كانت في الواقع تتحدث عن يسوع. فما أصعب التفكير في حالة العمى الروحي التي كان يتخبط فيها هؤلاء القوم، وذلك على الرغم من توافر الكتب المقدسة بين أيديهم. والأصعب من ذلك أنهم استمروا في رفضهم لقبول الرب، حتى بعد أن كلّمهم بهذا الشكل. ولنلاحظ الآن الجزء الأخير من هذا العدد، بكل انتباه: **وهي التي تشهد لي**. وهذا يعني أن مجيء المسيح كان بمثابة الموضوع الرئيس للعهد القديم. وإذا فات أحدًا إدراكُ هذه الحقيقة خلال دراسته للعهد القديم، يكون بذلك قد فاته الجزء الأهم فيه.

٥: ٤٠ لم يكن اليهود **يريدون أن يأتوا** إلى المسيح لتكون لهم **حياة**. فالسبب الرئيس وراء عدم قبول الناس المخلِّص لا يكمن في عجزهم عن فهم الإنجيل، ولا في استصعابهم الإيمان بيسوع. فما من شيء في الرب يسوع يجعل من المستحيل عليهم الوثوق به. بل المشكلة الفعلية تكمن في إرادة الإنسان؛ فهو يحب خطاياه أكثر من محبته للمخلّص، كما أنه لا يرغب في التخلّي عن طرقه الشريرة.

٥: ٤١ الرب، وفي معرض إدانته اليهود على تقاعسهم عن قبوله، لم يُرِد لهم أن يظنوا أنه انزعج لأنهم لم يقدّموا له **المجد**. فهو لم يأتِ إلى العالم لكي يمدحه أُناسُ هذا العالم. كما أنه لم يعتمد على مديحهم هذا، بل طلب بالحري مديح أبيه له. وحتى لو رفضه الناس، ما كان ذلك ليقلّل من مجده.

٥: ٤٢ يطالعنا هنا السبب وراء إخفاق الإنسان في قبول ابن الله. فهؤلاء القوم **لم تكن لهم محبة الله** في أنفسهم، أي أنهم أحبوا ذواتهم أكثر من الله. ولو أنهم أحبوا الله، لكانوا قبلوا الذي أرسله الله. وهكذا برفضهم للرب يسوع، أظهروا افتقارهم التام لأية مشاعر **محبة** لأبيه السماوي.

٥: ٤٣ جاء الرب يسوع المسيح **باسم أبيه**، أي أنه أتى لفعل إرادة أبيه، ولتمجيد أبيه، ولإطاعته في كل شيء. فلو أن الناس أحبوا الله حقًّا، لكانوا أحبوا أيضًا الرب الذي سعى دائمًا لإرضاء الله في كل ما قاله وفعله.

تنبأ يسوع أن آخر سيأتي **باسم نفسه**، وأن اليهود سوف **يقبلونه**. فلعلّه كان يشير بذلك إلى العدد الكبير من المعلمين الكذبة الذين قاموا بعده وسعوا في أثر تمجيد الأمّة لهم. أو ربما أراد التلميح إلى قادة البدع الذين تعاقبوا على مرّ الأجيال، والمدّعين بأنهم المسيح. إلاّ أنه كان يشير هنا، على الأرجح، إلى ضدّ المسيح. فسيأتي يوم فيه سيقوم بين أوساط اليهود قائد قد عيّن نفسه بنفسه، ويطالب بعبادته كأنه الله (٢تس٢: ٨-١٠). وستقبل الأمّة اليهودية، في غالبيتها، أن يحكمها ضدّ المسيح هذا؛ وستنسكب عليها، من جراء ذلك، دينونة الله الصارمة (١يو٢: ١٨).

٥: ٤٤ هنا يعرض الرب سببًا آخر وراء إخفاق الشعب اليهودي في قبوله. لقد كان كسب رضى الناس يستأثر باهتمامهم أكثر من نوال رضى الله. كانوا يخافون، في

حال تخلّيهم عن الديانة اليهودية، ممّا سيقوله أصدقاؤهم فيهم. كما أنهم ما كانوا على استعداد لاحتمال العار والآلام التي ستكون من نصيبهم في حال إتّباعهم للرب يسوع. فاختبار الخلاص يبقى غير ممكن وبعيد المنال ما دام الإنسان خائفًا من كلام الناس أو من تصرفاتهم. لذا يتعيّن على المرء أن يطلب رضى الرب أولاً وقبل أي شخص آخر، حتى يتسنى له أن يؤمن بالرب يسوع. إنه يحتاج أن يطلب **المجد الذي من الإله الواحد**.

٥: ٤٥ لن يحتاج الرب أن يشكو هؤلاء اليهود إلى الآب. بالطبع، كان لديه العديد من الاتهامات التي باستطاعته إثارتها ضدهم. لكنه لن يحتاج إلى ذلك، بما أن كتابات **موسى** تكفي لشكايتهم. فهؤلاء اليهود كثيرًا ما اعتزوا بالعهد القديم، ولا سيما بالأسفار الخمسة التي كتبها **موسى**، أي التوراة. كذلك كانوا يفتخرون بأن الأسفار المقدسة قد أعطيت لإسرائيل. لكن المشكلة كانت أنهم لم يطيعوا كلمات موسى، كما يبيّن العدد ٤٦.

٥: ٤٦ جعل الرب يسوع كتابات موسى على مستوى سلطة كلامه بالذات. ونتذكّر في هذا السياق أن «كل الكتاب هو موحًى به من الله». لذا سواء قرأنا العهد القديم أو العهد الجديد، نحن في الواقع نقرأ كلمة الله نفسها. ولو أن اليهود كانوا قد آمنوا بكلمات موسى، لآمنوا أيضًا بالرب يسوع المسيح، ذلك لأن موسى كتب عن المسيح الآتي. ولنا مثل على هذا في تثنية ١٨: ١٥، ١٨. «يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون... أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

ففي هذه الأعداد، تنبّأ موسى عن المسيح الآتي، داعيًا الشعب اليهودي إلى الإصغاء إليه، وإطاعته لدى قدومه. والآن جاء الرب يسوع، لكن اليهود أحجموا عن قبوله. لذا خاطبهم الرب بالقول إن موسى هو الذي سيشكوهم إلى الآب، بما أنهم ادّعوا الإيمان بموسى من دون الحرص على القيام بما أمرهم به موسى. كما أن العبارة «**كتب عني**»، صرّح من خلالها الرب في وضوح بأن أسفار العهد القديم تحتوي على نبوات تخصّه. وقد عبّر اغسطينوس عن هذا الأمر بكل اختصار بقوله: "إنّ الجديد لَفي القديم مضمّنٌ أمّا القديم فبالجديد يُبيّنْ".

٥: ٤٧ إن كان اليهود لا يصدّقون كتب موسى، فقد بات تصديقهم **كلام يسوع** أمرًا غير محتمل. وذلك بسبب الارتباط الوثيق بين كلا العهدين القديم والجديد. وإن كان أحدهم يشكّك في وحي أسفار العهد القديم، فإنه من غير المحتمل أن يقبل بوحي كلمات الرب يسوع. وعندما تهاجم فئة من الناس بعض أجزاء الكتاب المقدس، فإنه سرعان ما ستبدأ بالتشكيك في سائر أسفار هذا الكتاب. ويقول كنج *King* في هذا الصدد:

> هنا يشير الرب، بالطبع، إلى أسفار موسى الخمسة، هذا الجزء من الكتاب المقدس الذي تعرّض أكثر من سواه لأشرس الهجمات وأعنفها. ويا للعجب أن يكون هذا الجزء عينه من الكتاب المقدس هو الذي قصد السيّد أن يقتبس منه أكثر من أي جزء آخر، وذلك بشهادة التدوين المتوافر بين أيدينا. وكأن الرب قصد وضع ختمه وموافقته على هذه الأسفار، وذلك قبل شنّ الهجوم عليها بوقت طويل.

٤ـ ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: الجليل (ص٦)

أ ـ الآية الرابعة: إشباع الخمسة آلاف (٦: ١ـ ١٥)

٦: ١ تفيد العبارة «**بعد هذا**» أن فترة زمنية كانت قد انقضت منذ حصول أحداث الأصحاح الخامس، لا نعرف تمامًا مدتها، لكننا نعلم أن يسوع كان قد ترك محيط أورشليم، وسار باتجاه بحر الجليل. ويُرجَّح أن عبوره البحر، كما يذكر لنا النص، يشير في الواقع إلى انتقاله من الضفة الشمالية الغربية إلى الجهة الشمالية الشرقية. كان بحر الجليل يُعرف أيضًا ببحر طبرية، بما أن مدينة طبرية كانت واقعة على ضفته الغربية. وهذه المدينة كانت عاصمة مقاطعة الجليل، وقد دُعيت على اسم الإمبراطور الروماني طيباريوس.

٦: ٢، ٣ وتبعه جمهور كبير من الناس، ليس بالضرورة لأنهم آمنوا به بصفته ابن الله، بل بالحري **لأنهم أبصروا آياته التي كان يصنعها في المرضى**. فالله لا يُسرّ أبدًا بالإيمان المؤسَّس على المعجزات، كمسرته بالإيمان المبني على كلمته وحدها. فكلمة الله لا تحتاج إلى معجزات لبرهان صحتها، لأن كل ما يقوله الله هو حق، ومن غير المحتمل على الإطلاق أن يكون على خطإ. وهذا يجب أن يكون كافيًا لأي شخص كان. أمّا الترجمة الحرفية لعدد ٣ فهي: «**فصعد يسوع إلى الجبل**» (مع أل التعريف) ولعل الإشارة هنا هي إلى المقاطعة الجبلية، أو إلى التلال المحيطة بالبحر.

٦: ٤ لا نعرف تمامًا لماذا ذكر يوحنا أن الفصح كان قريبًا. فبعضهم رأى أن الرب يسوع كان، على الأرجح، يفكّر في الفصح خلال حديثه المبارك، في هذا الأصحاح، عن خبز الحياة الحقيقي. وهو لم يصعد إلى أورشليم في هذا العيد. كما أن يوحنا تكلم عن **الفصح بأنّه عيد لليهود**. في الواقع كان الله هو الذي أسّس هذا العيد في العهد القديم، وأعطاه للشعب اليهودي، لذا بات هذا العيد، بمعنى من المعاني، **عيدًا لليهود**. إلاّ أن هذه العبارة «**عيد اليهود**»، قد تعني أيضًا أن الله لم يعد يعتبر هذا العيد من أعياده هو، ذلك لأن الأمة اليهودية باتت تحتفل به كمجرّد طقس ديني خالٍ من أي اهتمام قلبي صادق. كان قد فَقَد مغزاه الحقيقي، لذا لم يعُد عيدًا من أعياد يهوه.

٦: ٥ لم ينزعج يسوع لدى رؤيته هذا الجمع الكثير، على اعتبار أنهم سوف يُقلقون راحته، أو يعكّرون صفو جلسته مع تلاميذه. لكنه افتكر أولاً في أن يوفّر لهم طعامًا **للأكل**. لذا توجّه إلى **فيلبس** وسأله من أين كان باستطاعتهم ابتياع **الخبز** اللازم لإطعام هذا الجمع. وعندما كان يسوع يطرح سؤالاً ما، لم يكن يفعل ذلك قطّ بقصد زيادة معلوماته، بل لتلقين الآخرين دروسًا. فيسوع كان يعرف الجواب في حين كان فيلبس يجهله.

٦: ٦ كان الرب مزمعًا أن يعلّم فيلبُّس درسًا قيّمًا جدًّا، ويمتحن إيمانه. فيسوع كان **يعلم** أنه سيصنع معجزة لإشباع هذا الحشد الكبير من الناس. لكن، هل أدرك فيلبس أنه كان باستطاعة يسوع فعل ذلك؟ وهل كان إيمان فيلبس عظيمًا أم قليلاً؟

٦: ٧ يبدو أن إيمان فيلبس لم يرتقِ إلى مستويات عالية جدًّا. لقد قام ببعض الحسابات السريعة وقرّر في

ضوئها أن **خبزًا بمئتي دينار** لا يكفي لتأمين **شيء يسير** من الطعام لكل واحد منهم. ونحن لا نعرف تمامًا كمية الخبز التي كان بالإمكان شراؤها في ذلك الوقت **بمئتي دينار**، لكن لا بدّ من أنها كانت كمية كبيرة جدًّا. فالدينار الواحد كان بمثابة أجرة يوم عمل.

٦: ٨، ٩ كان **أندراوس أخا سمعان بطرس**. وكانا يعيشان على مقربة من بيت صيدا، عند شاطئ بحر الجليل. وأندراوس رأى بدوره صعوبة إطعام كل هذا الحشد. ثم لاحظ ولدًا معه **خمسة أرغفة شعير وسمكتان**، لكنه ما لبث أن شعر بعدم جدوى محاولة إطعام هذا الجمع بهذه الكمية الضئيلة من الطعام. لم يكن لدى هذا الغلام الشيء الكثير، لكنه كان على استعداد لوضعه تحت تصرف الرب يسوع. ولطفه هذا هو الذي أدّى إلى تدوين هذه القصة في كل من الأناجيل الأربعة. لم يقم بأمور عظيمة جدًّا، لكن "القليل يمسي كثيرًا عندما يكون الله فيه". وهكذا ذاع صيت هذا الولد في كل العالم.

٦: ١٠ لقد أراد الرب أن يريح الشعب، بجعلهم **يتكئون**. ولنلاحظ أنه اختار مكانًا مناسبًا فيه **عشب كثير**. لم يكن العثور على مكان كهذا بالأمر المألوف في تلك المنطقة، لكن الرب حرص على أن يأكل الجمع في مكان نظيف وممتع. يدوّن لنا النص أنه كان هناك الآلاف من الرجال، وهذا يعني أنه يجب أن نضيف إليهم أيضًا النساء والأولاد. أمّا ذكر الرقم «**خمسة آلاف**» فيهدف إلى تسليط الأضواء على عظمة المعجزة التي كانت ستحصل.

٦: ١١ أخذ **يسوع الأرغفة وشكر** لأجلها. وإن كان الرب قد تصرّف بهذا الشكل قبل تناول الطعام أو تقديمه للآخرين، فكم بالحري يجدر بنا التوقّف قليلاً قبل تناول طعامنا لرفع تشكراتنا لله. ومن ثم وزّع **الطعام على التلاميذ**. ولنا في هذا درس قيّم جدًّا. فالرب لم يتمم العمل كله، بل استعان بآخرين. وقد صدق من قال: "أنت تعمل ما باستطاعتك القيام به؛ وأنا بدوري أعمل ما باستطاعتي القيام به؛ والرب سيعمل ما نعجز نحن عن القيام به".

كان عدد أرغفة الخبز قد ازداد بشكل مدهش حين راح الرب **يوزّعه على التلاميذ**. لا يذكر لنا النص بالتحديد لحظة حصول هذه المعجزة، لكننا نعلم أن هذه الأرغفة الخمسة والسمكتين، بطريقة معجزية، قد أصبحت في يدي الرب كافية لإشباع كل هذا الجمع. وبعد هذا، وزع التلاميذ الخبز والسمك **على المتكئين**. ولم يكن هناك أي شُحّ، لأننا نقرأ بصريح العبارة أنهم أعطوهم من السمك **بقدر ما شاؤوا**.

يذكّرنا جريفث توماس *Griffith Thomas* بأن لنا في هذه القصة صورة جميلة عن:

> (١) العالم الهالك؛ (٢) التلاميذ الضعفاء والعاجزين؛ (٣) المخلِّص الكامل. كما أن هذه المعجزة تضمنت عملية خلق حقيقية. فما من إنسان عادي يقدر أن يأخذ خمسة أرغفة وسمكتين صغيرتين ويكثّرها بشكل يمكّنه من إشباع كل هذا العدد من الناس. وقد صدق في هذا المجال من قال: "كان فصل الربيع عندما بارك الرب الخبز، ثم صار فصل الحصاد عندما كسّره". كذلك يصح القول: "الأرغفة من دون طلب البركة عليها، هي أرغفة غير قابلة للتكثير".

٦: ١٢ أنها لملاحظة رائعة جدًّا. فلو كان يسوع مجرّد إنسان لما كلّف نفسه عناء التفكير في **الكسر الفاضلة**. فأي إنسان قادر على إشباع خمسة آلاف، لا يبالي البتة ببعض الفتات. لكن يسوع هو الله، والبركات الإلهية لا يجوز هدر أي شيء منها. فهو يريد منّا عدم تبذير البركات الثمينة التي أغدقها علينا. لذا يحرص على تعليمنا ضرورة جمع الكِسَر الباقية **لكي لا يضيع شيء**.

يحاول العديد من الناس إنكار حصول هذه المعجزة. فالجميع، بحسب قولهم، رأوا الغلام يقدّم الأرغفة الخمسة التي معه والسمكتين إلى الربّ يسوع. وإذ جعلهم هذا يدركون مقدار أنانيتهم، قرّروا تناول طعام غدائهم ومشاركة بعضهم بعضًا فيه. وبهذه الطريقة أصبح هناك طعام كاف لكل واحد. غير أن تفسيرًا كهذا لا يوافق الحقائق، كما يتبيّن لنا من العدد التالي.

٦: ١٣ بعد انتهاء الشعب من الأكل، تمّ جمع **اثنتي عشرة** قفة من الخبز. كان جمعُ هذا القدر من الخبز ضربًا من المستحيل، لو أن هذه المسألة اقتصرت على مشاركة كل واحد الآخرين في طعامه. وهذا يؤكد لنا تفاهة التفاسير البشرية. وهكذا لا يبقى أمامنا سوى استنتاج واحد، وهو أن معجزة عظيمة قد حصلت.

٦: ١٤ لقد أدرك الشعب نفسه أن ما حدث كان معجزة. ولم يكن هذا ليحصل لو أن كل واحد منهم اكتفى بأكل طعام غدائه. بل إن اقتناعهم بأن ما حصل ينطوي على معجزة، كان هو في الواقع ما دفعهم إلى الاستعداد للاعتراف بأن يسوع كان **بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم**. فهم علموا من العهد القديم أن نبيًّا سيأتي. لذا توقّعوا منه أن ينقذهم من سيطرة الإمبراطورية الرومانية عليهم. كانوا ينتظرون ملكًا أرضيًّا، كما أن إيمانهم لم يكن صادقًا. فإنهم لم يكونوا على استعداد للإقرار بأنّ يسوع هو ابن الله، أو للاعتراف بخطاياهم وقبوله مخلّصًا لهم.

٦: ١٥ وعلى اثر هذه المعجزة التي صنعها يسوع، أراد الشعب أن **يجعلوه ملكًا**. ومن جديد، لو كان يسوع مجرّد إنسان، لرضخ بسهولة فائقة لطلبهم هذا. فالمقام الرفيع، وتولّي المناصب العالية هما من الأمور التي تهمّ كل إنسان. لكن يسوع ما كان ليتأثر بهذه الدعوات إلى الغرور والانتفاخ. فهو أدرك أنه جاء إلى العالم ليموت على الصليب بديلاً عن الخطاة. لذا لم يكن يعمل أي شيء قد يعرقل هذا الهدف. فهو لن يصعد إلى العرش قبل صعوده أولاً مذبح المُحرَقة. كان يجب أن يتألم ويُسفَك دمه ويموت قبل حصوله على الرفعة.

كتب ف. ب ماير:

كان الرب، كما صرّح القديس برنار، يهرب دائمًا كُلّما أرادوا جعله ملكًا، كما أنه كان يقدّم نفسه عندما أرادوا صلبه. وعليه، ليتنا لا نتردد أبدًا في تبنّي الشعار النبيل الذي رفعه قديمًا إتّاي الجتي عندما قال: «حي هو الرب وحي سيدي الملك إنه حيثما كان سيدي الملك إن كان للموت أو للحياة فهناك يكون عبدك أيضًا» (٢صم١٥: ٢١). وعندئذ سيجيبه الرب بكل تأكيد، كما أجاب داود طريدًا آخر جاء يقف إلى جانبه: «أقم معي، لا تخف؛ لأنّ الذي يطلب نفسي يطلب نفسك، ولكنّك عندي محفوظ» (١صم٢٢: ٢٣).

ب. الآية الخامسة: يسوع يمشي على الماء وينقذ تلاميذه (٦: ١٦-٢١)

٦: ١٦، ١٧ إن الحادثة التالية حصلت في المساء. كان يسوع قد مضى إلى الجبل وحده. كما أن الجموع، كانوا، ولا شك، قد رجعوا إلى بيوتهم، تاركين التلاميذ وحدهم. وهكذا قرر التلاميذ **النزول إلى البحر**، للاستعداد لرحلتهم رجوعًا عبر بحر الجليل. ثم حلّ **الظلام** خلال **ذهابهم إلى عبر البحر إلى كفرناحوم**. **ويسوع**، لم يكن معهم. أين كان؟ كان هناك على الجبل يصلّي. فيا لها من صورة لأتباع يسوع اليوم. إنهم في بحر الحياة الهائج، وكل ما حولهم ظلام، ويسوع لا يُرى في أي مكان؛ لكن هذا لا يعني أنه لم يكن على علمٍ بما يحصل. إنّه في السماء يصلّي لأجل أحبّائه.

٦: ١٨ كان بحر الجليل عرضة لهبوب العواصف بشكل مفاجئ وعنيف. فالرياح تهب نزولاً عبر وادي نهر الأردن بسرعة هائلة، وما إن تبلغ بحر الجليل، حتى تجعل الأمواج ترتفع عاليًا جدًّا. لذا فإن سفر المركبات الصغيرة في البحر في وقت كهذا، ليس بالأمر المأمون.

٦: ١٩ كان التلاميذ قد **جذّفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة** (بين الخمسة والستة كيلو مترات). كانوا، من وجهة النظر البشرية، في خطر عظيم. ثم في الوقت المناسب، تطلعوا فنظروا يسوع ماشيًا على البحر مقتربًا من السفينة. نحن هنا أمام معجزة مدهشة أخرى. فابن الله كان يمشي على مياه بحر الجليل. فخاف التلاميذ لأنهم لم يدركوا تمامًا هوية هذا الشخص المدهش.

ولنلاحظ الأسلوب البسيط الذي استخدمه يوحنا في سرده لهذه القصة. كان ينقل إلينا أعظم الحقائق، غير أنه لم يستخدم تعابير عويصة وعسرة الفهم لجعلنا نتأثر بعظمة الحدث، بل كان مقتصدًا كثيرًا في بسطة الحقائق.

٦: ٢٠ ثم نطق الرب يسوع بكلمات مباركة ومعزّية: «**أنا هو، لا تخافوا**». فلو كان مجرّد إنسان، لَحقّ لهم أن يخافوا. لكنه خالق الكون العظيم وضابطه. فلا داعي بعد للخوف بحضور هذا الشخص العظيم معهم. كما أن الذي صنع بحر الجليل في بادئ الأمر، كان باستطاعته أيضًا تسكين مياهه، وقيادة تلاميذه الخائفين بسلام إلى الشاطئ. خاطب يسوع تلاميذه بالقول: «**أنا هو**»، والتي تعني "أنا يهوه". هذه ثاني مرّة في إنجيل يوحنا فيها يُطلق يسوع اسم يهوه على نفسه.

٦: ٢١ وعندما تحققوا أنّه الرب يسوع، رحّبوا به في **السفينة**. **وللوقت** وجدوا أنفسهم في المكان الذي كانوا يقصدونه. هذه هي معجزة أخرى ذكرها الوحي من دون إعطاء أي تفسير لها. لم يعد يلزمهم أن يجذّفوا بعد. ذلك لأن الرب يسوع أوصلهم فورًا إلى **الأرض** اليابسة. فيا له من شخص عجيب حقًّا!

ج. الشعب يطلب آية (٦: ٢٢-٣٤)

٦: ٢٢ هذا هو اليوم بعد الذي جرت فيه حادثة إشباع الخمسة آلاف. وكان **الجمع** ما يزال في الناحية الشمالية الشرقية لبحر الجليل. وقد لاحظوا أن التلاميذ كانوا، مساء اليوم الفائت، قد ركبوا سفينة صغيرة، كما عرفوا أيضًا أن **يسوع لم يدخل السفينة** معهم. لم يكن هناك في ذلك الوقت سوى سفينة واحدة متوافرة، وهي التي دخلها **التلاميذ**.

٦: ٢٣ **وفي اليوم التالي، جاءت سفن من طبرية إلى قرب الموضع حيث كان الرب يسوع قد أشبع الجموع.** ما كان ممكنًا أن يكون الرب قد استقل إحداها، وذلك بسبب وصولها إلى المكان لتوّها. ربما كان الجمع قد استخدم هذه السفن للعبور إلى كفرناحوم، كما هو مدوّن في الأعداد التالية.

٦: ٢٤ كان **الجمع** قد راقبوا يسوع بكل انتباه. وكانوا على علم بصعوده إلى الجبل لكي يصلّي. كما عرفوا أيضًا أنه لم يعبر البحيرة في السفينة برفقة تلاميذه. وفي اليوم التالي، ما كان باستطاعتهم العثور عليه في أي مكان. لذا قرّروا عبور البحر **إلى كفرناحوم**، حيث كان محتملاً كثيرًا أن يكون التلاميذ هناك. لم يستطيعوا أن يفهموا كيف كان بإمكان يسوع البلوغ إلى هناك، لكنهم عزموا، على كل حال، على المضي للبحث عنه في ذلك المكان.

٦: ٢٥، ٢٦ ولدى وصولهم إلى كفرناحوم، **وجدوه** هناك. وإذ لم يكن بمقدورهم إخفاء فضولهم، سألوه متى حضر إلى هذا المكان. **أجابهم يسوع** بطريقة غير مباشرة. لقد أدرك أنهم لم يطلبوه بسبب شخصه، بل بسبب ما أعطاهم من طعام. فهم عاينوا صنعه معجزة عظيمة في اليوم الفائت. وكان ذلك كافيًا لإقناعهم بأنه كان حقًا الخالق والمسيّا. إلاّ إن اهتمامهم كان محصورًا بالطعام فقط. وقد اختبروا سدّ جوعهم بعد أن أكلوا من الخبز الذي وفّره لهم الرب بشكل معجزي.

٦: ٢٧ لذا نصحهم يسوع أولاً **بعدم العمل لأجل الطعام البائد**. والرب لم يقصد هنا أنه يجب ألاّ يعملوا لتحصيل قوتهم اليومي، إلاّ إنه أراد التركيز على عدم جعل هذا الأمر بمثابة الهدف الرئيس من حياتهم. ذلك لأن إشباع شهيتنا للطعام ليس بالأمر الأهم في الحياة. فالإنسان ليس مجرد جسد، بل هو روح ونفس أيضًا. لذا حري بنا العمل **للطعام الباقي للحياة الأبدية**. ومن هنا ضرورة ألاّ يعيش الإنسان وكأن جسده هو كلّ ما في الأمر. فينبغي ألاّ يكرّس كلّ قوّته وقُدراته لإشباع جسده الذي سيغدو، بعد سنوات قليلة وقصيرة، طعامًا للدود. إذًا، حري به الحرص على إشباع نفسه يومًا فيومًا، بكلمة الله «ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله». ينبغي لنا العمل بلا كلل أو ملل لاكتساب معرفة أفضل بكلمة الله.

والرب يسوع، بقوله إن **الله الآب قد ختمه**، كان يعني بذلك أن الله كان قد أرسله ووافق عليه. فبوضعنا ختمنا على شيء ما، نحن نتعهد بأنه أمر حق. وهكذا ختم الله ابن الإنسان بمعنى أنه شهد له بأنه يتكلم الحق.

٦: ٢٨ سأل الجمع الرب الآن عمّا ينبغي لهم فعله حتى يتسنى لهم **عمل أعمال الله**. فالإنسان يحاول أبدًا أن يكسب بنفسه طريقه للسماء. فهو يحب أن يشعر بأنه باستطاعته القيام بشيء ما يؤهله لنوال الخلاص. ولو تمكن، بطريقة ما، من المساهمة في خلاص نفسه، لكان لديه عندئذ فرصة للافتخار؛ وهذا ما يسرّه جدًّا.

٦: ٢٩ رأى يسوع رياءهم. لقد ادّعوا أنهم يرغبون في العمل لأجل الله، في حين رغبوا في قطع كل علاقة لهم بابن الله. لذا أخبرهم يسوع أن أول ما يتحتم عليهم فعله هو **الإيمان بمن أرسله الله**. وهذا هو الحال في أيامنا أيضًا. فهناك العديد من الناس يحاولون كسب طريقهم إلى السماء من خلال الأعمال الصالحة. لكن، قبل

تمكّنهم من القيام بأعمال صالحة لله، يجب أولاً أن يؤمنوا بالرب يسوع المسيح. فالأعمال الصالحة لا تسبق اختبار الخلاص، إنما تليه. وهكذا يبقى العمل الصالح الأوحد الذي باستطاعة الإنسان الخاطي القيام به هو الاعتراف بخطاياه وقبول المسيح ربًّا ومخلّصًا.

٦: ٣٠ يشكّل هذا العدد برهانًا آخر على شرّ قلوب الجمع. ففي يوم أمس، كانوا قد عاينوا الرب يسوع وهو يُطعم خمسة آلاف رجل بواسطة خمسة أرغفة وسمكتين. وها هم يأتون إليه في اليوم التالي يسألونه آية تبرهن دعواه بأنه ابن الله. كانوا، على غرار معظم غير المؤمنين، يريدون أن يروا أولاً، ومن ثم يؤمنون. «لنرى ونؤمن بك». لكن هذا يناقض الترتيب الإلهي. فالله يخاطب الخطاة بالقول: "إن كنتم تؤمنون، فسترون". على الإيمان أن يأتي دائمًا في المرتبة الأولى.

٦: ٣١ بالعودة إلى العهد القديم، ذكّر اليهود يسوع بمعجزة المنّ في البرية. وكأنهم أرادوا القول إنه لم يسبق ليسوع أن عمل أي شيء يضاهي تلك الحادثة في روعتها. وهكذا اقتبسوا كلمات المزمور ٧٨: ٢٤، ٢٥ «أعطاهم خبزًا من السماء ليأكلوا». أنهم بذلك يشيرون ضمنًا إلى أن موسى هو الذي أمّن لهم طعامًا مباشرة من السماء. لذا، فإن الرب لم يكن على مستوى عظمة موسى، ذلك لأنه اكتفى فقط بتكثير الطعام الذي كان متوافرًا لديه.

٦: ٣٢ يتضمّن رد الرب عليهم فكرتين على الأقل: أولاً، ليس موسى هو الذي أعطاهم المن، بل الله. إلى ذلك، لم يكن المن هو الخبز الروحي الحقيقي النازل من السماء. فالمن كان مجرد طعام مادي مخصّص للجسد المادي، ويخلو من أية قيمة لما بعد هذه الحياة. والرب يسوع تحدّث هنا عن الخبز الحقيقي الذي يعطيه الله من السماء. وهذا الخبز هو للنفس، وليس للجسد. كما أن المسيح يظهر ألوهيته بقوله أبي.

٦: ٣٣ أعلن الرب يسوع ذاته بصفته خبز الله الذي نزل من السماء ليعطي الحياة. لقد أظهر بذلك تفوّق خبز الله على المنّ الذي في البرية. فالمنّ لم يكن لإعطاء الحياة بل لتغذية الحياة الجسدية فقط. كما أنه لم يكن مهمًّا للعالم بأسره بل للأُمّة القديمة وحدها. أمّا خبز الله فهو النازل من السماء الواهب حياة للناس، لا لأمّة واحدة فقط، بل للعالم بأسره.

٦: ٣٤ لم يكن اليهود قد أدركوا بعد أن الرب يسوع كان يتحدث عن نفسه بصفته الخبز الحقيقي، لذا جاءوا يطلبون منه الخبز. كانوا ما يزالون يفكّرون في الأرغفة بمعناها الحرفي. كانت قلوبهم، للأسف، خالية من أي إيمان حقيقي.

د. يسوع، خبز الحياة (٦: ٣٥-٦٥)

٦: ٣٥ الآن، أعلن يسوع الحق ببساطة، وبوضوح. إنه خبز الحياة. والذين يُقبلون إليه، يجدون فيه ما يكفي لسدّ جوعهم الروحي إلى الأبد. كما أنّ الذين يؤمنون به، سيرتوي عطشهم إلى الأبد. ولنلاحظ العبارة «أنا هو» في هذا العدد، والتي استخدمها الرب يسوع، على اعتبار أنه مساوٍ ليهوه. فإنه لضرب من الجنون أن يتلفظ أي إنسان خاطئ بكلمات العدد ٣٥. فما من إنسان قادر على سدّ جوع قلبه وعطشه هو شخصيًّا، فكم هو بالحري عاجز عن سدّ الفراغ الروحي لدى العالم بأسره.

٦: ٣٦ كان اليهود غير المؤمنين قد سألوا الرب أن يريهم آية حتى يروا أو يؤمنوا (ع ٣٠). وهنا خاطبهم يسوع بالقول إنه سبق له أن أعلمهم بأنهم قد رأوه — وهو أعظم آية على الإطلاق — ومع هذا لم يؤمنوا به. فإن كان ابن الله قد وقف قبالتهم، في كمال ناسوته، ولم يتعرفوا عليه، لذا بات من المشكوك فيه أن يقتنعوا على أساس أية آية قد يصنعها.

٦: ٣٧ لم يفشل الرب من جراء عدم إيمان اليهود. لقد كان يعلم أن مقاصد الآب وخططه ستتم جميعها. ولئن كان اليهود الذين كان يحدثهم قد رفضوا أن يقبلوه، فهو كان يعرف تمامًا أنه سيُقبل إليه جميع الذين اختارهم الله. وكما قال بينك *Pink*: "إن التحقّق من عجز الإنسان عن التأثير سلبيًا في المشورات الإلهية الأزلية والعبث بها، يولّد في النفس، أكثر من أي شيء آخر، الهدوء والسلام والشجاعة والمثابرة".

لهذا العدد أهمية بالغة بما أنه يبسط، بكلمات قليلة، اثنين من التعاليم القيّمة في الكتاب المقدس. أولهما أن الله أعطى بعض الأشخاص للمسيح، وأن كل هؤلاء سيخلصون. أما التعليم الثاني، فيتعلق بمسؤولية الإنسان. ذلك لأن الإنسان الذي يبغي اختبار الخلاص، يلزمه المجيء إلى الرب يسوع وقبوله بالإيمان. فالله يختار حقًا بعض الأشخاص للخلاص، لكن الكتاب المقدس لا يعلّم أبدًا على صفحاته بأنه يختار أُناسًا للدينونة. وإذا ما مضى جميع الناس إلى الجحيم، فلا يكونون بذلك قد حصلوا إلاّ على جزاء خطيتهم المحق. أمّا الله فيتنازل، على أساس نعمته، ليخلّص أفرادًا من جملة الجنس البشري. وهل يحق له فعل ذلك؟ طبعًا، يحق له. فباستطاعته - تبارك اسمه - فعل ما يشاء، وليس بمقدور أي إنسان أن يُنكر عليه هذا الحق. ومن جهة أخرى، نعلم أن إلهنا منزه عن الخطإ أو الظلم.

ولكن، كما أن الكتاب المقدس يعلّم أن الله قد اختار بعض الأشخاص للخلاص، فهو يعلّم كذلك أيضًا أنّ الإنسان مسؤول عن قبول الإنجيل. فالله يعرض على الجميع أنه على استعداد لأن يخلّص كل إنسان يؤمن بالرب يسوع المسيح. وهو لا يخلّص الناس رغم إرادتهم. لذا وجب على الإنسان أن يُقبل إليه بالتوبة والإيمان؛ وعندئذ يخلّصه الله. وما من أحد يأتي إلى الله بواسطة المسيح، **يخرجه الربُّ خارجًا**.

يعجز الذهن البشري عن التوفيق بين هذين التعليمين. إلاّ أنه يلزمنا أن نؤمن بهما، ولو لم نتمكن من استيعابهما. أنهما من التعاليم الكتابية وهما مذكوران بوضوح هنا.

٦: ٣٨ كان الرب يسوع قد صرّح في العدد ٣٧ بأنه ستتم جميع مخطّطات الله المختصة بخلاص الذين أُعطوا له. وبما أن هذا الأمر يدخل في صُلب إرادة الآب، فسيعمل الرب على تنفيذه بنفسه، ذلك لأن مهمته كانت تقتضي فعل إرادة الله. كما أن المسيح بقوله: «**لأني قد نزلت من السماء**»، يعلّم بوضوح أنه لم يبدأ حياته في مذود بيت لحم، بل كان بالحري موجودًا منذ الأزل مع الله الآب في السماء. وعندما جاء إلى العالم، عاش بصفته ابن الله المطيع. وهو أخذ، طوعًا واختيارًا، مكان الخادم حتى يتمكن من تتميم **مشيئة** أبيه. وهذا لا يعني أنه ما كان لديه أية إرادة شخصيّة، بل إنما إرادته كانت في توافق تام مع إرادة الله.

٦: ٣٩ تقضي إرادة الاب بان كل إنسان أُعطيَ للمسيح، يوهَب الخلاص، ويُحفظ إلى حين قيامة الأبرار، حين يقامون ويؤخذون إلى بيتهم السماوي. واللفظتين «ما» و «منه» تشيران هنا إلى المؤمنين. فالرب لم يكن يفكّر هنا في مؤمنين أفراد بل في كل المؤمنين الذين سيخلصون عبر السنين. لقد كان الرب يسوع مسؤولاً عن السهر على سلامة الجسد لكي لا يهلك أي عضو فيه، بل يُقام كله في اليوم الأخير.

واليوم الأخير يشير، بالنسبة إلى المسيحيين المؤمنين، إلى اليوم الذي فيه يأتي الرب يسوع في الهواء، عندما الأموات في المسيح يقومون أولاً ثم يتغير المؤمنون الأحياء، وعندما سنُخطف جميعنا لملاقاة الرب في الهواء، لكي نكون كل حين مع الرب. أما بالنسبة إلى اليهود فإن هذا اليوم يعني مجيء المسيّا في المجد.

٦: ٤٠ واصل الرب هنا شرحه للطريقة التي بها يصبح أحدنا فردًا في عائلة المفديين فمشيئة الله هي أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية. ورؤية الابن هنا لا تعني رؤيته بعيوننا الجسدية، بل بالحري بواسطة عيون إيماننا. فعلى كل واحد منا أن يرى ويدرك أنّ يسوع المسيح هو ابن الله ومخلّص العالم. ثم يحتاج أيضًا أن يؤمن به. وهذا يعني أنه يلزمه قبول الرب يسوع مخلّصًا شخصيًا له، وذلك بفعل إيمان صادق. وكل من يفعلون هذا، ينالون الحياة الأبدية إذ تصبح من نصيبهم في الوقت الحاضر، كما يحصلون أيضًا على يقين أنهم سيُقامون في اليوم الأخير.

٦: ٤١ كان الشعب غير مستعدين لقبول الرب يسوع؛ وقد عبّروا عن ذلك بتذمرهم عليه. فهو كان قد صرّح بأنه الخبز الذي نزل من السماء. وهكذا أدركوا مدى أهمية هذا التصريح. فالشخص الذي نزل من السماء، لا يمكنه أن يكون مجرد إنسان عادي، ولا حتى نبيًا عظيمًا. لذا كانوا يتذمّرون عليه لأنهم ما كانوا مستعدين للإيمان بكلامه.

٦: ٤٢ لقد افترضوا أن يسوع كان ابن يوسف. وبالطبع كانوا في ذلك على خطإ. فيسوع قد وُلد من العذراء مريم، ويوسف لم يكن أباه؛ بل إن الرب قد حُبل به من الروح القدس. وهكذا يكون إخفاقهم في الإيمان بولادة يسوع من عذراء هو الذي أدّى بهم إلى الظلام وعدم الإيمان. وهكذا هو الحال في أيامنا أيضًا. ذلك لأن الذين يرفضون قبول الرب يسوع بصفته ابن الله الذي أتى إلى العالم من أحشاء العذراء، يجدون أنفسهم مرغَمين على إنكار جميع الحقائق العظمى المختصة بشخص المسيح وبعمله.

٦: ٤٣ لقد عرف الرب ما قالوه، مع أنهم لم يكونوا يتحدثون إليه مباشرةً. لذا طلب منهم ألاّ يتذمروا في ما بينهم. وتوضح لنا الأعداد التالية لماذا كان تذمرهم هذا غير نافع، ولا جدوى منه، فعلى قدر ما كان اليهود يرفضون شهادة الرب يسوع، عسر عليهم فهم تعاليمه. «فالنور الذي رُفض هو النور الذي أُنكِرَ". وعلى قدر ما كانوا يقاومون الإنجيل بازدراء، صعب عليهم قبول رسالة الإنجيل. فإذا كان الرب قد نقل إليهم أمورًا بسيطة، ولم يؤمنوا بها، فعندما يبسط أمامهم أمورًا أصعب بعد، يجهلون تمامًا معنى كلامه لهم.

٦: ٤٤ الإنسان، بحد ذاته، عاجز وضعيف تمامًا. فهو لا يملك حتى القدرة على المجيء، من ذاته، إلى يسوع. وما لم يبدأ الآب بالعمل أولاً في قلبه وحياته، لن يتحقق أبدًا من ذنبه الفظيع، ولا من حاجته إلى مخلّص. كثيرون يواجهون صعوبة في فهم هذا العدد. فإنهم يفترضون أنه يعلّم أنّ الإنسان قد يرغب في نوال الخلاص، إلاّ أنه قد يستحيل عليه ذلك. لكن هذا غير صحيح. فهذا العدد يعلّم، بكل وضوح وبصريح العبارة، أنّ الله هو الذي عمل أوّلاً في حيواتنا لاجتذابنا إليه. ونحن لنا الخيار بقبول الرب يسوع أو برفضه. لكن هذه الرغبة في نوال الخلاص ما كانت لتظهر فينا، لو لم يكلّم الله قلوبنا. وبعد هذا، عاد الرب ليذكر من جديد وعده بأنه سيقيم كل مؤمن حقيقي به في اليوم الأخير. وهذا يشير، كما أسلفنا، إلى مجيء المسيح لأجل قديسيه، عندما يُقام المؤمنون الأموات ويتغير الأحياء. إنها قيامة المؤمنين وحدهم.

٦: ٤٥ بعد أن أكّد الرب، بعبارات صريحة، عجز أي إنسان عن المجيء إليه ما لم يجتذبه الآب أولاً، يواصل الآن شرحه للطريقة التي ينتهجها الآب لجذب الناس إليه. ابتدأ الرب بالاقتباس من إشعياء ٥٤: ١٣ «**ويكون الجميع متعلمين من الله**». فالله لا يكتفي باختيار أفراد فقط، بل يخاطب قلوبهم بواسطة تعليم كلمته الثمينة.

وبعد هذا يأتي دور إرادة الإنسان. فالذين يتجاوبون مع تعليم كلمة الله ويتعلمون من الآب، هم الذين يُقبلون إلى المسيح. وهنا أيضًا نرى هاتين الحقيقتين العظميين حول سلطان الله المطلق ومسؤولية الإنسان، وقد جعلهما الكتاب المقدس جنبًا إلى جنب. انهما تبينان لنا أنّ للخلاص شقًّا إلهيًّا وشقًّا آخر بشريًّا.

وإذ قال الربّ: «**إنه مكتوب في الأنبياء**»، كان يعني بالطبع أسفار الأنبياء، ولا سيّما إشعياء، مع أن الفكرة التي يعبِّر عنها هنا مذكورة في كل كتب الأنبياء. فبواسطة تعاليم كلمة الله وروح الله، ينجذب الناس إلى الله.

٦: ٤٦ وكون الناس يتعلمون من الله، لا يعني أنهم قد رأوه. فالرب يسوع المسيح الذي جاء من الله، هو وحده من رأى الآب.

كل الذين يعلمهم الله، يتعلمون عن الرب يسوع المسيح، ذلك لأن المسيح نفسه هو الموضوع الأساسي والرئيسي لتعليم الله.

٦: ٤٧ العدد ٤٧ هو من أكثر التصريحات وضوحًا واختصارًا في كلمة الله بشأن طريق الخلاص. فالرب يسوع المسيح صرّح بكلمات غير قابلة لتأويلها ولإساءة فهمها، بأن **كل من يؤمن به فله حياة أبدية**. ولنلاحظ أنه صدّر تصريحه المهوب هذا بعبارة التأكيد «**الحق الحق**». وهذا العدد هو واحد من جملة أعداد كثيرة في العهد الجديد تعلّم أن الخلاص لا يحصل بالأعمال، ولا بحفظ الناموس، ولا من طريق الانتماء إلى كنيسة ما، ولا بإطاعة القاعدة الذهبية، بل بالحري بمجرد الإيمان بالرب يسوع المسيح.

٦: ٤٨، ٤٩ والآن يصرّح الرب يسوع بأنه هو خبز الحياة الذي كان قد تحدّث عنه سابقًا. وخبز الحياة يعني، بالطبع، الخبز الواهب حياة للذين يأكلونه. وكان اليهود قد أثاروا قبلاً مسألة المنّ في البرية، وتحدّوا الرب يسوع للإتيان بطعام رائع كهذا. فذكّرهم الرب هنا

بأن آباءهم **أكلوا** المن في البرية **وماتوا**. وبكلمة أخرى، كان المن لهذه الحياة فقط، ولم يكن لديه أية قدرة على منح الذين يأكلونه حياة أبدية. والرب باستخدامه العبارة «**آباؤكم**»، انفصل عن البشرية الساقطة، مؤكّدًا ضمنًا ألوهيته الفريدة في نوعها.

٦: ٥٠ وبالمقارنة مع المن، حدثهم الرب يسوع عن نفسه بصفته **الخبز النازل من السماء**. وأن أكل أحد هذا الخبز، **فلا يموت**. وهذا لا يعني أنه لن يموت جسديًا، بل أنّه سينعم بحياة أبدية في السماء. فلئن مات جسديًّا، فإن جسده سيُقام في اليوم الأخير، لكي يقضي الأبدية مع الرب.

يكرّر الرب يسوع في هذا العدد، كما في الأعداد التالية، كلامه عن الناس الذين يأكلون منه. وهل يعني بذلك أنه ينبغي للناس أن يأكلوا منه بالمعنى الحرفي للكلمة؟ إن هذه الفكرة هي بالطبع مستحيلة بل ممقوتة. إلاّ أن بعضًا يرون أن الرب أراد أن يعلّم بضرورة الأكل منه من خلال "فريضة العشاء الرباني". أي أن الخبز والخمر يتحولان بطريقة معجزية إلى جسد المسيح ودمه، حتى إننا لا ننال الخلاص إلاّ بعد مشاركتنا في هذه الفريضة. لكن يسوع لم يقل هذا، إذ يتضح لنا من القرينة أنّ الأكل منه يعني الإيمان به. فعندما نؤمن بالرب يسوع المسيح بصفته مخلّصنا، فنحن بذلك نخصصه لأنفسنا بالإيمان. وبذلك نشارك في الفوائد التي صارت لنا في شخصه وفي عمله. وفي هذا المجال، قال أغسطينوس: "آمن، فتكون إذ ذاك قد أكلت".

٦: ٥١ يسوع هو **الخبز الحي**. فهو لا يملك حياة في ذاته فحسب، بل هو أيضًا واهب الحياة. وكل من يأكل **هذا الخبز يحيا إلى الأبد**. لكن كيف يكون ذلك؟ وكيف يستطيع الرب منح الحياة الأبدية لخطاة مذنبين؟ لنا الجواب عن هذا في الجزء الأخير من هذا العدد: «**والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي ابذله من أجل حياة العالم**». كان الرب يسوع يشير هنا إلى موته المقبل على الصليب. فهو سيبذل حياته فدية لأجل الخطاة. وهكذا سيُكسّر جسده، ويُسفَك دمه كذبيحة عن الخطايا. كان سيموت بديلاً عن الناس لكي يحمل عقاب خطاياهم. ولماذا سيفعل ذلك؟ الجواب هو من **أجل حياة العالم**. فهو لن يموت لأجل الأمّة اليهودية وحدها، ولا حتى لأجل المختارين؛ بل ستكون لموته قيمة تكفي العالم بأسره. وهذا لا يعني، بالطبع، أن العالم كله سيخلص، وإنما عمل الرب يسوع على الصليب فيه كل الكفاية لخلاص العالم، إن كان جميع الناس يُقبلون إلى يسوع.

٦: ٥٢ كان اليهود ما يزالون يفكّرون بلغة الخبز **والجسد** بمعناهما الحرفي. فأفكارهم كانت عاجزة عن السمو فوق أمور هذه الحياة. كما أنه فاتهم أن يدركوا أن الرب يسوع كان يستخدم أشياء مادية لتعليم حقائق روحية. لذا سأل بعضهم بعضًا كيف كان يستطيع هذا الإنسان أن يعطي **جسده** مأكلاً للآخرين؟ إن مظلّة الهبوط لا تنفتح إلاّ بعد أن تقفز خارج الطائرة. لذا فإن الإيمان يجب أن يسبق النظر والعيان لكي يعدّ نفسك للفهم، وقلبك للوثوق، وارادتك للطاعة. وهكذا ستحصل على الجواب عن جميع أسئلتك التي تتصدّرها "كيف؟" عندما تُخضع نفسك لسلطان المسيح، متمثّلاً في ذلك ببولس عندما صرّح بالقول: «يا رب، ماذا تريد أن أعمل؟».

٦: ٥٣ ومرة جديدة، أدرك يسوع، العارف بكل شيء، كل ما كانوا يفتكرون فيه ويقولونه. لذا نبّههم بجدّية إلى أنّهم إن لم **يأكلوا جسده ويشربوا دمه، فلن يكون لهم حياة فيهم**. وهذا لا يمكن أن يشير إلى الخبز والخمر المستخدمين في عشاء الربّ. فعندما أرسى الرب نظام هذا العشاء، في الليلة التي أُسلِم فيها، لم يكن جسده قد كُسر بعد، ولا دمه سُفك. وهكذا يكون التلاميذ قد شاركوا في الخبز والخمر من دون أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه، بالمعنى الحرفي للكلمة. فالرب يسوع كان يصرّح ببساطة هنا أننا لا نختبر الخلاص ما لم نخصّص لأنفسنا، بالإيمان، قيمة موته لأجلنا على الصليب. فنحن يجب أن نؤمن به، ونقبله، ونثق به، بل نمتلكه أيضًا.

٦: ٥٤ لدى مقارنة هذه الآية بالآية ٤٧، يتبيّن بغير أدنى شكّ أنّ أكل جسد المسيح وشرب دمه إنّما يعنيان الإيمان به. ففي الآية ٤٧ نقرأ: «**من يؤمن بي فله حياة أبديّة**». وفي الآية ٥٤ نُفاد أن **من يأكل جسد المسيح ويشرب دمه فله حياة أبديّة**. ومن علم الرياضيات نعرف أنّ العناصر التي تُساوي قيمةً واحدة، يُساوي أحدُها الآخر. هكذا نرى أنّ **أكل جسد المسيح وشرب دمه** ما هُما إلاّ الإيمان به. وجميع الذين يؤمنون به سوف يُقامون **في اليوم الأخير**: هذا يُشير طبعًا إلى أجساد الذين رقدوا مؤمنين بالربّ يسوع.

٦: ٥٥ إن **جسد** الرب يسوع **مأكل حق، ودمه مشرب حق**. وهذا، بالمفارقة مع الصفة الوقتية لمآكل هذا العالم ومشربه. فموت المسيح لا نهاية لقيمته. لذا فإن الذين يشاركون في الرب بالإيمان، يحصلون على الحياة التي تبقى إلى الأبد.

٦: ٥٦ إن علاقة اتّحاد حميمة جدًّا تربط الرب بالمؤمنين به. فكل **من يأكل جسد الرب ويشرب دمه، يثبت فيه**، كما أن الرب بدوره يثبت في هذا الشخص. وما من علاقة في الوجود وثيقة أو حميمة بهذا القدر. فلدى تناولنا الطعام، بالمعنى الحرفي للكلمة، فنحن نستوعبه في كياننا، لكي يمسي جزءًا منا. وبطريقة مشابهة، عندما نقبل الرب يسوع فاديًا لنا، فهو يدخل إلى حياتنا ليمكث فيها، ولنمكث نحن أيضًا فيه.

٦: ٥٧ والآن، قدّم الرب توضيحًا آخر للرابط المتين بينه وبين شعبه. وهذا التوضيح يُعنى بعلاقته الشخصية هو بالله الآب. **فالآب الحي** كان قد **أرسل** الرب يسوع إلى العالم. (والعبارة «**الآب الحي**» تعني هنا الآب الذي هو مصدر الحياة). فيسوع، إذ كان إنسانًا في العالم، عاش بالآب، أي بسبب الآب. لقد عاش حياته في الاتّحاد التام بالله الآب والانسجام الكليّ معه، إذ كان الله هو نقطة الدائرة ومحيطها في حياته. وكان قصده أن يكون في ما لأبيه. كان هنا كإنسان في العالم، لكن العالم لم يدرك أنه كان هو الله الذي ظهر في الجسد. لقد حافظ على وحدانيته مع أبيه، وذلك على الرغم من إساءة فهم العالم له. كأن يعيش معه في أعمق أشكال العلاقة الحميمة. وهذا تمامًا هو حال المؤمنين في الرب يسوع؛ فإنهم هنا في العالم، هذا العالم الذي يسيء فهمهم، ويبغضهم وغالبًا ما يضطهدهم، ولكن، بما أنهم وضعوا إيمانهم وثقتهم بالرب يسوع، أصبحوا **يحيون به**. فحيواتهم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بحياته، وهذه الحياة ستبقى إلى الأبد.

٦: ٥٨ هذا العدد يلخِّص، على ما يبدو، كل ما تفوّه به الرب في الأعداد السابقة. فهو **الخبز الذي نزل**

من السماء. إنه أعلى شأنًا من المن الذي أكله الآباء في البرية. لقد اكتسب ذلك الخبز قيمة وقتية، وذلك بسبب اقتصاره على هذه الحياة فقط، أمّا المسيح فهو خبز الله الواهب حياة أبدية لجميع الذين يأكلونه.

٦: ٥٩ كان الجمع قد تبعوا يسوع وتلاميذه إلى **كفرناحوم** من الجهة الشمالية الشرقية لبحر الجليل. ويظهر أيضًا أن هذا الجمع التقى يسوع في **المجمع***، وأنه في ذلك المكان خاطبهم يسوع بشأن خبز الحياة.

٦: ٦٠ كان لدى الرب يسوع، في ذلك الوقت، **تلاميذ كثيرون** غير جماعة الاثني عشر. فكل شخص اتبعه معترفًا بقبول تعاليمه، بات معروفًا بأنه من تلاميذه. إلاّ أنّ هؤلاء الذين عُرفوا بأنهم تلاميذه، لم يكونوا جميعهم مؤمنين حقيقيين. والآن، قال كثيرون من الذين ادّعوا بأنهم **تلاميذه**: «**إن هذا الكلام صعب**». لقد اعتبروا أن تعليمه مُعثِر. لم يكن من الصعب عليهم استيعابه على قدر ما كانوا يمقتون قبوله. وبقولهم، «**من يقدر أن يسمعه**»، كانوا يقصدون: "من يقوى على احتمال الإصغاء إلى تعليم منفِّر كهذا؟".

٦: ٦١ من جديد، لنا البرهان هنا على معرفة الرب الكاملة بالأمور. **فيسوع علم تمامًا ما قاله التلاميذ**. لقد عرف أنهم كانوا يتذمرون على تصريحه بأنه نزل من السماء؛ كما أنه لم يرُقهم تأكيده أنّه ينبغي للناس أكل جسده وشرب دمه لنوال الحياة الأبدية. لذا سألهم: «**أهذا يعثركم؟**»

٦: ٦٢ لقد أعثرهم قوله إنه نزل من السماء. والآن سألهم عن موقفهم متى رأوه **صاعدًا** إلى السماء من حيث أتى، الآمر الذي كان على علم بحصوله بعد قيامته. كذلك أعثرهم قوله إنه يجب على الناس أن يأكلوا جسده، فماذا سيكون عليه موقفهم في حال رأوا ذلك الجسد اللحمي **صاعدًا إلى حيث كان أولاً**؟ فكيف سيبقى بمقدور الناس أن يأكلوا جسده، بالمعنى الحرفي للكلمة، ويشربوا دمه، أيضًا بمعناه الحرفي، بعد أن يكون قد رجع إلى الآب؟

٦: ٦٣ كان هؤلاء القوم يفكّرون في جسد المسيح، بالمعنى الحرفي للكلمة، لكنه يخبرهم هنا أنّ الحياة الأبدية لا تُكتسب من طريق أكل الجسد، بل بالحري بعمل روح الله القدوس. فالجسد غير قادر أن يَهَب الحياة، لكن **الروح** وحده هو الذي يحيي. لقد أخذوا كلامه بمعناه الحرفي، ولم يفهموا أنه كان يجب فهمه روحيًا. لذا أوضح لهم الرب هنا أن **الكلام** الذي خاطبهم به هو روح وهو أيضًا **حياة**. ومتى تمّ فهم أقوال الربّ بشأن ضرورة أكل جسده وشرب دمه، من الزاوية الروحية، بمعنى الإيمان به، فعندئذ سيحصل الذين قبلوا رسالة الرب على الحياة الأبدية.

٦: ٦٤ لقد أدرك الرب، حتى في أثناء نطقه بهذه الكلمات، أن بعضًا من سامعيه لم يفهموه، وذلك بسبب **عدم الإيمان**. فالصعوبة كانت تكمن في عدم رغبتهم أكثر منها في عدم قدرتهم. **ويسوع كان يعلم من البدء** إن بعضًا من الذين اعترفوا باتّباعه **لا يؤمنون به**، وأن واحدًا من تلاميذه **سيسلّمه**. وبالطبع، كان **يسوع على علم** بكل ذلك، منذ الأزل، إلاّ أن المقصود هنا، على الأرجح، هو أن الرب وعى ذلك منذ بداية خدمته على الأرض.

* المجمع هو مكان محلّي يجتمع فيه اليهود لأغراض دينيّة، وهو خلاف الهيكل الذي كان في أورشليم حيث كان ممكنًا تقديمُ الذبائح الحيوانيّة. وعليه، فقد كانت هنالك مجامع عديدة في أماكن متفرّقة، فيما لم يوجد إلاّ هيكل واحد.

٦: ٦٥ والآن أوضح لهم أنه، بسبب عدم إيمانهم، كان قد أبلغهم قبلاً أنه **لا يقدر أحد أن يأتي** إليه ما لم يُعطَ من قِبل أبيه السماوي. إن هذه الكلمات تضرب في العمق كبرياء الإنسان، في ظنه أنّ باستطاعته كسب الخلاص واستحقاقه. فالرب يسوع أعلم الناس بأنّه حتى القدرة نفسها على المجيء إليه لا يمكن الحصول عليها إلا من الله الآب.

هـ. ردود فعل متضاربة تجاه كلمات المخلّص (٦: ٦٦-٧١)

٦: ٦٦ إن كلمات الرب يسوع هذه مقتها الكثيرون من الذين كانوا يتبعونه، حتى إنهم تركوه الآن، ولم يعودوا على استعداد للالتصاق به. هؤلاء التلاميذ ما كانوا يومًا مؤمنين حقيقيين. لقد اتبعوا الرب لغايات متنوعة، لكن ليس على أساس محبة صادقة له، أو تقدير لشخصه.

٦: ٦٧ عند هذا الحدّ، توجّه يسوع إلى التلاميذ **الاثنى عشر**، وسألهم هل هم أيضًا مزمعون أن يفارقوه.

٦: ٦٨ يجدر بنا أن نتوقّف قليلاً عند جواب بطرس. فهو قال ما معناه: "يا رب، كيف يمكننا أن نتركك، وتعليمك هو الذي يؤدي إلى **الحياة الأبدية**. وإذا فارقناك، فلا يعود هناك أي شخص آخر باستطاعتنا أن نذهب إليه. فتركنا إياك يعني تقريرنا بأنفسنا هلاكنا المحتوم".

٦: ٦٩ نطق بطرس بلسان حال الاثني عشر بقوله إنهم **آمنوا وعرفوا** أن الرب يسوع كان المسيّا، ابن الله الحي. ولنلاحظ مجدّدًا الترتيب المتسلسل للكلمتين «**آمنا، وعرفنا**». لقد كان عليهم أولاً أن يضعوا إيمانهم في الرب يسوع المسيح، ومن ثم تسنى لهم أن **يعرفوا** أنه كان حقًّا كل ما صرّح به عن نفسه.

٦: ٧٠ كان بطرس في العددين ٦٨، ٦٩ قد استخدم الضمير المنفصل "نحن"، متكلّمًا باسم الاثني عشر تلميذًا. وهنا في العدد ٧٠، جاء الرب يصحّح مفهوم بطرس. فقد كان حَريًّا به ألاّ يُجزم، بهذا الشكل القاطع، إن الاثني عشر كانوا جميعهم مؤمنين حقيقيين. فصحيح أنّ الرب هو الذي كان قد اختار **الاثني عشر** تلميذًا، لكن واحدًا منهم كان **شيطانًا**. فبين التلاميذ، كان هناك شخص لم يشاطر بطرس آراءه بشأن الرب يسوع المسيح.

٦: ٧١ عرف الرب يسوع أن **يهوذا الاسخريوطي** كان مزمعًا أن **يسلمه**. كما عرف أيضًا أن يهوذا لم يَقبله قَط، بشكل حقيقي، ربًّا ومخلّصًا. وهنا أيضًا تظهر معرفة الربّ يسوع الكلية. كذلك أمامنا البرهان على أن بطرس ما كان معصومًا عن الخطإ في كلامه مع التلاميذ.

كان الرب قد استهل حديثه عن خبز الحياة بتعليم بسيط إلى حدّ كبير. لكن، ومع تقدّمه في الحديث، بدا أن اليهود كانوا يرفضون كلامه. وعلى قدر ما أغلقوا قلوبهم وآذانهم عن الحق، كان تعليم الرب يزداد صعوبة في نظرهم. وأخيرًا كلّمهم عن أكل جسده وشرب دمه. فلم يطيقوا الإصغاء إلى ذلك. لذا، كان لسان حالهم: «هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه». وهكذا كفّوا عن اتّباعه. فرفض الحق يؤدي بصاحبه إلى العمى الروحي. وبما أنهم لم يريدوا أن يروا، وصلوا إلى الحدّ الذي فيه لم يقدروا أن يروا.

٥. ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: أورشليم (٧: ١-١٠: ٣٩)

أ. يسوع يوبّخ إخوته (٧: ١-٩)

٧: ١ ثمّة فاصل زمني يقدَّر ببعض الأشهر بين أحداث الأصحاحين السادس والسابع. كان **يسوع** قد مكث في **الجليل**، ولم يُرد أن يمكث في **اليهودية** التي كانت بمثابة المقر العام **لليهود**، بما أنهم كانوا **يطلبون أن يقتلوه**. وثمة إجماع، بشكل عام، على أن القادة أو الحكام هم **اليهود** المشار إليهم في هذا العدد. فهؤلاء هم الذين يكرهون الرب يسوع بأكثر مرارة، والذين تحينوا الفرص **لقتله**.

٧: ٢ كان **عيد المظال** في عداد الأحداث الهامة في التقويم اليهودي. كان يقع في زمن الحصاد، ويتخلله التذكير عمليًّا بأن اليهود عاشوا في مساكن موقتة بعد خروجهم من مصر. كانت تلك المناسبة مبهجة، وفيها التطلع قُدمًا إلى اليوم الآتي حين سيملك المسيّا، وستسكن الأمّة القديمة المخلّصة في الأرض، بسلام وازدهار.

٧: ٣ إن اخوة الرب المذكورين في العدد ٣، كانوا، على الأرجح، أولادًا وُلدوا لمريم بعد ولادة يسوع، (يرى بعضهم أنهم كانوا من أقرباء يسوع). لكن، مهما كانت صلة القربى التي كانت تربطهم بيسوع، لم تخوّلهم الحصول على الخلاص. ذلك لأنهم لم يؤمنوا حقًّا بالرب يسوع، بل دعوه إلى الصعود إلى عيد المظال بأورشليم ليصنع هناك بعض عجائبه، حتى يتسنى **لتلاميذه رؤية** أعماله. والتلاميذ المذكورون هنا، لم يكونوا الاثني عشر، بل أولئك الذين كانوا في اليهودية، وقد ادّعوا اتّباع الرب يسوع.

لقد أرادوا منه إظهار نفسه علانية، مع أنهم لم يكونوا يؤمنون به. ولعلهم ابتغوا من ذلك جذب الانتباه إليهم بصفتهم أقرباء شخص ذائع الصيت. أو، كما يُرجَّح أكثر، كانوا يحسدونه على شهرته، لذا جاؤوا يحثونه على المضي إلى اليهودية لعله يُقتل هناك.

٧: ٤ ربما تفوهوا بهذه الكلمات بتهكّم وسخرية. فأقرباء الرب كانوا، على ما يبدو، يشيرون ضمنًا إلى أنه كان يجدّ في أثر الشهرة والشعبية، وهل من أمر آخر غير كسب الصيت كان يدفعه إلى القيام بكل تلك المعجزات في الجليل؟ وكأنهم أرادوا أن يقولوا له ما معناه: "إنها فرصتك الذهبية. فأنت كنت، وما تزال، تسعى لتصبح مشهورًا. لذا وجب عليك أن تذهب إلى أورشليم لأجل العيد. فهناك سيحتشد المئات من الناس، وستُتاح لك الفرصة لصنع المعجزات أمامهم. أمّا الجليل فهو مكان هادئ، وأنت عمليًّا تصنع معجزاتك في الخفاء هنا. فلماذا تتصرف بهذا الشكل مع علمنا برغبتك في أن تصبح ذائع الصيت؟". ثم أضافوا قائلين: «**إن كنت تعمل هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم**». ولعل الفكرة هنا هي كالآتي: "إن كنت أنت المسيّا حقًّا، وتعمل هذه المعجزات لبرهان ذلك، فلماذا لا تعرض هذه البراهين في اليهودية، هناك حيث سيُحسب لها حساب؟".

٧: ٥ لم يكن لدى **إخوته** أيّة رغبة صادقة في رؤيته يتمجد. ذلك لأنهم **لم يؤمنوا** بأنه كان حقًّا المسيّا. ولا كانوا على استعداد لتسليم نفوسهم له. وكل ما قالوه كان من قبيل السخرية. فقلوبهم لم تكن مستقيمة أمام الرب. ولا بدّ من أن الرب تألم على نحو خاص، لدى رؤيته إخوته يشككون في كلامه وفي أعماله. وكم مرة لاقى أولاد الله الأمناء أعنف مقاومة لهم على أيدي أقرب المقرّبين وأعزّ الأعزاء على قلوبهم.

٧: ٦ كانت حياة الرب مرتّبة من البداية إلى النهاية. فكل يوم، بل كل تحرك كان يحصل بموجب برنامج مقرَّر مسبقًا. لذا لم يكن قد حضر بعد الوقت المناسب لإعلان الرب نفسه للعالم. كان يعرف تمامًا ما ينتظره، ولم تكن إرادة الله في هذا الوقت أن يذهب إلى أورشليم لإعلان ذاته علانية هناك. لكنه ذكّر إخوته بأن **وقتهم في كل حين حاضر**. ذلك لأنهم كانوا يعيشون حيواتهم بحسب شهواتهم الخاصة، وليس بالطاعة لإرادة الله. كان باستطاعتهم وضع خططهم الشخصية والسفر على هواهم، بما أنهم كانوا معنيين فقط بتتميم إرادتهم الذاتية.

٧: ٧ ما كان بمقدور **العالم** أن **يبغض** إخوة الرب، بما أنهم كانوا ينتمون إلى العالم. لقد وقفوا مع العالم ضدّ يسوع. كما أن حيواتهم كانت بجملتها في انسجام مع العالم. أمّا **العالم** المشار إليه هنا فيشير إلى النظام الذي أنشأه الإنسان، والذي لا مكان فيه لله أو لمسيحه: إنه عالم الحضارة، والفن، والتربية، والدين. وفي اليهودية، كان العالم الديني هو المقصود، ذلك لأن حكام اليهود هم أكثر من أبغضوا المسيح.

أبغض العالم المسيح لأنه شهد على **أعماله** أنها كانت **شريرة**. إنها لشهادة مؤسفة لطبيعة الإنسان الساقطة والفاسدة، أنه عندما جاء الإنسان الخالي من أية خطية أو عيب إلى العالم، تحرّك العالم لقتله. فحياة المسيح بكمالها الرائع أظهرت مدى قصور أية حياة أخرى عن بلوغ هذا المستوى الرفيع. وكما أن الخط المستقيم يكشف التواء الخط المتعرّج، لدى جعلهما جنبًا إلى جنب، هكذا عمل أيضًا مجيء الرب إلى العالم على إعلان الإنسان في عمق حالة الخطية التي يتخبط فيها. لقد مقت الإنسان عملية كشفه على حقيقته هذه. وعوضًا عن التوبة والاستغاثة بالرب لطلب الرحمة، سعى للقضاء على ذاك الذي رفع النقاب عن خطيته.

علق ف. ب. ماير *F. B. Meyer* بالقول:

> آه، إنه لمن أفظع التوبيخات التي قد يوجّهها الرب، المحبّة المتجسّد، أن يصرّح بشأن أي شخص الآن، كما سبق له أن صرح في أيام تجسده بخصوص بعضهم: «لا يقدر العالم أن يبغضكم». ألاّ يبغضنا العالم، يعني أن العالم يحبنا، ويمدحنا، ويداعبنا. إنها من اصعب الحالات التي يبلغها المسيحي المؤمن. "أي أمر رديء صنعته، جعله يتحدث حسنًا عني؟" هذا السؤال طرحه أحد الحكماء في القديم. فانتفاء بغضة العالم لنا يبرهن أننا لسنا نشهد عليه أن أعماله شريرة. وبالمقابل، يأتي دفء محبة العالم ليؤكد أننا من خاصته. فمحبة العالم (صداقته بحسب النص الأصلي) هي عداوة لله. ومن أراد أن يكون مُحبًّا للعالم فقد صار عدوًّا لله (يو٧: ٧؛ ١٥: ١٩؛ يع٤: ٤).

٧: ٨ دعا الرب إخوته إلى **الصعود إلى العيد**. كانت الملابسات المحيطة بهذا الأمر مؤسفة جدًّا: فهم ادّعوا التديّن، وكانوا مزمعين أن يحفظوا عيد المظال؛ غير أن مسيح الله كان في وسطهم، ولم يكن عندهم أية محبة صادقة له. فالإنسان يهوى الطقوس الدينية، بما أنّ باستطاعته حفظها من دون أن يرافق ذلك أي اهتمام قلبي حقيقي. لكنه سرعان ما يشعر بالارتباك والانزعاج ما إن يتواجه مع شخص المسيح. قال يسوع **لست أصعد بعد إلى العيد لأن وقتي لم يكمل بعد**. وهو لم يقصد بذلك أنه لن يصعد إلى العيد على الإطلاق، ذلك لأننا نفهم من العدد العاشر أنه عاد وصعد إلى العيد. لقد كان يعني بالحري أنه لن يذهب برفقة إخوته، لكي يكون له ظهور علني وعظيم بين الناس

هناك. فذلك، لم يكن قد حان أوانه بعد. فصعوده إلى العيد كان سيتمّ بالهدوء، وبأقل قدر ممكن من الظهور.

٧: ٩ لذا، مكث الرب في الجليل بعد صعود إخوته إلى العيد. لقد خلّفوا وراءهم الشخص الوحيد الذي كان باستطاعته أن يولّد في قلوبهم الفرح والابتهاج اللذين يشير إليهما عيد المظال.

ب. يسوع يعلّم في الهيكل (٧: ١٠-٣١)

٧: ١٠ توجّه الرب يسوع بهدوء إلى أورشليم، بعد صعود إخوته إليها ببعض الوقت. لقد كان، كيهودي تقي، يرغب في حضور العيد. أمّا بصفته ابن الله المطيع، فما كان باستطاعته أن يفعل ذلك **ظاهرًا، بل كأنه في الخفاء.**

٧: ١١ إن اليهود الذين **طلبوه في العيد**، كانوا، ولا شك، من الحكام الذين سعوا لقتله. وبطرحهم السؤال: «**أين ذاك؟**» لم يكونوا مهتمين بعبادته بقدر اهتمامهم بالقضاء عليه.

٧: ١٢ من الواضح أنّ حضور الرب أثار شيئًا من البلبلة **في الجموع**. ذلك لأن المعجزات التي صنعها باتت ترغم الناس، أكثر فأكثر، على اتخاذ موقف صريح منه. لقد كانت مسألة كون يسوع نبيًا حقيقيًا أو مزيفًا، هي شغل الجموع الشاغل في العيد، وكانوا يتداولون حوله سرًا. **فبعضهم يقولون إنه صالح. وآخرون يقولون لا بل يضل الشعب.**

٧: ١٣ كانت مقاومة الحكام اليهود ليسوع قد عنفت وازدادت، حتى لم يعد أحد يتكلم لمصلحته **جهارًا**. فالعديد من عامة الشعب عرفوا، ولا شك، أنه كان بالحقيقة المسيّا، غير أنهم لم يتجرّأوا على المجاهرة بذلك خشية أن يقوم القادة باضطهادهم.

٧: ١٤ دام **عيد المظال** عدة أيام. وبعد نحو انتصافه، صعد يسوع إلى الناحية الخارجية من **الهيكل** (المعروفة بالرواق، حيث كان يُسمح للناس بالاحتشاد) **وعلّم**.

٧: ١٥ فتعجب الذين سمعوا المخلّص. كان أكثر ما أثّر فيهم، ولا شك، معرفته بالعهد القديم. كما استحوذ على اهتمامهم أيضًا اطلاعه الواسع النطاق، بالإضافة إلى مهارته في التعليم. لقد كانوا على علم بأن يسوع لم يسبق له قط أن التحق بأية مدرسة دينية عظمى في تلك الأيام، لذا استغربوا ثقافته العالية الشأن. وما يزال العالم يعبّر عن دهشته، وغالبًا أيضًا عن تذمره، عندما يرى مؤمنين قادرين على الكرازة بكلمة الله وعلى تعليمها، وذلك على الرغم من عدم تلقيهم أي تدريب رسمي على الصعيد الديني.

٧: ١٦ ومن جديد، ما أجمل أن نلاحظ كيف رفض الرب أن يأخذ أي فضل لنفسه، لكنه اكتفى بمحاولة تمجيد أبيه السماوي. **أجاب يسوع** ببساطة أنّ تعليمه **ليس** له، بل صادر من الله الذي **أرسله**. فكل ما نطق به الرب يسوع وكل ما علّمه، لم يكن إلاّ تلك الأمور التي دعاه الآب إلى النطق بها وإلى تعليمها. فهو لم يكن ليتصرّف قط باستقلال عن الآب.

٧: ١٧ لو أراد اليهود فعلاً أن يعرفوا هل رسالة المسيح حقيقية أم مزيّفة، لكان من السهل عليهم التحقق من ذلك. **فإن شاء أحد فعلاً أن يعمل مشيئة** الله، **فعندئذ** سيعلن له الله هل تعاليم المسيح إلهية، أو أن الرب كان يعلّم فقط ما يرتئيه هو. وثمة وعد رائع هنا لكل شخص صادق يفتش عن الحق؛ فالإنسان الصادق الذي يبغي فعلاً التعرّف بالحق، لا بدّ من أن يعلن له الله ذلك. "الطاعة هي أداة المعرفة الروحية".

٧: ١٨ كل مـن **يتكلم من نفسـه**، أي من وحي إرادته الذاتية، **يطلب مجد نفسه**. لكن هذا لم يكن ليصحّ على الرب يسـوع، ذلك لأنـه كان يطلب مجد الآب الذي أرسـله. كانت دوافعـه طاهرة ونقيـة في المطلق، لذا جاءت رسالته **صادقة** في المطلق. **لم يكن فيه ظلم**.

كان يسوع هو الشـخص الوحيد الذي يصحّ فيه هذا الكلام. ذلك لأن شيئًا من الأنانية قد امتزج بخدمة كل معلّم آخر. من هنا، يجب أن تكون أمنية كل خادم للرب أن يمجّد الله لا ذاته.

٧: ١٩ بعـد هذا، وجّه الـرب لليهود اتهامًا مباشـرًا. فذكّرهـم بأن **موسـى أعطاهم النامـوس**، وهكذا اعتزوا باقتنائهـم للنامـوس، إلا أنهم نسـوا أنْ مـا من فضيلة في مجرّد اقتنـاء هذا الناموس، ذلـك لأن الناموس كان يسـتلزم إطاعـة توجيهاته ووصايـاه. وعلى الرغم من افتخارهـم بالناموس، بات من الواضـح أن أحدًا منهم لم يكن ليحفظ الناموس، بمـا أنهم كانوا ما يزالون حتى ذلك الحين يتآمرون على الرب يسوع لقتله. والناموس حظّر، بصريـح العبارة، على الناس القتـل. لذا كانوا بنيّاتهم المبيّتة ضدّ الرب يسوع، ينقضون الناموس.

٧: ٢٠ شعر الجمع بحدّة الاتهام الذي وجّهه إليهم يسوع. وهكذا راحوا يسـيئون معاملته عوضًا عن الإقرار بأنه كان على حق. قالوا إن به **شيطانًا**. كما شككوا في تصريحه بأن أي واحد منهم كان **يطلب أن يقتله**.

٧: ٢١ عـاد **يسـوع** الآن إلى حادثة شـفاء الرجل المقعد عند بركة بيت حسـدا. فهذه المعجـزة هي التي كانت قد أهاجـت أحقاد القادة اليهود ضدّه. كما أنهم بدأوا منـذ ذلك الحين مؤامرتهم المشـؤومة لقتلـه. فذكّرهم الرب بأنه عمل **عملاً واحدًا**، أدهشـهم **جميعهم**. وهم لم يندهشوا لشدّة إعجابهم بالرب، بل تحت وطأة الصدمة التي أصابتهم من جراء فعله هذا الأمر في السبت.

٧: ٢٢ كانـت شـريعة **موسـى** قد أمرت **بختـان** الطفل الذكـر بعد ثمانية أيـام من ولادته. (والختـان لم يبدأ، في الواقع، مع موسـى، بل مارسـه **الآباء**، أي إبراهيم واسحاق ويعقوب إلخ) فلو صادف وقوع اليوم الثامن **في السبت**، لم يكن اليهود يعتبرون أنه من الخطإ، في هذه الحال، خـتن الطفل الذكر. كانوا يشـعرون بأن هذا العمل كان ضروريًّا، وبالتالي يسمح به الرب.

٧: ٢٣ فـإن كانوا **يختنـون الطفل في السـبت**، بقصد إطاعة **شريعة موسى** المختصة بالختان، فلماذا لاموا الرب يسوع **لأنه شـفى إنسانًا كله في السـبت؟** فإن كان الناموس يسمح بالقيام بعمل ضروري، أفلا يسمح أيضًا بالقيام بعمل رحمة؟

والختـان هو عمليـة جراحية بسـيطة تجـرى للطفل الذكر. وغني عن القول إنها تسبب ألمًا، وفوائدها الصحيّة هـي طفيفـة. وبالمقارنة مع هذا، أقدم الرب يسـوع على شفاء إنسان كله في السبت. ومع هذا لامه اليهود.

٧: ٢٤ كانت مشـكلة اليهـود أنهم حكموا بناء على **ظاهـر** الأمور، وليس على أسـاس واقعها الفعلي. لذا لم يكـن حكمهـم عـادلاً. فالأعمال الـتي بدت لهم مشـروعة تمامًا لدى قيامهم بها، بدت لهم مرفوضة في المطلق عندما قام بها الرب. فالطبيعة البشرية هي أبدًا ميّالة إلى الحكم على الأمور بحسـب العيان، لا بحسب الواقع. لذا، لم ينقض الرب يسوع ناموس موسى، بل كانوا هم الذين نقضوه ببغضهم للرب بلا سبب.

٧: ٢٥ في ذلك الوقت، بات معروفًا في أورشليم، بأن القادة اليهود كانوا يتآمرون على المخلّص. وهنا بعض القوم من عامة الشعب، تساءلوا بخصوص الربّ: أليس هذا هو الذي يطارده الحُكّام؟

٧: ٢٦ لم يفهموا كيف سُمح للرب يسوع بأن يتكلم جهارًا بهذا الشكل. فإن كان الحكام يكرهونه جدًّا كما تبيّن للشعب، فلماذا سمحوا له بمواصلة نشاطه؟ هل يجوز أنهم اكتشفوا أخيرًا أنه كان حقًّا المسيح، كما سبق له أن صرّح؟

٧: ٢٧ إن القوم الذين لم يؤمنوا بأن يسوع كان المسيّا، ظنوا أنهم علموا من أين هو. فباعتقادهم أنه أتى من الناصرة. لقد كانوا يعرفون أمه، مريم، واعتقدوا أن يوسف كان أباه. وكان المعتقد السائد بين أوساط اليهود في تلك الأيام أنّه متى جاء المسيّا، فإنه سوف يأتي بشكل مفاجئ ويكتنفه الغموض. فلم يخطر على بالهم قط أنه سيولد كطفل ومن ثم يشبّ كرجل. كان عليهم أن يعرفوا من العهد القديم أنه سوف يولد في بيت لحم، لكنهم كانوا، على ما يبدو، يجهلون، إلى حدّ كبير، التفاصيل التي تتعلق بمجيء المسيّا. لذا، قالوا: «**وأما المسيح فمتى جاء، لا يعرف أحد من أين هو**».

٧: ٢٨ نادى يسوع عند هذا الحدّ، مخاطبًا الأشخاص الذين كانوا يحدقون به للإصغاء إلى حديثه. لقد صرّح لهم بأنّهم كانوا **يعرفونه** حقًّا، ويعرفون أيضًا **من أين** أتى. وبالطبع، كان يقول هنا إنهم عرفوه كمجرد إنسان. لقد عرفوه بأنه يسوع الناصري. لكنهم لم يعرفوا عنه أنه كان أيضًا الله. وهذا ما أكمل توضيحه في العدد التالي.

لقد عاش الرب في الناصرة، بالنسبة إلى ناسوته. لكن كان عليهم أن يدركوا أيضًا أنه **لم يأتِ** من نفسه، بل أرسله الله الآب الذي لم يكن هؤلاء القوم **ليعرفوه**. لقد صرّح الرب يسوع في هذه الكلمات، بمساواته لله. فهو **لم يأتِ** من نفسه، أي بموجب سلطانه هو، ولتتميم إرادته الذاتية، بل إن الله **الحق** هو الذي أرسله إلى العالم؛ والله هذا **لم يعرفوه** هم.

٧: ٢٩ لكن الرب يسوع عرفه. لقد كان مع الله منذ الأزل، وكان مساويًا لله الآب من كل الأوجه. فبقول الرب أنه كان من الله لم يكن يعني فقط أنّ الله أرسله، بل قصد أيضًا أنه عاش دائمًا مع الله، مساويًا له في كل شيء. وبالعبارة «**هو أرسلني**»، صرّح الرب بأوضح طريقة ممكنة بأنه كان مسيح الله، الشخص الذي كان تعالى قد أرسله إلى العالم لتتميم عمل الفداء.

٧: ٣٠ فهم اليهود مغزى كلمات يسوع، وأدركوا تصريحه أنه المسيّا. فاعتبروا ذلك تجديفًا بكل معنى الكلمة، وحاولوا القبض عليه، غير أنه لم يتمكن أحد **من إلقاء يده عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد**. فقدرة الله هي التي حافظت على الرب يسوع، وحمته من مخطّطات الناس الشريرة إلى الوقت الذي كان عليه أن يبذل نفسه كذبيحة عن الخطية.

٧: ٣١ في الواقع، **آمن كثيرون من الجمع** بالرب يسوع. ونحن نودّ أن نعتبر أنّ إيمانهم كان صادقًا. ويبدو أن تحليلهم للأمور جاء على النحو التالي: ماذا كان باستطاعة يسوع أن يفعله بعد لبرهان أنه المسيّا؟ ومتى جاء المسيح، إن لم يكن يسوع هو المسيّا، فهل سيكون بمقدوره أن يعمل **آيات** عددها **أكثر**، أو مدهشة أكثر من تلك التي عملها يسوع؟ ويُظهر سؤالهم هذا، بكل وضوح، أنهم آمنوا بأن معجزات يسوع قد أكّدت أنه المسيّا الحقيقي.

ج. عداوة الفريسيين (٧: ٣٢ـ ٣٦)

٧: ٣٢ بينما كان **الفريسيون** يتحرّكون بين صفوف الشعب، **سمعوا** هذا الحديث السري بشأن يسوع. **فالجمع كانوا يتناجون** بخصوص المخلّص، لا بمعنى التذمر عليه، بل كإشارة سرّية إلى إعجابهم به. عندما خاف الفريسيون أن يتوسّع نطاق هذا التيّار المتمثّل في قبول المسيح **أرسلوا خدامًا** من العسكر ليمسكوه.

٧: ٣٣ إن كلمات العدد ٣٣ نطق بها الرب، ولا شك، في محضر الخدام الذين جاؤوا ليمسكوه، وأيضًا أمام الفريسيين وسائر الشعب، بشكل عام.

لم يعمد الرب يسوع إلى التخفيف من وطأة تصريحاته، على الإطلاق، بل بالحري ركّز عليها أكثر. فذكرهم أنه لن يبقى معهم **إلاّ زمانًا يسيرًا بعد**، قبل أن يرجع إلى الله الآب الذي أرسله. ولقد عمل هذا، ولا شك، على زيادة غضب الفريسيين عليه.

٧: ٣٤ في يوم لاحق، **سيطلب** الفريسيون يسوع من دون أن يتمكنوا من **أن يجدوه**. فسيأتي وقت فيه يشعرون بحاجتهم إلى مخلّص، ولكن بعد فوات الأوان، فالرب سيكون قد عاد أدراجه إلى السماء؛ كما أنهم بسبب عدم إيمانهم وفسادهم، لن يتمكّنوا من مقابلته هناك. إن كلمات هذا العدد تبدو رزينة وجدية على نحو خاص. إنها تذكّرنا بشيء اسمه "فوات الفرصة". فالفرصة متاحة اليوم أمام الناس لنوال الخلاص؛ وفي حال رفضوا ذلك، قد لا يُعطَوْن فرصة أخرى.

٧: ٣٥ أخفق اليهود في إدراك معنى كلمات الرب. فإنهم لم يفهموا أنه سيعود إلى السماء. بل ظنوا بالحري أنه كان سينطلق في جولة تبشيرية إلى الشعب اليهودي المشتّت بين اليونانيين، أو ربما يعلّم حتى **اليونانيين** أنفسهم.

٧: ٣٦ ومن جديد عبّروا عن اندهاشهم من كلامه. فماذا قصد **بقوله** إنهم سيطلبونه ولا يتمكنوا من أن يجدوه؛ وإلى أين كان سيمضي من دون أن يكون بوسعهم اللحاق به؟ فاليهود يقدمون لنا هنا إيضاحًا عن العمى الناتج من عدم الإيمان. فما من قلب مظلم كقلب الذي يرفض قبول الرب يسوع. وفي أيامنا يُقال: "ما من جماعة عمياء كتلك التي تتألف من أناس لا يريدون أن يروا". وهذا هو الحال تمامًا هنا: لم يريدوا أن يقبلوا الرب يسوع، لذا لم يقدروا على ذلك.

د. الوعد بالروح القدس (٧: ٣٧ـ ٣٩)

٧: ٣٧ كان اليهود يحتفلون بما يلي، مع أنه غير مذكور في العهد القديم: كانوا في كل يوم من أيام عيد المظال السبعة ينقلون مياهًا من بركة سلوام، لصبّها في حوض فضي يقع على مقربة من مذبح المحرقة. ولم يكن هذا ليحصل في اليوم الثامن، الأمر الذي زاد من حدة دهشة الناس تجاه عرض المسيح عليهم ماء الحياة الأبدية. كان الشعب اليهودي قد مارسوا هذا الطقس الديني الذي لم يتمكن من إشباع قلوبهم؛ بما أنهم لم يستوعبوا تمامًا المغزى العميق للعيد. وقبيل مغادرتهم المكان للرجوع إلى بيوتهم، **في اليوم الأخير العظيم من العيد، وقف يسوع** وخاطب الجمع، داعيًا إياهم إلى المجيء إليه للحصول على الارتواء الروحي. ولنلاحظ أن دعوته هذه تنال كل إنسان: إن عطش **أحد**. فإنجيله كان إنجيلاً شاملاً. فما من أحد لا يقدر أن يخلص، إن كان فقط يُقبل إلى المسيح.

ولكن، لنلاحظ أيضًا الشرط: «**إن عطش أحد**». والعطش هنا يشير إلى الحاجة الروحية؛ فما لم يعرف الإنسان أنّه خاطئ، لن يرغب أبدًا في نوال الخلاص. وما لم يدرك أنه ضال، لن يطلب أبدًا أن يوجد. وما لم يَعِ الإنسان افتقاره العظيم إلى الأمور الروحية في حياته، لن يقصد الرب أبدًا ليسدّ له هذه الحاجة. فالمخلِّص دعا النفس العطشى إلى المجيء، إليه، لا إلى الكنيسة، ولا إلى الواعظ، ولا إلى مياه المعمودية، ولا إلى مائدة الرب. قال يسوع: «**فليُقبل إليّ ويشرب**». وفعل الشرب هنا يعني أن يخصص كل واحد منا المسيح لنفسه. كما أنه يعني الوثوق به بوصفه الرب والمخلّص. إنه يعني تناوله في حيواتنا كما نتناول كوبًا من الماء في أجسادنا.

٧: ٣٨ يبرهن العدد ٣٨ أن المجيء إلى المسيح لأجل الشرب، هو نفسه أيضًا الإيمان به. فجميع الذين يؤمنون به، سيحصلون على سدّ احتياجاتهم، كما أنهم سينالون **ينابيع** من البركة الروحية التي **ستجري** منهم إلى الآخرين. ففي كل مكان من العهد القديم، نتعلم أنّ الذين يقبلون المسيّا، سينالون هم أنفسهم العون، كما أنهم سيكونون قنوات تجري من خلالهم البركة إلى الآخرين (راجع مثلاً اشعياء ٥٥: ١). والعبارة «**تجري من بطنه أنهار ماء حي**» تعني أن ينابيع المساعدة للآخرين تجري من حياة الإنسان الداخلية. لقد أشار ستوت *Stott* إلى أننا نشرب بشكل جرعات صغيرة، ولكنّها تتجمع لتكوّن ينابيع جارية. وبالمقابل، يحذّرنا تمبل *Temple* بالقول: "ما من أحد يسكنه الروح القدس، يستطيع أن يحتفظ بالروح لنفسه. فالروح يجري حيثما وُجد. وحيث لا يجري الروح، لا يكون موجودًا".

٧: ٣٩ يذكر لنا الكتاب بوضوح أن العبارة «**الماء الحي**» تشير هنا إلى **الروح القدس**. ويكتسب العدد ٣٩ أهمية بالغة بما أنه يعلّم أن جميع الذين يقبلون الرب يسوع المسيح، يقبلون أيضًا روح الله. ومن جهة أخرى، لا يصحّ زعم بعضهم أن الروح القدس يأتي ليحلّ داخل الناس، بعد تجديدهم بفترة من الوقت. فهذا العدد يصرّح بوضوح إن جميع الذين يؤمنون بيسوع، ينالون أيضًا الروح القدس. وعندما نطق الرب يسوع بهذه الكلمات، **لم يكن الروح القدس قد أُعطي بعد**. ذلك لأن الروح القدس لم ينزل في يوم الخمسين إلاّ بعد رجوع الرب يسوع إلى السماء وتمجيده. ومنذ ذلك الحين، أصبح الروح القدس يسكن داخل كل مؤمن حقيقي بالرب يسوع المسيح.

هـ. *آراء متباينة بخصوص يسوع* (٧: ٤٠-٥٣)

٧: ٤٠، ٤١ **كثيرون** من الذين أصغوا إلى الرب يسوع، باتوا الآن مقتنعين بأنه كان **النبي** الذي تحدّث عنه موسى في تثنية ١٨: ١٥، ١٨، **وآخرون** كانوا مستعدين أن يعترفوا بأن يسوع كان **المسيح**، أي المسيّا. لكن بعضهم رأوا أنّ ذلك كان مستحيلاً. فهم آمنوا أن يسوع جاء من الناصرة في الجليل، في حين لم يحتوِ العهد القديم على أية نبوة تذكر أن **المسيح يأتي من الجليل**.

٧: ٤٢ كان اليهود على حق في اعتقادهم أن **المسيح** سوف يأتي من **قرية بيت لحم**، وإنه سيأتي من نسل داود. ولو أنهم كلّفوا أنفسهم عناء البحث، لتبيّن لهم أن يسوع كان قد وُلد حقًا في بيت لحم، وأنّه كان سليلاً مباشرًا لداود من خلال مريم.

٧: ٤٣ حدث انشقاق في الجمع بسبب آرائهم المتضاربة في المسيح، وجهلهم بشكل عام. وهذا عينه ما يحصل في أيامنا أيضًا. فالناس ينقسمون في ما يتعلق بموضوع يسوع المسيح. فبعضهم يرون فيه مجرّد إنسان نظيرنا. كما أن آخرين على استعداد للإقرار بأنه كان أعظم إنسان عاش على وجه الأرض. أمّا الذين يؤمنون بكلمة الله، فيعرفون أن «المسيح هو الكائن على الكل إلهًا مباركًا (حرفيًّا: الله المبارك) إلى الأبد» (رو ٩: ٥).

٧: ٤٤ كانت ما تزال المساعي تُبذل للقبض على يسوع، إلاّ أنه لم ينجح أحد ما في ذلك؛ فما من قوة على الأرض باستطاعتها عرقلة مسيرة شخص سالك في مشيئة الله. "نحن خالدون، ولا سلطة للموت علينا، إلى حين إتمامنا عملنا". إن وقت الرب لم يكن قد حضر بعد، لذا عجز الناس عن إلحاق الأذية به، بأي شكل من الأشكال.

٧: ٤٥ كان الفريسيون، ورؤساء الكهنة قد أرسلوا خدامًا ليمسكوا بيسوع. فرجع الخدام من دون أن يُحضروا يسوع معهم. عندئذ انزعج **رؤساء الكهنة والفريسيون**. وسألوهم **لماذا لم يأتوا به**.

٧: ٤٦ هنا حادثة فيها أُرغم أناس خطاة على التكلم حسنًا عن المخلّص مع أنهم لم يقبلوه. فنطقوا بكلماتهم الجديرة بأن تُذكر: «**لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان**». فهؤلاء الخدام كانوا، ولا شك، قد أصغوا، خلال حياتهم، إلى عدد كبير من الناس، لكن لم يسبق لهم أن سمعوا أحدًا من قبل يتكلم بمثل هذا السلطان، والنعمة، والحكمة.

٧: ٤٧، ٤٨ اتهم الفريسيون الخدام بأن يسوع قد أضلّهم، محاولين بذلك تخويفهم. كما ذكّروهم بأنه **لم يكن قد آمن به أحد من رؤساء الأمة اليهودية**. فما أرهب هذا الحديث. ذلك لأن إخفاق القادة اليهود في الاعتراف بالمسيّا في مجيئه، كان لخزيهم.

وهؤلاء الفريسيون لم يكونوا هم أنفسهم غير مستعدين للإيمان بالرب يسوع المسيح فقط، بل من الواضح أنهم لم يريدوا للآخرين أن يؤمنوا به أيضًا. وهكذا هو الحال اليوم. فالعديد من الذين لا يرغبون هم أنفسهم في اختبار الخلاص، يبذلون كل ما بوسعهم لمنع أقربائهم وأصدقائهم من نوال الخلاص أيضًا.

٧: ٤٩ هنا تحدث الفريسيون عن مجمل الشعب اليهودي بأنهم جهال **وتحت اللعنة**. كانت حجتهم أنه لو عرف عامة الشعب أي شيء من الكتب المقدسة، لتبيّن لهم من جراء ذلك أن يسوع لم يكن هو المسيّا. أنهم في هذا قد أخطأوا جدًّا، وفوق تصوّر كل عقل.

٧: ٥٠ تدخّل نيقوديموس عند هذا الحدّ، وكلّمهم. فهو الذي كان **قد جاء إلى يسوع ليلاً**، وتعلّم منه ضرورة اختبار الولادة الثانية. ونيقوديموس هذا، كما يبدو، قد آمن بالرب يسوع، واختبر الخلاص. وها هو الآن يخرج عن صمته، ليتكلم لمصلحة ربّه في محضر القادة اليهود.

٧: ٥١ ركّز نيقوديموس في حديثه على أن اليهود لم يعطوا يسوع فرصة عادلة. فالناموس اليهودي **لا يدين إنسانًا** قبل أن يسمع قضيته أولاً. والقادة اليهود كانوا ينتهجون هذا الأسلوب عينه. فهل كانوا، يا ترى، يخشون مواجهة الحقائق؟ بالطبع، كانوا كذلك.

٧: ٥٢ والآن، يتوجّــه القــادة إلى واحد من جماعتهم، ألا وهو نيقوديموس، ليسألوه بسخرية هل هو أيضًا من أتباع يسوع الذي من الجليل. ألم يكن يعلم أنه لا ذكر في العهــد القديم لأي نبي من الجليــل؟ وهنا، بالطبع، أظهر القادة مقدار جهلهم هم. ألم يقرأوا قط عن النبي يونان؟ فهو كان من الجليل.

٧: ٥٣ كان عيــد المظال قد انتهى الآن. فرجع الناس إلى بيوتهم. كان بعضهم قد قابلوا المخلّص وجهًا لوجه وآمنوا به. إلاّ أنهم كانوا في غالبيتهم قد رفضوه، كما أن قادة اليهود باتوا عازمين، أكثر من أي وقت مضى، علــى التخلــص منه. لقــد كان، في نظرهم، يشــكّل تهديدًا لديانتهم ولنمط حياتهم.

و. المرأة التي أُمسكت في زنا (٨: ١-١١)

٨: ١ يرتبــط هــذا العدد ارتباطًا وثيقًــا بآخر عدد من الأصحاح الســابع. وقد يسهل علينا رؤية ذلك بجعلنا العددين معًا، على الشــكل التالي: «فمضى كل واحد إلى بيتــه، أمّا يســوع فمضــى إلى جبل الزيتون». وســبق للــرب أن قال عن نفســه حقًّا: «للثعالــب أوجرة، ولطيور السماء أوكار. وأمّا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه» (مت٨: ٢٠).

٨: ٢ لم يكــن جبل الزيتــون بعيدًا عــن الهيكل. ففي الصبــح باكرًا، نزل يســوع من جبــل الزيتون، ثم عبر وادي قــدرون، واتجه منه صعــودًا إلى المدينة التي كان فيها الهيكل. فجاء إليه جميع الشعب فجلس يعلمهم.

٨: ٣ كان الكتبة (جماعة من الرجال كانوا معنيين بأمر نسخ الأســفار المقدســة وتعليمها) والفريســيون يهمهم كثيرًا أن يحتالوا على الرب يسوع لحمله على التعثّر في الكلام، الأمر الذي يســاعدهم على رفع الشكاوى ضدّه. وكانوا لتوّهم قــد احضــروا امرأة أُمســكت وهي تزنــي في ذات الفعل، وجعلوها في وسط الجمع، قبالة يسوع، على الأرجح.

٨: ٤ لقد وُجّهت تهمــة الزنى إلى هذه المرأة، وكانت هذه التهمة، ولا شــك، في محلها. لذا لم يكن هناك أي داعٍ للتشــكيك في حقيقة كونها أُمسكت وهي تُمارس فعل الفحشــاء هــذا. لكن، ماذا حــلّ بالرجل؟ فكم من نســاء تمّت معاقبتهــنّ في هذه الحيــاة، في حين نعمّ بالحرية الكاملة أولئك الرجال الذين كانوا شركاء لهنّ في التعدّي وارتكاب الذنب.

٨: ٥ باتــت الحيلة الآن واضحة المعــالم. لقد أرادوا من الــرب أن ينقض ناموس موســى. فإذا مــا نجحوا في ذلك، فســيكون بإمكانهم في هذه الحــال أن يؤلّبوا الرأي العام ضدّه. فجاءوا يذكّرون الرب بأن موســى في الناموس كان قــد أوصى بضــرورة أن يُرجَم حتى الموت كل شــخص يُضبــط وهو يزنــي. ثم ســألوه عن رأيــه في الموضوع، آملين، بحسب دوافعهم الخبيثة، أن يعبرّ عن عدم موافقته على التشريع الموسوي. لقد رأوا أنه كان من الضروري جعلهــا عبرة، إقــرارًا للعــدل وإطاعة لناموس موســى. وكما قال داربي *Darby* في هذا المجال:

> إن القلــب الســاقط والفاســد يعزّيــه كثيرًا ويهــدّئ مــن روعــه، أن يعثر فقط على شــخص أردأ منــه: إنه يجد في إســاءات الآخريــن العظمى أعذارًا لســقطاته هو. كما أنه، في معرض توجيهه الاتهامات العنيفة إلى شخص آخر، ينسى شره هو. أنه بذلك يُسَرّ بالإثم.

٨: ٦ لم يكن لديهم أية تهمة حقيقية يلصقونها بالرب، بل كانوا يحاولون اصطناع واحدة. ومن جهة أخرى، عرفوا أنه في حال تبرئته ساحة هذه المرأة وأطلقها حرة، فإنه بذلك يقاوم ناموس موسى، الأمر الذي يتيح لهم فرصة للاشتكاء عليه. أمّا في حال حكمه على هذه المرأة بالموت، فقد يستغلّون ذلك لإظهار عدائه للحكومة الرومانية، أو لإبراز عدم رحمته. إذ ذاك **انحنى يسوع إلى أسفل وكان يكتب بإصبعه على الأرض.** وليس باستطاعتنا، على الإطلاق أن نقف على تفاصيل ما كتب. يؤكد بعضهم ثقتهم الكاملة بمضمون هذه الكتابة، في حين كتم الكتاب المقدس هذا الأمر.

٨: ٧ أثار تصرف الربّ يسوع هذا استياء اليهود، لذا استمروا في الإصرار على ضرورة إجابته عن سؤالهم. عندئذ اكتفى يسوع بالتصريح بضرورة إنزال العقوبة التي نصّ عليها الناموس، على أن يقوم بتنفيذ ذلك من لم يقترف أية خطية. وبذلك يكون الرب قد صان ناموس موسى. فهو لم يقل بإعفاء المرأة من مكابدة عقاب تصرفها الشائن. لكنه اتّهم كل واحد من هؤلاء الرجال بأنه هو أيضًا خاطئ. فالذين يريدون أن يدينوا الآخرين، يجب أن يكونوا هم أنفسهم أنقياء. وهذا العدد غالبًا ما يُعتمد لتقديم الأعذار لارتكاب الخطية، بحجّة أننا نحن بمنأى عن الملامة بما أن كل إنسان آخر تعدّى أيضًا واقترف بدوره أخطاء متنوعة. لكن هذا العدد لا يبرّر ممارسة الخطية، بل بالحري يدين أولئك الذين يعتبرهم الله مذنبين مع أن أحدًا ما لم يمسكهم وهم يمارسون خطاياهم.

٨: ٨ ومن جديد، **انحنى المخلّص أيضًا إلى أسفل وكان يكتب على الأرض.** لا يذكر الوحي سوى هاتين المرتين أن يسوع كتب أي شيء. إن ما كتبه المحى عن سطح الأرض منذ زمن طويل.

٨: ٩ أمّا أولئك الذين اتّهموا المرأة، فراحت **ضمائرهم تبكّتهم.** لم يعد لديهم ما يقولونه. وهكذا ابتدأوا بالخروج **واحدًا فواحدًا.** لقد شعروا جميعهم، **من الشيوخ** إلى الأحداث، بأنهم مذنبون. وبقي يسوع وحده، والمرأة واقفة بقربه.

٨: ١٠ نقل الربُّ يسوع إلى المرأة، في نعمته المباركة، خبر تواري جميع المشتكين عليها عن الأنظار، حتى إنه لم يبقَ أي واحد منهم في المكان. وهكذا لم يتجرأ على إدانتها أحد من هذا الحشد الغفير.

٨: ١١ عندما قالت المرأة: **لا أحد يا سيد**، نطق الرب بهذه الكلمات المباركة: «**ولا أنا أدينك، اذهبي ولا تخطئي أيضًا**». لم يدّعِ الرب هنا أية سلطة مدنية لنفسه في هذه المسألة. فهذه السلطة كانت منوطة بالحكومة الرومانية، وقد تركها الرب لها. لذا لم يصدر منه أي قرار بإدانتها أو بمسامحتها، لأن ذلك لم يكن ضمن نطاق مهامه في ذلك الوقت. إلاّ أنه وجّه إليها تحذيرًا بضرورة الإحجام عن فعل الخطية.

كنا في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا قد تعلّمنا أن «النعمة والحق بيسوع المسيح صارَا». ولنا هنا خير مثال على ذلك. فالكلمات «**ولا أنا أدينك**» تعبّر عن النعمة؛ **فيما «اذهبي ولا تخطئي أيضًا»**، هي كلمات الحق. فالرب لم يخاطبها بالقول: "اذهبي، وحاولي أن تخطئي أقلّ قدر ممكن". ذلك لأن يسوع المسيح هو الله، والمستوى الذي يطالب به هو الكمال المطلق. كما أنه لا يقدر أن يوافق على أي شكل من أشكال الخطية. لذا جعل نصب عينيها كمال مستوى الله نفسه.

ز. يسوع نور العالم (٨: ١٢-٢٠)

٨: ١٢ ينتقل مسرح الأحداث الآن إلى خزانة الهيكل (راجع ع ٢٠). وكان جمع كبير ما يزال يتبع يسوع. فالتفت إليهم ونطق أمامهم بأحد أعظم التصريحات المختصة بمسيّانيته. قال لهم: «**أنا هو نور العالم**». فالعالم، بكل ما فيه، يتخبّط في ظلمات الخطية والجهل، بمعزل عنه. يسوع هو **نور العالم**، بعيدًا نه لا خلاص من سواد الخطية، ولا إرشاد لنا خلال سيرنا في هذا العالم، ولا معرفة للمعنى الحقيقي لحياتنا على الأرض، ولا للمسائل الأبدية المصيرية. لقد وعد يسوع بأن كل من يتبعه، **لا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة**.

إن اتّباع يسوع يعني الإيمان به. وهناك العديد من الناس الذين يظنون خطأً أنّ باستطاعتهم العيش كما عاش يسوع، من دون أن يكون قد سبق لهم أن وُلدوا الثانية. كما أن اتّباع يسوع يعني أيضًا المجيء إليه بالتوبة، والإيمان به كالرب والمخلّص، ومن ثم تسليم الحياة بجملتها له. لذا ينعم الذين خطوا هذه الخطوات، بالقيادة والإرشاد في هذه الحياة، وبالرجاء الواضح والمشرق الذي يتخطّى حدود القبر.

٨: ١٣ الآن، تحدّى الفريسيون يسوع بخصوص مسألة قانونية. فذكّروه بأنه كان يشهد لنفسه. وهذه الشهادة الشخصية لم تكن تُعتبر كافية، ذلك لأن الإنسان غالبًا ما ينحاز لمصلحته الذاتية. أمّا الفريسيون فلم يتورّعوا عن التشكيك في كلمات يسوع، معتبرين أنها ليست حقًّا على الإطلاق.

٨: ١٤ اقرّ الرب بأنه يلزم عادةً توافر شاهدين أو ثلاثة. أمّا بالنسبة إليه هو شخصيًا، فشهادته حق في المطلق، بما أنه الله. كان يعلم أنه أتى من السماء، وأنه ذاهب إلى السماء. لكنهم هم لم يعلموا **من أين أتى ولا إلى أين** سيذهب. لقد ظنوا أنه كان مجرد إنسان آخر نظيرهم، ولم يؤمنوا بأنه كان الابن الأزلي المساوي للآب.

٨: ١٥ كان الفريسيون يحكمون على الآخرين على أساس المظاهر الخارجية، وبموجب المقاييس البشرية. لذا نظروا إلى يسوع بصفته نجار الناصرة، ولم يتبادر إلى ذهنهم قط أنه كان يختلف عن أي رجل آخر عاش على وجه الأرض. أمّا الرب يسوع فصرّح بأنه ليس يدين أحدًا. وقد يفيد ذلك أنه لم يحكم على الناس بحسب المقاييس العالمية، كما كان يفعل الفريسيون. أو قد يعني أن هدف المسيح من مجيئه إلى العالم، لم يكن لإدانة الناس، بل لتخليصهم؛ وهذا الاحتمال مرجّح أكثر.

٨: ١٦ إن كان الرب يدين، فدينونته هي حق وبارة. فهو الله، كما أنه يفعل كل شيء بالتعاون **مع الآب الذي أرسله**. إن وحدة الرب يسوع هذه مع الله الآب كان قد دأب الرب على التركيز عليها أمام الفريسيين، وهي التي أثارت في قلوبهم أعنف أشكال المقاومة لشخصه.

٨: ١٧، ١٨ اقرّ الرب بأن **ناموس** موسى كان يتطلب **شهادة رجلين**. ولم يكن يقصد، من أي شيء قاله، أن يحاول إنكار هذه الحقيقة.

وفي حال إصرارهم على ضرورة توافر شاهدين، لم يكن من الصعب على الرب تأمينهما. فأولاً وقبل كل شيء، كان هو الشاهد لنفسه بفضل حياته الخالية من الخطية، والكلمات التي خرجت من فمه. وثانيًا، لقد شهد الآب للرب يسوع، وذلك من خلال التصريحات التي نطق بها بخصوصه جهارًا من السماء، وكذلك

أيضًا بواسطة المعجزات التي كان قد أعطى الرب أن يصنعها. فالمسيح تمّم نبوات العهد القديم المختصة بالمسيّا. وعلى الرغم من هذه البراهين الدامغة، استمر القادة اليهود غير راغبين في الإيمان به.

٨: ١٩ إن السؤال التالي طرحه الفريسيون، ولا شك، من قبيل التهكّم والسخرية. ولعلهم نظروا إلى الجمع المحتشد حواليهم عندما قالوا: «**أين هو أبوك؟**» **فأجابهم يسوع بقوله لهم إنهم لم يعرفوه على حقيقته ولا عرفوا أباه أيضًا**. وبالطبع، كانوا سيستنكرون بعنف أي اتهام من هذا القبيل بجهلهم لله. ومع ذلك صحّ فيهم قول الرب هذا. فلو كانوا قد قبلوا الرب يسوع، لعرفوا بذلك **أباه أيضًا**. ولكن، لا يستطيع أحد معرفة الله الآب إلاّ من خلال يسوع المسيح. لذا، فإن رفضهم المخلّص، جعل من المستحيل عليهم الادّعاء، بصدق، أنهم كانوا يعرفون الله ويحبونه.

٨: ٢٠ هنا نتعلم أن **خزانة الهيكل** كانت مسرح أحداث الأعداد السابقة. كما أننا نقرأ، مرة أخرى، أن الرب كان مُحاطًا بالحماية الإلهية، حتى إنه لم يستطع أحد أن **يمسكه** أو يقتله، **لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد**. والكلمة «**ساعته**» تشير هنا إلى الوقت الذي فيه يُصلب ويموت من أجل خطايا العالم.

ح. *جدال اليهود مع يسوع* (٨: ٢١-٥٩)

٨: ٢١ هنا أظهر يسوع، مرة أخرى، معرفته الكاملة بالمستقبل. لقد أخبر منتقديه أنه مزمع أن **يمضي**، مشيرًا بذلك لا إلى موته ودفنه فحسب، بل أيضًا إلى قيامته وصعوده إلى السماء. أمّا الشعب اليهودي فسيستمرون في **طلبهم** للمسيّا، غير مدركين أنه سبق أن افتقدهم إلاّ أنهم رفضوه. لذا، ومن جراء رفضهم هذا، سيموتون في خطيتهم. وهذا يعني أنهم سيُحرَمون إلى الأبد دخولَ السماء، المكان الذي سيمضي إليه الرب. فيا لها من حقيقة مهيبة وجليلة: أن الذين يرفضون قبول الرب يسوع، لا رجاء لهم في السماء. وكم هو مروّع ومفزع احتمال أن يموت أحدنا في خطاياه، بلا إله، وبلا مسيح، وبلا رجاء إلى الأبد.

٨: ٢٢ لم يفهم **اليهود** أن الرب يسوع كان يتحدث عن رجوعه إلى السماء. فماذا كان يعني بقوله «أمضي أنا»؟ هل كان يقصد أنه سيتخلّص من مؤامرتهم عليه لقتله، وذلك باللجوء إلى الانتحار؟ نحن نستغرب أن يكونوا قد فكّروا بهذا الشكل. فلو كان **سيقتل نفسه**، فما الذي كان يمنعهم من القيام بالعمل نفسه، وبالتالي اتّباعه في الموت. لكن كان ذلك مجرد مثلٍ آخر على ظلمة عدم الإيمان. وقد نندهش من بلادتهم وجهلهم لمضمون أقوال المخلّص.

٨: ٢٣ خاطبهم الرب بالقول: «**أنتم من أسفل**»، وذلك، ولا شك، من وحي إشارتهم الحمقاء إلى الانتحار. وهذا يعني أن نظرتهم للأمور كانت حقيرة جدًّا. كما أنهم كانوا عاجزين عن الارتقاء فوق الأمور الزمنية وتلك المختصة بالحواس. ولم يكن لديهم أي فهم روحي. أمّا المسيح، وبالمفارقة معهم، فكان **من فوق**. فأفكاره وأقواله وأفعاله كانت سماوية. ومن جهة أخرى، كانت كل أفعالهم مصطبغة **بهذا العالم**، فيما أظهرت حياته بجملتها أنه جاء من موطنٍ أطهر وأنقى من هذا العالم.

٨: ٢٤ غالبًا ما اعتمد يسوع أسلوب التكرار للتركيز على بعض الحقائق. وهنا عاد يحذّرهم، بكل وقار، من أنهم **سيموتون في خطاياهم**. ولم يكن هناك أي بديل لذلك، في حال إصرارهم على رفض الإيمان به. فما من سبيل للحصول على غفران الخطايا، بمعزل عن الرب يسوع. لذا لا يمكن الذين يموتون وخطاياهم غير مغفورة أن يدخلوا السماء في نهاية المطاف. إلى ذلك، فإن الرب يسوع يصرّح مرة أخرى بألوهيته، وذلك باستخدامه العبارة «**أنا هو**» لنفسه.

٨: ٢٥ كان اليهود متحيّرين كثيرًا من جراء تعاليم الرب يسوع. لذا سألوه، بشكل مباشر، أن يكشف لهم **من هو**. ولعلهم قصدوا من وراء ذلك أن يسخروا منه، وكأنهم يقولون: "من تظن نفسك حتى تكلمنا بهذا الشكل؟"، أو ربما كانوا مهتمين حقًا بالإصغاء إلى ما سيصرّح به بشأن شخصه. ويجدر بنا أن نتوقّف عند جوابه: «**أنا من البدء ما أكلمكم أيضًا به**». لقد كان هو المسيّا الموعود به. وقد سبق لليهود أن سمعوه يصرّح بذلك مرارًا، غير أن قلوبهم العنيدة رفضت أن تخضع للحق. كما أن جوابه هذا قد يحتمل معنىً آخر: لقد كان الرب يسوع تمامًا ما كرز به. فهو لم يقل شيئًا ويتصرف بخلافه، بل كان بمثابة التجسيم الحي لكل ما علّمه. لقد انسجمت حياته مع تعليمه كليًّا.

٨: ٢٦ يبدو معنى العدد ٢٦ غير واضح. كان الرب، على ما يبدو، يقول إن لديه **أشياء كثيرة** إضافية أخرى كان باستطاعته أن **يتكلم بها ويحكم بها** من نحو هؤلاء اليهود غير المؤمنين. لقد كان بمقدوره كشف ما في قلوبهم من أفكار ودوافع شريرة. إلاّ أنه لم يكن، في معرض طاعته للآب، ليتكلم إلاّ بتلك الأمور التي أعطاه الآب أن ينطق بها. وبما أن الآب **هو حق**، فقد كان الرب جديرًا بأن يؤمن الناس به ويصغوا إليه.

٨: ٢٧ **لم يفهم** اليهود، عند هذا الحدّ، أنه كان يحدّثهم عن الله الآب. يبدو أن أذهانهم كانت تزداد ظلامًا مع مرور الأيام. فقبلاً، عندما صرّح الرب يسوع أمامهم بأنه ابن الله، تمكّنوا عند ذاك من إدراك أنه كان يقصد بذلك مساواته لله الآب. أمّا الآن، فلم يبقوا على هذه الحال.

٨: ٢٨ عاد **يسوع** من جديد ليتنبّأ بما سيحصل له. أولاً، كان اليهود **سيرفعون ابن الإنسان**. وهذا يشير إلى موته على الصليب. ثم بعد تتميمهم ذلك، **سيفهمون** أنه كان هو المسيّا. وسيعرفون ذلك من الزلزلة التي ستضرب الأرض، ومن الظلمة التي ستخيّم عليها؛ ولكن، قبل كل شيء، من قيامته الجسدية من بين الأموات. ولنلاحظ جيدًا كلمات الرب: «**فحينئذٍ تفهمون أني أنا هو**». والمعنى هنا هو: "**فحينئذ تفهمون أني أنا هو** الله". وهكذا سيتحققون من أنه لم يعمل أي شيء، من نفسه، أي بموجب سلطانه الخاص، بل إنّه بالحري جاء إلى العالم ليحيا بالاعتماد الكلي على الآب، فلا ينطق إلاّ بتلك الأمور التي علّمه الآب أن يقولها.

٨: ٢٩، ٣٠ كانت علاقة الرب بالآب السماوي وثيقة جدًّا. فكل واحد من التعابير التالية كان بمثابة تصريح بمساواة الرب يسوع لله. فالآب لازمه، وبقي **معه**، طوال فترة خدمته على الأرض، حتى إنه لم يصدف قط في أي وقت أن يسوع تُرِك وحده. ثم إنه كان دائمًا يعمل الأشياء المرضية عند الله. إن كلمات كهذه كان يمكن أن تصدر فقط من كائن الهي منزّه عن الخطية.

لا يقدر أي إنسان قد وُلد من أبوين بشريين أن ينطق، عن حق، بالقول: «**لأني في كل حين أفعل ما يرضيه**». فنحن غالبًا ما نعمل ما يرضي أنفسنا. كما أننا نميل أحيانًا إلى إرضاء الناس الآخرين. لذا كان الرب يسوع وحده منشغلاً بالتمام بعمل ما يرضي الله.

وبينما كان يسوع **يتكلم بهذا**، رأى أن **كثيرين** كانوا قد ادّعوا الإيمان به. كان قسم من هؤلاء، ولا شك، صادقين في إيمانهم، فيما اكتفى آخرون على الأرجح بتقديم عبادة الشفتين للرب.

٨: ٣١ ثم جعل يسوع تمييزًا بين **التلاميذ والتلاميذ الحقيقيين**. فالتلميذ هو كل من يدّعي التعلُّم، ولكنَّ التلميذ الحقيقي هو الشخص الذي سلّم نفسه فعلاً للرب يسوع المسيح. والمؤمنون الحقيقيون لهم هذه الميزة: أنهم **يثبتون في كلام** الرب. وهذا يعني أنهم يبقون على تمسّكهم بتعاليم المسيح، ولا يحيدون عنها. فالإيمان الحق، له دائمًا صفة الاستمرارية. وهؤلاء المؤمنون لا يخلصون بواسطة الثبات في كلمة الرب، بل إنما يثبتون في الكلمة لأنهم مخلّصون.

٨: ٣٢ إن الوعد لكل مؤمن حقيقي هو أنه **سيعرف الحق، والحق يحرره**. واليهود لم يكونوا يعرفون الحق، لذا كانوا يرزحون تحت شكل مروّع من العبودية. لقد كانوا عبيدًا للجهل والظلال والخطية والناموس والخرافات. أمّا الذين يعرفون الرب يسوع حقًّا، فيتخلّصون من الخطية، ويسيرون في النور، وينقادون بروح الله القدوس.

٨: ٣٣ بلغت آذانَ بعض اليهود الواقفين في المكان كلماتُ الرب هذه المتعلقة بالتحرير. فامتعضوا منها للحال. كانوا يعتزون بتحدّرهم من إبراهيم، لذا زعموا بأنهم **لم يُستعبدوا لأحد قط**. لكنهم لم يكونوا على حق في ذلك. فإسرائيل استُعبِدت على مر العصور لكل من مصر، وأشور، وبابل، وفارس، واليونان. كما أنها كانت في ذلك الوقت تحت سيطرة روما. وللأكثر من ذلك، كانوا لحظة حديثهم إلى الرب، ما يزالون تحت عبودية الخطية والشيطان.

٨: ٣٤ من الواضح أن الرب كان يتكلم عن عبودية **الخطية**. لذا ذكّر مستمعيه من اليهود بأن كل من يمارس **الخطية، هو عبد للخطية**. فهؤلاء اليهود ادّعوا لأنفسهم درجة عالية من التديّن، في حين كانوا، في الواقع، خادعين ووقحين وقتلة، كما كان سيظهر في القريب العاجل. فحتى تلك اللحظة، كانوا ما يزالون يدبرون الخطط والمؤامرات للقضاء على ابن الله.

٨: ٣٥ بعد ذلك، قارن يسوع بين مركز كل من **العبد والابن، في البيت**. فالعبد لا يملك أية ضمانة بأنه سيعيش هناك إلى الأبد، أمّا **الابن** فيشعر في البيت بأنه من أهل البيت. ومن الواضح أن الرب يسوع أراد إعلام هؤلاء اليهود أنهم لم يكونوا أبناء، بل عبيدًا معرضين في أي وقت للطرد، سواء أكانت اللفظة «الابن» تشير هنا إلى ابن الله أم إلى أولئك الذين اصبحوا أولاد الله بالإيمان بالمسيح.

٨: ٣٦ لا شك أن كلمة «**الابن**»، هنا تشير إلى شخص المسيح نفسه. فالذين اختبروا التحرير بفضله، قد صاروا **بالحقيقة أحرارًا**. وهذا يعني أن كل شخص يُقبل إلى المخلّص وينال منه الحياة الأبدية، يتحرّر بذلك من عبودية الخطية والناموس والخرافات والأرواح الشريرة.

٨: ٣٧ اقرّ الرب بأن هؤلاء اليهود كانوا، من الناحية الجسدية، من **نسل إبراهيم**. لكنهم بالطبع، لم يكونوا من النسل الروحي لإبراهيم. فهؤلاء الرجال لم يعيشوا حياة التقوى نظير إبراهيم، بل سعوا بالحري **لقتل** الرب يسوع لأنه لم يكن لكلامه **موضع** فيهم. وهذا يعني أنهم لم يسمحوا لكلمات الرب يسوع بأن تفعل فعلها في حياتهم. وبالمقابل، قاوموا تعاليم الرب، ولم يكونوا على استعداد للخضوع له.

٨: ٣٨ لقد علّم يسوع تلك الأمور التي كان **أبوه** السماوي قد أوكله على التكلم بها. كان هو وأبوه واحدًا بالتمام، حتى إن كلماته التي تفوّه بها كانت كلمات الله الآب نفسه. فالرب يسوع في حياته على هذه الأرض، مثّل أباه السماوي على أكمل وجه. وبالمقابل، عمل اليهود تلك الأمور التي كانوا قد تعلّموها من **أبيهم**. ولم يكن الرب يسوع يشير هنا إلى الأب الأرضي، بالمعنى الحرفي للكلمة، بل بالحري إلى إبليس.

٨: ٣٩ ومرة أخرى، عاد اليهود يدّعون لأنفسهم صلة قربى **بإبراهيم**. لقد افتخروا بحقيقة أن **إبراهيم** كان **أباهم**. غير أن الرب يسوع ركّز أمامهم على أنّهم مع كونهم ذرّية إبراهيم (ع٣٧) لم يكونوا في الواقع من **أولاده**. فالأولاد عادةً يشبهون والديهم، ويمشون، ويتحدثون مثلهم. لكن هذا لم يكن ليصح في هؤلاء اليهود. ذلك لأن حيواتهم كانت نقيض حياة إبراهيم تمامًا. فمع أنهم من ذرية إبراهيم حسب الجسد، كانوا أدبيًا من أولاد إبليس.

٨: ٤٠ عرض الرب مثلاً واضحًا جدًّا، لإظهار الفرق الكبير بينهم وبين إبراهيم. فيسوع كان قد جاء إلى العالم، ولم يكلّمهم إلاّ **بالحق**. لكن تعليمه أغثرهم، لذا حاولوا **قتله**.

وهذا لم يعمله إبراهيم، بل أخذ مكانه إلى جانب الحق والبرّ.

٨: ٤١ كانت هوية أبيهم ظاهرة بوضوح، بما أنهم كانوا يتصرفون مثله. لقد عملوا **أعمال أبيهم**، أي إبليس. يجوز كثيرًا أن يكون اليهود قد أقدموا على اتهام الرب بأنه **وُلد من زنًا**. غير أن العديد من دارسي الكتاب المقدس يرون في الكلمة «زنًا» إشارة إلى الوثنية. لقد اعتبر اليهود أنهم لم يقترفوا قط خطية الزنا الروحي، بل ظلوا أبدًا أمناء لله. فهو الشخص الوحيد الذي اعترفوا به أبًا لهم.

٨: ٤٢ كشف الرب بُطلان ادّعائهم هذا بتذكيرهم بأنهم لو أحبوا الله فعلاً، **لأحبوا** أيضًا من كان الله قد **أرسله**. فمن السخافة أن يتظاهر أحدنا بمحبة الله، وفي الوقت عينه يكره الرب يسوع المسيح. فيسوع اعتبر هنا أنه **خرج من قِبَل الله**، بمعنى أنه كان ابن الله الأزلي. فما من وقت محدّد فيه وُلد وأصبح ابن الله، لكن علاقة الابن هذه بالآب، موجودة منذ الأزل. كذلك ذكّرهم بأنه **أتى** من عند الله. وبالطبع، أراد أن يركّز هنا على وجوده الأزلي. فهو أقام مع الآب في السماء قبل ظهوره على الأرض بوقت طويل. لكن الآب **أرسله** إلى العالم ليخلّص العالم، وهكذا **أتى** إلى العالم بوصفه الابن المُطيع.

٨: ٤٣ ثمة فرق في العدد ٤٣، بين «الكلام» «والقول». **فقول** الرب، يشير هنا إلى الأشياء التي علّمها، فيما يتعلق **كلامه** بالعبارات التي عبّر بها عن الحقائق التي علّم بها. فعندما ذكر أمامهم الخبز، لم يفكّروا إلاّ في الخبز بمعناه الحرفي. وكذلك أيضًا في حديثه إليهم عن الماء، لم يكن له، في نظرهم، أي ارتباط بالماء الروحي. فلماذا فاتهم أن يفهموا كلامه؟ ذلك لأنهم كانوا غير مستعدين لقبول تعاليمه.

٨: ٤٤ والآن واجههم الرب يسوع جهارًا بحقيقة أن **إبليس** كان **أباهم**. وهذا لا يعني أنهم قد وُلدوا من إبليس، كما يولد المؤمنون من الله. لكنه يعني، كما قال اغسطينوس، إنهم كانوا أولاد إبليس بمشابهته. لقد كانوا، بطريقة حياتهم، يعلنون علاقتهم بإبليس. **وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**: ربّما كان في هذا خير تعبير عن نوايا قلوبهم أو ميولها.

كان إبليس **قتّالاً منذ البدء**. فهو الذي جلب الموت لآدم، بل للجنس البشري بأكمله. ولم يكن **قتّالاً** وحسب، بل كان **كذابًا** أيضًا. فهو **لم يثبت في الحق لأنه ليس فيه حق**. كان عندما ينطق **بالكذب**، يتكلم **ممّا له**. فالكذب كان يشكّل جزءًا من صُلب وجوده. واليهود بدورهم، كانوا قد تشبّهوا بإبليس، من هاتين الناحيتين. لقد كانوا قتلة بما أنهم كانوا ينوون في قلوبهم قتل ابن الله. كما أنهم كانوا أيضًا كذّابين في قولهم إن الله كان أباهم. لقد ادّعوا أنهم رجال أتقياء، وروحيون، في حين كانت حيواتهم شريرة.

٨: ٤٥ إن الذين يتعمّدون اتّباع الكذب، يفقدون، على ما يبدو، القدرة على تمييز الحق. فهنا وقف الرب يسوع قبالة هؤلاء الرجال، وهو الذي كان قد قال **الحق** دائمًا. ومع هذا، **لم يؤمنوا به**. وهذا يُظهر أن خُلُقهم كان في جوهره فاسدًا. وقال لنسكي *Lenski* في هذا المجال:

> ما إن يتواجه الذهن الفاسد مع الحق، حتى يسعى فقط لطلب الاعتراض على هذا الحق. لكنه، لدى تواجهه مع كل ما يختلف عن هذا الحق، يرى، بل يطلب المسببات لقبول هذا الاختلاف.

٨: ٤٦ كان باستطاعة المسيح وحده، ابن الله المنزّه عن الخطية، أن ينطق أبدًا بكلمات كهذه. لم يكن هناك في العالم بأسره شخص واحد قادر على تبكيته على **خطية** واحدة. كما أن خُلقه كان خاليًا من أية شائبة، حتى أنه كان كاملاً في كل طُرُقه. وهو لم يتفوه إلاّ بكلمات الحق، ومع هذا لم **يؤمنوا** به.

٨: ٤٧ إن كان أحد يحب الله حقًا، يسمع كلام الله ويطيعه. وهكذا يكون اليهود قد أظهروا، برفضهم لرسالة المخلّص، أنهم لم يكونوا ينتمون حقًا إلى **الله**. ويتّضح لنا في العدد ٤٧ أن الرب يسوع قد اعتبر أنه كان ينطق بكلمات الله نفسها. ولا لبس في ذلك على الإطلاق.

٨: ٤٨ عاد **اليهود** يلتجئون من جديد إلى استخدام الكلام النابي والجارح، بسبب عجزهم عن الردّ، بأي شكل من الأشكال، على كلمات الرب يسوع. إنهم بإطلاقهم عليه اللقب «**سامري**» عطّلوا كل إحساس لديهم إذ ألصقوا به وصمة عار عرقية. وكأنهم اعتبروا بذلك أنه لم يكن يهوديًا صِرفًا، بل كان عدوًا لإسرائيل. كما اتهموه أيضًا بأنه كان به **شيطان**، أي مجنون أو مختل العقل. ففي نظرهم، لم يكن إلاّ باستطاعة الإنسان الذي فقد عقله أن يصرّح بما صرّح به يسوع عن نفسه.

٨: ٤٩ لنلاحظ كيف أجاب **يسوع** أعداءه بكل حلم وهدوء. فتعاليمه ما كانت كلمات شخص به شيطان، بل كانت بالحري كلمات من سعى **لتكريم الله أبيه**. فهم لم يهينوه بسبب جنونه المزعوم، بل من جراء انصرافه بالتمام إلى الاهتمام بمصالح أبيه في السماء.

٨: ٥٠ كان عليهم أن يعرفوا أنه **لم يطلب قطّ** في أي وقت من الأوقات **مجده** الذاتي، بل كان يعمل كل شيء بقصد تمجيد أبيه. كما أنه في اتهامه إياهم بإهانته، لم يكن يطلب **مجد** نفسه. ثم أضاف الرب ما يلي: «**يوجد من يطلب ويدين**». إن الاسم الموصول «من»، يشير هنا، بالطبع، إلى الله. ذلك لأن الله الآب هو الذي سيطلب المجد لابنه الحبيب، كما أنه سيدين جميع الذين أخفقوا في تقديم هذا المجد له.

٨: ٥١ ها نحن، من جديد، أمام أحد أقوال الرب يسوع الجليلة، هذه الكلمات التي كان فقط باستطاعة شخص هو الله بنفسه أن ينطق بها وحده. وقد صدّر الرب تصريحه هذا بعبارته الشهيرة التي يقصد بها التأكيد: «**الحق الحق أقول لكم**». وعدّ الرب يسوع هنا بأن كل من **يحفظ كلامه، لن يرى الموت إلى الأبد**. إن الإشارة هنا، لا يمكن أن تكون، إلى الموت الجسدي، ذلك لأن العديد من المؤمنين بالرب يسوع يموتون يوميًّا؛ لكن المقصود هنا هو **الموت** الروحي. فالرب يقول هنا إن جميع الذين يؤمنون به قد نجوا من **الموت** الأبدي، ولن يذوقوا أبدًا عذاب الجحيم.

٨: ٥٢ بات **اليهود** الآن مقتنعين أكثر من أي وقت مضى بأن يسوع كان مجنونًا. فجاءوا يذكّرونه بأن **إبراهيم والأنبياء قد ماتوا** جميعهم. لكن الرب مضى يصرّح أمامهم بأنه **إن كان** أحد يحفظ كلامه، فلن يرى الموت إلى الأبد. فكيف كان بالإمكان التوفيق بين هذين الأمرين؟

٨: ٥٣ لقد أدركوا أن الرب كان، في الواقع، يعتبر نفسه **أعظم من أبيهم إبراهيم ومن الأنبياء**. فإبراهيم لم يتمكن قط من إنقاذ أحد من الموت، ولا حتى نفسه أيضًا، ولا كان باستطاعة الأنبياء فعل ذلك. ومع هذا، وقف أمامهم شخص صرّح بأنه قادر على إنقاذ الناس من الموت. فلا بُدّ أنه كان يعتبر نفسه أعظم من الآباء.

٨: ٥٤ ظن اليهود أن الربّ يسوع كان يسعى لجذب الانتباه إلى نفسه. لذا ذكّرهم **يسوع** بأن هذا الأمر لم يكن يصحّ فيه. لكن **الآب** هو الذي كان يمجّده، وهو **الله** نفسه الذي ادّعوا أنهم يحبونه ويخدمونه.

٨: ٥٥ زعم اليهود بأن الله كان أباهم، في حين لم يكونوا يعرفونه قط. إلاّ أنهم كانوا هنا يتكلمون مع الرب الذي كان حقًّا **يعرف** الله الآب، والذي كان مساويًا له. لقد أرادوا ليسوع أن يتنكّر لمساواته للآب، لكنه قال لهم إنه سيكون **كاذبًا** إذا استجاب لطلبهم هذا. كان يعرف الله الآب، ويطيع **كلمته**.

٨: ٥٦ ومع إصرار اليهود على إقحام إبراهيم في الحديث، ذكّرهم الرب بأن إبراهيم كان قد سبق له أن نظر قُدُمًا إلى **يوم** المسيّا، بل رآه فعلاً بالإيمان، **وفرح**. لقد صرّح الرب يسوع بأنه كان هو الذي نظر إليه إبراهيم قُدُمًا. فإيمان إبراهيم كان يرتكز على مجيء المسيح.

متى رأى إبراهيم يوم المسيح؟ ربما حصل ذلك عندما أخذ إسحاق إلى جبل المريّا لتقديمه محرقة لله. لقد تمّ، في ذلك الوقت، تمثيل كل مأساة موت المسيح وقيامته. ومن المحتمل أن إبراهيم رآها بالإيمان. وبذلك يكون الرب يسوع قد صرّح بكونه من تتمّ فيه جميع نبوات العهد القديم المختصة بالمسيّا.

٨: ٥٧ مـرة أخرى، أظهر اليهـود عجزهم عن إدراك الحق الإلهي. فيسـوع كان قد قال: «إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي»، لكنهم أجابوه وكأنه صرّح لهم بأنه كان قد رأى إبراهيم. والفرق شاسع بين الفكرتين هنا. فالرب يسوع نسب لنفسه مقامًا أعلى وأسمى من مقام إبراهيم. لقد كان هو يشـغل أفكار إبراهيـم، كما أنه كان محط آماله. وإبراهيم نظر قُدُمًا بالإيمان إلى يوم المسيح.

لم يكـن باسـتطاعة اليهـود أن يفهمـوا ذلـك. فيسـوع، بحسـب تقديرهـم المنطقي، لم يكـن قد بلغ بعد سـن **الخمسـين**. (كان، في الواقع، قـد بلغ آنذاك نحو الثالثـة والثلاثين من عمره) فكيـف كان بمقدوره **أن يرى إبراهيم؟**

٨: ٥٨ وهنا أيضًا، اعتبر الرب يسـوع نفسه بوضوح أنـه الله. فهو لم يقل: "**قبـل أن يكون إبراهيم**، أنا كنت" كان ذلك سيعني ببساطة أنه جاء للوجود قبل إبراهيم. لكنه اسـتخدم بالحري اسـم الجلالة: **أنا كائن**. فالرب يسـوع كان مقيمًا مع الله الآب منـذ الأزل. فما من وقت لم يكن فيه الربّ يسـوع موجـودًا. لذا، صرّح بالقول: «**قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**».

٨: ٥٩ حـاول اليهود للوقت أن يقتلوا يسـوع، لكنه **اختفـى وخرج من الهيكل**. فاليهود فهموا تمامًا ما قصده يسوع بقوله: «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن». كان يصـرّح بأنّه هو يهـوه. كان ذلك في نظرهـم، بمثابة تجديف؛ لذا أرادوا أن يرجموه. لم يكونوا على استعداد لقبول حقيقة أن المسـيّا كان في وسطهم، ولا سمحوا له بأن يملك عليهم.

ط. الآية السادسة: شفاء الرجل المولود أعمى (٩: ١-١٢)

٩: ١ هـذه الحادثة ربما وقعت **فيما** كان يسـوع يغادر محيط الهيكل، أو بعد مرور فترة من الزمن على أحداث الأصحاح الثامن. ويذكر لنا النص أن هذا الرجل كان **أعمى منذ ولادته**، لإظهار حالته الميؤوس منها، بالإضافة أيضًا إلى روعة المعجزة التي وهبته البصر.

٩: ٢ **سـأل التلاميذ** سـؤالاً غريبًا في نوعه، إلى حدّ ما. لقد أرادوا معرفة السبب الكامن وراء هذا العمى: أحصل ذلك من جراء خطيته الخاصـة أم من جراء خطية أبويه؟ فكيف كان بإمـكان خطيته هو أن تسـبّب له العمى، مع العلم أنه وُلد أعمى؟ فهل كانوا يؤمنون، يا ترى، بشكل من أشكال التقمـص، والقائل بعودة نفس الميت إلى الأرض في جسـد آخر؟ أم هل كانوا يشـيرون ضمنًـا إلى احتمال كونه قد وُلد أعمى بسـبب خطايا كان الله على علم بأنه سـيقترفها بعد ولادته؟ من الواضح أن العمى كان، بحسب تفكيرهم، يرتبـط، على نحو مباشـر بخطية في العائلـة. ونحن نعلم أن رأيهـم هذا لم يكن بالضرورة صحيحًا. فمع أن الخطية هي التي تقف، في نهايـة المطاف، وراء كل الأمراض، والآلام، والمـوت، يبقى أنه لا يمكننا القول في أية حالة معيّنة إن أحد الأشخاص يتألم ويعاني من جراء خطايا اقترفها.

٩: ٣ لم يقصد يسـوع أن يقول إن الرجل لم يخطئا هو ولا أبويـه؛ بل أراد التشـديد بالحري على أن العمى لم يحصل كنتيجة مباشـرة للخطية في حياتهم. لكن الله كان قد سمح لهـذا الرجل بأن يولد أعمى، حتى يصبح أداة لإظهـار **أعمال الله** العظيمة. فحتى قبل ولادة هذا الرجل، كان الرب يسـوع على علم بأنه سوف يعطي البصر لهاتين العينين المُصابتين بالعمى.

٩: ٤ لقد أدرك المخلّص أنه كان ما يزال لديه نحو ثلاث سنوات من الخدمة الجهارية قبل أن يُصلَب. لذا وجب تخصيص كل لحظة من هذه الفترة للعمل لله. وهنا رجل مولود أعمى. إذًا، من الضروري أن يصنع الرب معجزة لشفائه ولو في يوم السبت. فسرعان ما سينقضي زمن خدمته العلنية، ويغادر هذه الأرض. إنه لَتذكير جَديّ لكل مؤمن مسيحي بأن أيامه على هذه الأرض تنقرض سريعًا، وبأنه سيأتي ليل حين ستنتهي، إلى الأبد، خدمتنا هنا على الأرض. من هنا يتعيَّن علينا أن نخدم الرب خدمة مَرْضية في الوقت المتوافر لدينا.

٩: ٥ عندما كان يسوع **في العالم** إنسانًا، كان هو **نور العالم** بشكل مباشر ومميَّز جدًّا. وهكذا تسنّى للناس رؤية **نور العالم** أمام عيونهم، صانعًا المعجزات ومعلمًا. كما أن الرب يسوع ما يزال نور العالم، وهو يعد جميع الذين يقبلون إليه بأنهم لن يعودوا يسيرون في الظلمة. إلاّ أن الرب كان في هذا العدد يتكلم، بشكل خاص، عن خدمته الجهارية على الأرض.

٩: ٦ لا يذكر لنا البشير يوحنا لماذا صنع الرب يسوع الطين وجعله على **عيني الأعمى**. فاقترح بعضهم فكرة افتقار عيني هذا الرجل إلى مقلتين، الأمر الذي دفع الرب يسوع إلى خلقهما لتزويده بهما. وبالمقابل، ركّز آخرون على حرص يسوع، وهو يمنح البصر للأعمى، أن يستخدم، كعادته، أساليب محتقرة في نظر العالم. لقد دأب في استعمال الأشياء الضعيفة والحقيرة لتتميم مقاصده. وحتى في أيامنا الحاضرة، ما يزال الله يستخدم رجالاً ونساء مصنوعين من تراب الأرض، لمنح البصر للعميان روحيًّا.

٩: ٧ دعا الرب هذا الرجل الأعمى إلى تشغيل إيمانه، عندما طلب منه أن **يذهب ويغتسل في بركة سلوام**. ويرجَّح أنه كان، وعلى الرغم من عماه، يعرف موقع البركة، الأمر الذي يمكّنه من التوجّه إليها، كما قيل له. ويُشير الكتاب المقدس إلى أن الكلمة «**سلوام**» معناها «**مُرسَل**». ولعل الإشارة هنا هي إلى المسيّا (الشخص «المرسل»). فالشخص الذي صنع هذه المعجزة كان هو نفسه الذي أرسله الله الآب إلى العالم. **فمضى** الرجل الأعمى **واغتسل** في البركة، ونال البصر. إنها ليست مسألة ردّ البصر له، ذلك لأنه لم يسبق له أن رأى أي شيء على الإطلاق من قبل. حصلت هذه المعجزة فورًا، حتى إنه بات بإمكان هذا الرجل استخدام عينيه مباشرة بعد ذلك. فيا لدهشته وسروره أن يقوى، ولأول مرة، على النظر إلى العالم الذي كان يعيش فيه.

٩: ٨، ٩ إن ما حصل أذهل جيران الرجل. وبالكادّ استطاعوا أن يصدّقوا أنه كان هو الرجل نفسه الذي اعتادوا، لوقت طويل، أن يروه **جالسًا ويستعطي**. (وهذا يجب أن يحدث عندما يختبر أحدنا الخلاص. فإنه ينبغي لجيراننا أن يتمكنوا من ملاحظة الفرق فينا). بعضهم أصرُّوا على كونه الرجل نفسه، فيما آثر آخرون التحفظ في هذه المسألة، والاكتفاء بالتسليم بوجود شيء من الشبه بينهما. لكن الرجل بدّد كل شك بتصريحه علنًا بأنه كان هو الرجل المولود أعمى.

٩: ١٠ كانت كل معجزة يصنعها يسوع، تثير مختلف أنواع التساؤلات في قلوب الناس. وغالبًا ما أتاحت هذه التساؤلات الفرصة أمام المؤمن للشهادة للرب. فجاء الناس هنا يسألون الرجل **كيف** حصل كل ذلك.

٩: ١١ جاءت شهادته مقنعة مع كونها بسيطة. لقد ذكر الملابسات التي رافقت شفاءه، معطيًا الفضل للرب الذي كان قد صنع المعجزة. ولم يكن الرجل، عند هذا الحد، قد أدرك بعد هوية الرب يسوع. لذا أشار إليه بالقول: «**إنسان يُقال له يسوع**». لكن استيعاب هذا الرجل للأمور نما وازداد في ما بعد حتى اصبح يعرف من هو يسوع.

٩: ١٢ عندما نشهد للرب يسوع المسيح، نُثير غالبًا في قلوب الآخرين أشواقًا إلى التعرف به أيضًا.

ي. تصعيد مقاومة اليهود ليسوع (٩: ١٣-٤١)

٩: ١٣ يبدو أن بعض اليهود أخذتهم الحمية، عن إخلاص وصدق، وذلك على أثر معاينتهم المعجزة، فأتوا بالرجل **الأعمى إلى الفريسيين**. لم يكونوا يدركون، على الأرجح، أن القادة الدينيين سوف ينفرون من حقيقة شفاء هذا الرجل.

٩: ١٤ كان يسوع قد صنع المعجزة **في السبت**. إلاّ أن الفريسيين الناقدين، لم يستوعبوا قط حقيقة أن الله لم يصمم السبت للحدّ من أعمال الرحمة والإحسان.

٩: ١٥ هكذا أُتيحت فرصة أخرى أمام هذا الرجل للشهادة ليسوع. وعندما **سأله الفريسيون أيضًا كيف أبصر**، سمعوا منه الرواية البسيطة نفسها مرة أخرى. لم يأتِ الرجل على ذكر اسم يسوع عند هذا الحدّ، وذلك على الأرجح، لا لأنه كان يخشى أن يفعل ذلك، بل على أساس تحققه من أن الجميع عرفوا من قام بهذا العمل العظيم.

٩: ١٦ والآن برز انشقاق آخر حول هوّية يسوع. فأعلن **بعض الفريسيين** جهارًا أنه من غير الممكن أن يكون يسوع رجلاً تقيًا، وذلك بسبب نقضه **السبت**. ومن جهة أخرى، رأى آخرون أنه ما كان باستطاعة رجل خاطئ أن يصنع معجزة رائعة كهذه. فغالبًا ما تسبّب يسوع بشقاقات بين الناس. لقد كانوا يجدون أنفسهم مرغمين على أخذ قرار للوقوف معه أو ضدّه.

٩: ١٧ سأل الفريسيون **الرجل** الذي كان **أعمى** عن رأية في يسوع. وهذا الرجل لم يكن بعد قد أدرك أن يسوع هو الله. لكن إيمانه كان قد نما بشكل جعله على استعداد للإقرار بأن يسوع كان نبيًا. لقد آمن أن الشخص الذي منحه البصر قد أرسله الله وحمّله رسالة إلهية.

٩: ١٨، ١٩ كان ما يزال العديد من اليهود غير راغبين أن يصدّقوا أنّ معجزة ما قد حصلت. لذا دعوا **أبوي** الرجل للوقوف على رأيهما في الأمر.

فمن يعرف، أفضل من الأبوين هل كان ولدهما قد وُلد من دون بصر؟ وبالطبع، كانت شهادتهما ستحسم هذا الأمر. وهكذا **سألهما** الفريسيون هل هذا هو ابنهما، وأيضًا **كيف** نال بصره.

٩: ٢٠، ٢١ جاءت شهادة والدية إيجابية جدًا في مضمونها. **فهذا** الرجل كان **ابنهما** حقًا، وقد عانيا معه، على مدى سنين طويلة، مأساة مرضه هذا.

لم يكونا على استعداد لتخطّي هذا الحدّ. لذا صرّحا بأنهما **لا يعلمان** كيف حصل ابنهما على بصره، ولا هوية الشخص الذي أعطاه البصر. وبذلك يكونان قد وجّها الفريسيين مجدّدًا إلى ابنهما، بما أنه **كامل السن** وقادر أن **يتكلّم عن نفسه**.

٩: ٢٢، ٢٣ يصوّر لنا العدد ٢٢ خجل الأبوين. كانا قد سمعا بأن كل إنسان يعترف بأن يسوع هو المسيّا، يُخرَج من المجمع. وهذا الحرمان الديني كان من المسائل الخطيرة في نظر أي يهودي. وهما لم يكونا مستعدين لدفع ثمن كهذا. فقد يكلّفهما ذلك خسارة مصدر الرزق، بالإضافة أيضًا إلى كل امتيازات الديانة اليهودية.

لذلك، وبدافع من هذا الخوف من القادة اليهود، أعاد الأبوان الكرة إلى ملعب ولدهما.

٩: ٢٤ «أعطِ مجدًا لله»، قد تتحمّل معنيين: أولاً، قد تكون شكلاً من أشكال الاستحلاف. فربما كان الفريسيون يقولون: "والآن، قُلِ الحق. نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ". أو قد تعني أن الفريسيين طالبوا بإعطاء المجد لله لأجل المعجزة، مع الإحجام عن عزو أي فضل ليسوع بما أن الفريسيين كانوا يعتبرونه إنسانًا خاطئًا.

٩: ٢٥ كان الفشل حليف الفريسيين كلّ مرّة. فكلّما حاولوا تشويه سمعة الرب يسوع، كان يؤول ذلك إلى الرفع من شأنه أكثر. هنا، جاءت شهادة الرجل رائعة. فهو لم يكن يعلم الشيء الكثير عن شخص يسوع، لكنه كان يعلم أنه هو كان، في وقت من الأوقات، أعمى، والآن أصبح يبصر. هذه شهادة لا يستطيع أحد إنكارها.

وهذا أيضًا حال الذين وُلدوا ثانية. فالعالم قد يشكّك في الأمر، أو يستهزئ بنا، ويتهكّم علينا، لكن ما من أحد يقدر أن ينكر شهادتنا عندما نقول إننا كنا، في وقت من الأوقات، هالكين، غير أننا أصبحنا الآن، بنعمة الله، مخلّصين.

٩: ٢٦، ٢٧ عادوا أيضًا إلى استجوابه، إذ طلبوا منه أن يكرر التفاصيل على مسامعهم. وعند هذا الحد، انزعج الرجل الذي كان أعمى. فذكّرهم بأنه سبق له أن أحاطهم علمًا بالحقائق، ولم يسمعوه. فلماذا كانوا يريدون أن يسمعوا ذلك أيضًا؟ فهل كانوا مهتمين بأن يصبحوا من تلاميذ يسوع؟ وبالطبع، كان يقصد من وراء ذلك أن يتهكّم بهم. ذلك لأنه كان يعلم جيدًا مدى كراهيتهم ليسوع، وعدم رغبتهم في اتّباعه.

٩: ٢٨ قيل: "عندما لا تملك أية قضية، أسئ معاملة المدّعي". وهذا ما حصل هنا. فالفريسيون كانوا قد أخفقوا تمامًا في زعزعة شهادة هذا الرجل، لذا شرعوا في التعامل معه بقسوة. وهكذا اتهموه بأنه تلميذ ليسوع، وكأن هذا الأمر كان أقبح تُهمة في العالم قد تُلصق بإنسان. ومن ثم ادّعوا أنهم تلاميذ موسى، وكأن هذه الصفة كانت أعظم امتياز في الوجود.

٩: ٢٩ قال الفريسيون إن موسى كلّمه الله، لكنهم تكلموا عن يسوع باحتقار وازدراء. فلو أنهم آمنوا بكتابات موسى، لكانوا قبلوا يسوع ربًّا ومخلّصًا. كما أنهم لو فكّروا في الأمر قليلاً، لأدركوا أنه لم يسبق لموسى أن وهب البصر لإنسان وُلد أعمى. لقد كان في وسطهم من هو أعظم من موسى، ولم يدركوا ذلك.

٩: ٣٠ إن سخرية الرجل أصبحت الآن لاذعة. ولم يكن الفريسيون ليتوقعوا ذلك. فالرجل خاطبهم بما معناه: "أنتم أيها الرجال الحكام في إسرائيل، كما أنكم معلمو الشعب اليهودي. ومع هذا ثمة رجل في وسطكم قادر أن يمنح البصر لعيني الأعمى، ولستم تعلمون من أين هو. فيا للعار!".

٩: ٣١ أخذ الرجل يصبح جريئًا أكثر فأكثر في شهادته. كما أن إيمانه أخذ ينمو. فذكّرهم بأنه، كمبدإٍ عام، **لا يسمع الله للخطاة**، أو يصنع معجزات بواسطتهم. فالله لا يرضى على الناس الأشرار، كما أنه لا يمنحهم قوة لصنع الأعمال الخارقة. وبالمقابل، يرضى الله على عباده الأتقياء وينعم عليهم.

٩: ٣٢، ٣٣ أدرك هذا الرجل أنه كان أول إنسان وُلد أعمى نال البصر في تاريخ البشرية. لم يكن باستطاعته أن يفهم كيف كان بإمكان الفريسيين أن يشهدوا معجزة كهذه، ومن ثمّ يوجّهون الملامة إلى الشخص الذي صنعها. **فلو لم يكن الرب يسوع من الله، لما قدر** أبدًا أن يصنع معجزة من هذا النوع.

٩: ٣٤ ومن جديد، عاود الفريسيون إساءة معاملة هذا الرجل. وهكذا ألمحوا إلى أن عمى هذا الرجل كان نتيجة مباشرة **لخطاياه**. كما أنه بأي حق كان **يعلّمهم**؟ والحق يُقال، إنه كان لديه كل الحق، وذلك، بحسب كلمات رايل *Ryle*: "لأن تعليم الروح القدس يظهر غالبًا بين أوساط الرجال المتضعين، أكثر ممّا يظهر بين صفوف المثقفين وأصحاب المراكز". أمّا العبارة «**فأخرجوه خارجًا**»، فهي تشير، على الأرجح، إلى ما هو أكثر من مجرد طرده من الهيكل. فربما المقصود هنا هو أنّهم أصدروا بحقّه الحرمان من الديانة اليهودية. لكن إلامَ استندوا في قرارهم هذا؟ إن رجلاً مولودًا أعمى قد أُعطي البصر في السبت. وبما أنه رفض التكلم بالسوء على الشخص الذي صنع هذه المعجزة، صدر الحرمان بحقه.

٩: ٣٥ الآن، سعى **يسوع** في اثر هذا الرجل. وكأن يسوع أراد أن يقول للرجل: "إن كانوا لا يرغبون فيك، فأنا سآخذك إليّ". فالمطرودون من أجل يسوع، لا يخسرون شيئًا، بل يحصلون على بركة عظيمة في ترحيب يسوع بهم، وشركته الشخصية معهم. ولنلاحظ الآن كيف قاد الرب يسوع هذا الرجل إلى الإيمان الشخصي به بصفته ابن الله. لقد اكتفى بطرح السؤال التالي عليه: «**أتؤمن بابن الله**»؟

٩: ٣٦ كان هذا الرجل، على الرغم من حصوله على البصر الجسدي، ما يزال في حاجة إلى بصيرة روحية. فسأل الرب من هو ابن الله، حتى **يؤمن به**، ولا يُفهم من استعماله النداء «يا سيّد» أنّه كان قد آمن بربوبيّة المسيح.

٩: ٣٧ والآن عرّف يسوع هذا الرجل بنفسه بصفته ابن الله. فالذي منحه البصر، بصنعه المستحيل في حياته، ما كان مجرّد إنسان عادي، بل كان ابن الله وقد رآه هذا الرجل، وكان الآن **يتكلم معه**.

٩: ٣٨ وعلى هذا الأساس، وضع هذا الرجل إيمانه بالرب يسوع، ببساطة، ثم خرّ **وسجد له**. لقد اصبح الآن نفسًا مخلّصة بالإضافة إلى كونه رجلاً قد نال الشفاء. وكم كان عظيمًا هذا اليوم من أيام حياته. ذلك لأنه نال فيه البصر الطبيعي والروحي.

ولنلاحظ أن الرجل الأعمى لم يسجد للرب إلاّ بعد معرفته أولاً بأن يسوع كان ابن الله. فهو كيهودي فطن، لم يكن ليعبد مجرّد إنسان. لكن ما إن عرف أن الشخص الذي شفاه هو الله الابن، حتى سجد له، من أجل شخصه، وليس من أجل ما فعل.

٩: ٣٩ يبدو، أوّل وهلة، أن هذا العدد يناقض يوحنا ٣: ١٧: «لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم...»؛ لكن لا يوجد، في الواقع، أي تضارب فعلي هنا. فالمسيح لم يأتِ إلى العالم للدينونة، بل للخلاص.

غـير أن الدينونة هـي النتيجة الحتمية الـتي تكون من نصيب جميع الذين لا يقبلونه.

ثمة تأثيران للكرازة بالإنجيل: فالذين يعترفون بأنهم لا يبصـرون، ينالون البصر. أمّـا الذين يصرّون على أنهم **يبصرون** تمامًا، بمعزل عن الرب يسـوع، فإنّ حالة عماهم تترسّخ فيهم.

٩: ٤٠ أدرك بعض الفريسيين أن الرب يسـوع كان يتكلـم عنهـم وعن عماهـم. فتوجّهوا إليه وسـألوه بوقاحة هـل كان يقصـد أن يلمح إلى أنهـم هم **أيضًا عميان**. كانـوا يتوقّعون أن يحصلوا على جواب بالنفي عن سؤالهم هذا.

٩: ٤١ يمكننا إعادة صياغـة جواب الرب، على النحو التالي: "**لـو** كنتم تقبلون حقيقة أنكـم عميان وخطاة، وأنكم في حاجـة إلى مخلّص، لـكان بإمكانهم الحصول علـى غفـران خطاياكـم، واختبار الخـلاص. لكنكم تدّعـون أنكم لسـتم في حاجـة إلى شـيء. كما أنكم تزعمون أنكم أبـرار، وأن ليس لكم خطية. لذا، ليس هناك غفران لخطاياكم". عندما **قال يسـوع**: «... **لما كانت لكم خطية**»، لم يكن يقصد بذلك أنهم سيصبحون خالين من أيّة خطية، في المطلق، بل إنما كان يعني بالحري، أنهم سـيكونون بلا خطية، وذلك بالمقارنة مع فئة الأبرار في أعين أنفسـهم. فلـو أنهم اعترفوا فقـط بعماهم الذي أدّى إلى إخفاقهم في التعرف به بوصفه المسـيح، لباتت خطيتهم كلا شـيء، مقابل فظاعة خطية ادّعاء البصر، والسهو، في الوقت عينه، عن إدراك أنه ابن الله.

ك. *يسوع باب الخراف* (١٠: ١-١٠)

١٠: ١ ترتبط هذه الأعداد ارتباطًا وثيقًا بالجزء الأخير من الأصحاح التاسـع. فالرب يسـوع كان قد تكلم هناك مـع الفريسـيين الذيـن ادّعوا أنهـم رعاة بيت إسرائيل الشرعيّون. وإليهم بالتحديد، قد أشار الرب يسـوع هنا. إن العبارة «**الحق الحق أقـول لكم**» تُظهر الطابع الجدي لما كان مزمعًا أن يتكلم به.

كانـت **حظيرة الخراف** بمثابة مكان مسـيّج ومخصّص لحفـظ الخراف ليـلاً. وكان لهـذا المكان فُتحـة واحدة تُستخدم كباب. **والحظيرة** تشير هنا إلى الأمة اليهودية.

فالشـعب اليهودي جاءهم العديد من الأشـخاص المدّعين أنهم قادتهم ومرشـدوهم الروحيون. كان كل واحد منهم قد نصّب نفسه مسيحًا للأمّة. لكنهم لم يأتوا بالطريقـة التي كان العهد القديم قـد تنبأ عنها بخصوص مجيء المسـيّا، **بل طلعوا مـن موضع آخـر**. وهكذا ظهروا لإسـرائيل بالشـكل الذي ارتأوه هم. لذا لم يكن هؤلاء الرجال رعاة حقيقيين، بل سُـرّاقًا ولصوصًا. فالسراق هم الذين يسـتولون على مـا لا يخصهم، فيما اللصوص هم الذين يسـتخدمون العنف لتنفيذ مآربهم هذه. كان الفريسيون سـراقًا ولصوصًا. لقد سعوا للسيطرة على اليهـود، كما أنهم بذلـوا قصارى جهدهـم لمنعهم من قبول المسـيّا الحقيقي. كذلك، اضطهدوا أتباع يسوع، وكانوا، في نهاية المطاف، مزمعين أن يقتلوا يسوع.

١٠: ٢ يشـير العدد الثاني إلى يسوع نفسه. فهو جاء لأجل الخراف الضالة من بيت إسـرائيل. كما أنه كان **راعي الخراف** الحقيقي. وهو دخل **من الباب**، أي أنه جاء متمّمًا، بكل دقة، نبوات العهد القديم المختصة بالمسيّا. لم يعيّن نفسـه مخلّصًا، بل أتى لإطاعة إرادة أبيه بالتمام. وبذلك يكون قد استوفى كل الشروط.

١٠ : ٣ تتباين الآراء كثيرًا بشأن هوية البواب في هذا العدد. فبعضهم يرى أن هذه العبارة تشير إلى أنبياء العهد القديم الذين كانوا قد تنبأوا بمجيء المسيح. وآخرون يعتقدون أن يوحنا المعمدان هو المعني بالأمر هنا، بما أنه جاء سابقًا للراعي الحقيقي. أمّا فئة أخرى، فهي متيّقنة أيضًا بأن **البواب** في هذا العدد، هو الروح القدس الذي يفتح الباب تمهيدًا لدخول الرب يسوع إلى القلوب ليحيا فيها.

سمعت الخراف صوت الراعي. وميّزوا أن صوته هو صوت الراعي الحقيقي. فبين الشعب اليهودي، كان هناك قوم استطاعوا تمييز المسيّا عند ظهوره، تمامًا كما تميّز الخراف فعلاً صوت راعيها. ومن جهة أخرى، سمعنا الراعي، في كل مكان في الإنجيل، **وهو يدعو خرافه الخاصة بأسماء**. ففي الأصحاح الأول، كان قد دعا عدة تلاميذ، فسمع جميعهم صوته وتجاوبوا معه. ثم دعا الرجّل الأعمى، في الأصحاح التاسع. كما أن الرب يسوع لا يزال يدعو الذين سيقبلونه مخلّصًا، ودعوته هذه هي شخصية وفردية.

قد يشير الفعل «**ويخرجها**» إلى حقيقة أن الرب يسوع كان يقود الذين سمعوا صوته إلى خارج حظيرة خراف إسرائيل. كانوا هناك مطوّقين ومغلقًا عليهم، إذ لم يكن حرية تحت الناموس. أمّا الرب يسوع، فيقود خرافه إلى حرية نعمته. وكان اليهود في الأصحاح السابق قد أخرجوا الرجل خارج الهيكل. لكنهم بفعلهم هذا، كانوا يسندون عمل الرب، وذلك من دون علمهم.

١٠ : ٤ متى **أخرج** الراعي الصالح **خرافه الخاصة**، فهو لا يدفعها بالقوة، بل يقودها. وهو لا يطلب منهم التوجّه إلى أي مكان لم تطأه قدماه أولاً. فهو دائمًا وأبدًا أمام الخراف بوصفه مخلّصهم ومرشدهم ومثالهم. والذين هم خراف المسيح حقًّا، **يتبعونه**. إنهم لا يصبحون خرافًا باتّباعهم مثاله، بل بالولادة الثانية. ثم بعد أن يخلصوا، تتولّد فيهم الرغبة في السير إلى حيث يقودهم.

١٠ : ٥ إن الغريزة نفسها التي تؤهل الخروف لتمييز صوت الراعي الحقيقي، هي التي تدفعه أيضًا **إلى الهرب من الغريب**. والغرباء هنا كانوا الفريسيين وسائر قادة الشعب اليهودي، الذين في اهتمامهم بالخراف، لم يكونوا يسعون إلاّ وراء مصالحهم الشخصية. ولنا خير إيضاح لهذا في حادثة الرجل الذي وُهب البصر. فهذا الرجل ميّز صوت الرب يسوع، في حين عرف، بالمقابل، أن الفريسيين كانوا غرباء. لذا، رفض إطاعتهم، مع أنه كان يترتّب على ذلك إصدار حرمانًا بحقه.

١٠ : ٦ نقرأ هنا، بصريح العبارة، أن **يسوع قال هذا المثل** عن الفريسيين، **وأما هم فلم يفهموا** مغزاه، بما أنهم لم يكونوا خرافًا حقيقيين. وإلاّ كانوا قد سمعوا صوته وتبعوه.

١٠ : ٧ بعد هذا، استعان **يسوع** بإيضاح جديد. فهو لم يعد يتحدث عن **باب حظيرة** الخراف، كما في العدد ٢. بل عرّف نفسه الآن بصفته باب الخراف. فالمسألة لم تعُد تتعلق بدخول حظيرة خراف إسرائيل، إنما الصورة الآن أصبحت تختص بخراف بيت إسرائيل المختارين، والذين انتقلوا من اليهودية إلى المسيح، **الباب**.

١٠ : ٨ آخرون كانوا قد أتوا **قبل** المسيح، مدّعين لأنفسهم السلطة والمقام. لكن خراف بيت إسرائيل المختارين، لم يسمعوا لهم، وذلك لعلمهم أنهم كانوا ينتحلون لأنفسهم صفات غريبة عنهم.

١٠: ٩ يعدُّ العدد ٩ من الأعداد المباركة التي يفهمها تلميذ مدرسة الأحد، بسبب سهولتها، ومع هذا يعسر على معظم الدارسين سبر كل أعماقها. المسيح هو **الباب**. فالمسيحية ليست عقيدة ولا كنيسة، بل بالأحرى هي شخص، وهذا الشخص هو الرب يسوع المسيح. «**إن دخل بي أحد**» فالخلاص، لا يمكن الحصول عليه، إلاّ بواسطة المسيح. لذا فإن المعمودية لا تنفع هنا، ولا عشاء الرب. فيلزم أن ندخل من خلال المسيح، وعلى أساس القوة التي يمنحها هو. وهذه الدعوة هي لكل إنسان. ذلك لأن المسيح هو مخلّص اليهودي والأممي على السواء. لكن، على المرء أن يدخل، إن كان يريد أن يخلص. وعليه أن يَقبَل المسيح بالإيمان. إنها خطوة شخصية، ولا خلاص من دونها. والداخلون **يخلصون** من عقاب الخطية، ومن سطوتها، وفي نهاية المطاف من حضورها.

وبعد الخلاص، **يدخلون ويخرجون**. وربما كانت الفكرة هنا أنهم يدخلون محضر الله بالإيمان للعبادة، لكي يعودوا ويخرجوا إلى العالم للشهادة للرب. وعلى كل حال، إنها صورة عن الأمان والحرية الكاملين في خدمة الرب. والداخلون **يجدون مرعى**. فالمسيح ليس مخلّصًا ولا محرّرًا وحسب، بل هو أيضًا معيلنا ومُشبع قلوبنا. فخرافه **تجد مرعى** في كلمة الله.

١٠: ١٠ هدف **السارق** هو أن **يسرق، ويذبح، ويهلك**. فهو يأتي على أساس دوافع أنانية بحتة. فهو مستعد حتى أن **يذبح** الخراف، من أجل الحصول على مآربه الخاصة. أمّا الرب يسوع فلا يأتي إلى القلب البشري لأية مصالح ذاتية. إنه يأتي للعطاء، وليس للأخذ. كما أنه يأتي حتى تكون لشعبه **حياة وليكون لهم أفضل**. ونحن ننال الحياة في اللحظة عينها لقبولنا إياه مخلّصًا. ثم نبدأ بعد الخلاص نستمتع بهذه الحياة، بدرجات متنوعة. وعلى قدر ما نسلّم أنفسنا للروح القدس، يزداد من جراء ذلك تمتعنا بالحياة الممنوحة لنا. عندئذ، لا يكون لنا **حياة** فقط، بل **يكون** لنا أيضًا **حياة أفضل**.

ل. يسوع، الراعي الصالح (١٠: ١١-١٨)

١٠: ١١ «**أنا هو**»، وهي من العبارات المختصة بالألوهية، استخدمها الرب يسوع مرات عدة. وفي كل مرة، كان يعتبر نفسه مساويًا لله الآب. إنه يعرض نفسه هنا، بصفته **الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف**. فالخراف تكون مدعوة عادة إلى التضحية بحياتها من أجل الراعي. أمّا الرب يسوع فمات من أجل القطيع.

وعندما وجب سفك دم ضحية،
قادت هذا الراعي شفقتُه علينا
إلى الوقوف بيننا وبين العدو،
وإلى الموت طوعًا، بديلاً عنا.

توماس كلّي Thomas Kelly

١٠: ١٢ الأجير هو الذي يخدم مقابل أجرة. كأن يوكل أحد الرعاة أمر الاعتناء بخرافه إلى شخص آخر يتقاضى منه مبلغًا من المال. فالفريسيون كانوا أجراء، لأن اهتمامهم بالشعب كان يحصل بدافع كسب المال فقط. **والأجير** لم يكن صاحب الخراف. لذا فهو يهرب أمام الخطر المحدق بالخراف، تاركًا إياها تحت رحمة الذئب.

١٠: ١٣ نحن نفعل ما نفعله بسبب ما نحن عليه. فالأجير خدم لأجل الأُجرة، **ولم يكن يبالي بالخراف**. لقد كان معنيًّا بمصلحته الذاتية أكثر منه بخير الخراف. وكم من أُجَراء في الكنيسة اليوم، هؤلاء الرجال الذين اختاروا الخدمة لأنها وسيلة سهلة لكسب معيشتهم، في حين تخلو قلوبهم من أية محبة حقيقية لخراف الله.

١٠: ١٤ ومن جديد، يتكلم الرب عن نفسه هنا بصفته **الراعي الصالح**. وهذه الصفة «**الصالح**» وردت في اللغة اليونانية الأصلية بمعنى "النموذجي والمثالي والكفوء والمختار والنخبة والممتاز". إنه هذه جميعها. ثم يتحدث، بعد هذا، عن العلاقة الحميمة التي تربطه **بخرافه**. فهو يعرف خاصته، كما أن **خاصته** تعرفه. فما أروع هذه الحقيقة!

١٠: ١٥ إنه لمن المؤسف جدًّا أن يكون قد تمّ ترقيم هذا العدد، وكأنه يكوّن جملة جديدة. وفي الواقع، من المفضل أن نقرأه على النحو التالي: "... وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما أن **الآب يعرفني وأنا أعرف الآب**". إنها لحقيقة جليلة حقًّا أن يكون الرب قد شبّه علاقته بخرافه بالعلاقة القائمة بينه وبين أبيه. وما تتّصف به علاقة الآب بالابن من وحدة، وشركة حميمة، ومعرفة، يظهر أيضًا في علاقة الراعي الصالح بخرافه. ثم أضاف الرب أيضًا: «**وأنا أضع نفسي عن الخراف**». ومن جديد، نحن هنا أمام أحد تصريحات الرب يسوع التي فيها كان يتطلّع قُدُمًا إلى الوقت الذي فيه سيموت على الصليب، بديلاً عن الخطاة.

١٠: ١٦ العدد ١٦ هو بمثابة مفتاح لمجمل الأصحاح. **فالخراف الأُخر** الذين أشار إليهم الرب هنا كانوا الأمم. لقد كان لمجيئه إلى العالم ارتباط خاص بخراف بيت إسرائيل، لكن خلاص الأمم كان أيضًا في فكره. وهؤلاء الخراف من الأمم لم يكونوا من ضمن **الحظيرة** اليهودية. إلاّ أن قلب الرب يسوع الكبير والنابض بالرحمة، خرج وراء هذه الخراف أيضًا، يدفعه شعور إلهي مجيد بضرورة **الإتيان** بهذه الخراف إلى نفسه أيضًا. كان يعلم أنهم سيكونون أكثر استعدادًا من الشعب اليهودي **لسماع صوته**.

إننا نشهد في الجزء الأخير من هذا العدد التحوّل الهام جدًّا من **الحظيرة** اليهودية إلى **الرعية** المسيحية. وهذا العدد يعطينا لمحة سريعة مسبقة عن حقيقة أنه في المسيح سيُجعَل اليهود والأمم واحدًا، كما عن زوال كلّ الفروقات السابقة بين هاتين الفئتين أيضًا.

١٠: ١٧ يشرح الرب يسوع في العددين ١٧، ١٨، ما كان يزمع على فعله ليجذب إلى نفسه كل المختارين من اليهود والأمم. لقد تطلّع قُدُمًا إلى وقت موته ودفنه وقيامته. كانت هذه الكلمات ستظهر في غير محلّها تمامًا، لو كان الرب يسوع مجرد إنسان. فهو تحدث عن كونه **سيضع نفسه**، لكي يعود **ويأخذها أيضًا**، وكل ذلك على أساس سلطانه الشخصي. ولم يكن باستطاعته فعل ذلك إلاّ بما أنه الله. ومن جهة أخرى، لقد أحب **الآب** الرب يسوع، وذلك بسبب استعداده هذا للموت والقيامة حتى يتسنى للخراف الضالة أن تخلص.

١٠: ١٨ لم يكن بمقدور أحد أن يأخذ حياة الرب **منه**. فهو الله، وبالتالي أعظم من كل المؤامرات الدموية التي تدبّرها خلائقه. لقد كان يملك في ذاته **السلطان بأن يضع** حياته، وأيضًا السلطان بأن **يأخذها**. لكن، ألم يقتل الناس الرب يسوع؟ بلى، قتلوه. وهذا ما يصرّح به الكتاب المقدس بوضوح في أعمال ٢: ٢٣ وفي تسالونيكي الأولى ٢: ١٥. غير أن الرب يسوع سمح لهم بذلك، مظهِرًا في **سلطانه على وضع حياته**. إلى ذلك، فإنه «أسلم الروح»، كفعل إرادي قام به بقوته الذاتية.

«**هذه الوصية قبلتها من أبي**». فالآب كان قد فوّض الرب أو كلّفه أن يبذل حياته، ومن ثم أن يقوم من بين الأموات. لقد كان موته وقيامته من الأعمال الضرورية في مجال تتميم إرادة الآب. من أجل هذا، أطاع حتى الموت، وقام من بين الأموات، في اليوم الثالث حسب الكتب.

م. *انشقاق بين صفوف اليهود* (١٠: ١٩-٢١)

١٠: ١٩ إن كلمات الرب يسوع تسببت أيضًا **بانشقاق بين اليهود**. فالمسيح، بدخوله العالم والبيوت والقلوب، يلقي سيفًا، لا سلامًا. ولا يختبر الناس سلام الله إلاّ بعد أن يقبلوه ربًّا ومخلّصًا.

١٠: ٢٠، ٢١ كان الرب يسوع هو الإنسان الكامل الوحيد الذي عاش على هذه الأرض. فهو لم يتلفظ قط بكلمة في غير محلّها، ولا اقترف أي عمل شائن. ولكن عندما جاء ناطقًا بكلمات المحبة والحكمة، اعتبر الناس أن به **شيطانًا** وأنه **يهذي**، وأنه غير جدير بالإصغاء إليه. وهذا إنما يظهر مدى فساد قلب الإنسان. وكان ذلك، بكل تأكيد، وصمة عار على سجل الجنس البشري. **وآخرون**، جاء تفكيرهم مختلفًا؛ لقد أدركوا أن **كلمات** الرب يسوع وأفعاله كانت صادرة من شخص صالح، وليس من **شيطان**.

ن. *أعمال يسوع تبرهن أنه المسيح* (١٠: ٢٢-٣٩)

١٠: ٢٢ نشهد، عند هذا الحد، تغيّرًا مفاجئًا في السرد. فالرب يسوع لم يعد يتكلم مع الفريسيين، بل أصبح يخاطب اليهود، بشكل عام. ونحن لا نعرف الفترة الزمنية التي تفصل بين العددين ٢١، ٢٢.

والجدير بالذكر أن هذه هي المرة الوحيدة التي فيها يأتي الكتاب المقدس على ذكر **عيد التجديد**، أو «هنوقة» بالعبرانية. ويسود الاعتقاد أن يهوذا المكابي *Judas Maccabeus* هو الذي أنشأ هذا العيد خلال إعادة تكريس الهيكل بعد أن دنّسه انطيوخوس ابفانوس *Antiochus Ephanus* في عام ١٦٥ ق.م. إنه من الأعياد السنوية التي ابتكرها الشعب اليهودي، وليس من أعياد الرب. **وكان شتاء**، ليس بحسب التقويم فقط، بل على الصعيد الروحي أيضًا.

١٠: ٢٣، ٢٤ كانت خدمة الرب الجهارية قد أوشكت على الانتهاء، وكان سيُظهِر تكريسه الكامل لله الآب، من خلال موته على الصليب. **ورواق سليمان** كان بمثابة فسحة مسقوفة، تقع في محاذاة هيكل هيرودس. لقد كان هناك متّسع من المكان لحشود اليهود التي تجمّعت حول الرب.

فاحتاط به اليهود وقالوا له: «**إلى متى تعلّق أنفسنا** المختارة من نحوك؟ **إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرًا**».

١٠: ٢٥، ٢٦ ذكّرهم **يسوع** من جديد بأقواله **وبأعماله**. فهو طالما أخبرهم بأنه المسيّا، والمعجزات التي صنعها، جاءت لتبرهن صحّة تصريحه هذا. كما أنه عاد وذكّرهم بأنه كان يصنع المعجزات بسلطان من أبيه وبمجد أبيه. وبذلك يكون قد أظهر أنه الرب الذي أرسله الآب إلى العالم.

إن عدم رغبتهم في قبول المسيّا أكّد أنهم لم **يكونوا من خرافه**. فلو كانوا ينتمون إليه، لأظهروا استعدادًا للإيمان به.

١٠: ٢٧ تعلّم الأعداد القليلة التالية، بكلمات لا يرقى إليها الشك، أنّه ما من خروف حقيقي للمسيح قد يتعرض أبدًا للهلاك. فضمان مصير المؤمن الأبدي هو حقيقة مجيدة جدًا. **فخراف المسيح الحقيقيون يسمعون صوته.** أنهم يسمعونه خلال الكرازة بالإنجيل، ويتجاوبون معه من طريق الإيمان بالمسيح. ثم يصبح دأبهم، بعد ذلك، أن يسمعوا صوته يوميًا وأن يطيعوا كلمته. كما أن الرب يسوع يعرف خرافه، كل واحد منهم باسمه. ولا واحدٌ منهم يُمكن أن يفلت من دائرة اهتمام الرب. وما من أحد بينهم قد يهلك بسبب إهمال أو تقاعس من قِبل الرب. فخراف المسيح تتبعه، أولاً بالإيمان به لنوال الخلاص، ومن ثم بالسير معه في طريق الطاعة.

١٠: ٢٨ يعطي المسيح خرافه **حياة أبدية**، أي حياة تدوم إلى الأبد. وهذه الحياة ليست مشروطة، كما أنها لا تتوقف على تصرفاتهم. والحياة الأبدية تعني أنه لا تنتهي ولكنها تشير أيضًا إلى حياة من نوعية معيّنة: إنها حياة الرب يسوع نفسه. وهي حياة قادرة على التمتع بأمور الله هنا على الأرض، كما أنها في الوقت عينه مناسبة لبيتنا السماوي. ولنلاحظ جيدًا الكلمات التي تلي: «**ولن تهلك إلى الأبد**». فلو افترضنا هلاك أحد خراف المسيح، فالرب سيكون في هذه الحال مذنبًا بالتقصير في الوفاء بوعده؛ وهذا يُعدُّ ضربًا من المستحيلات. فالرب يسوع المسيح هو الله، ولا يمكن أن يخيّب آمالنا. لقد وعد في هذه الآية بأن أيًّا من خرافه لن يكون مصيره الأبدي في الجحيم.

هل يعني هذا أن الإنسان قد يخلص، ومن ثم يعيش على هواه؟ أم هل باستطاعته أن يخلص، ومن ثم يبقى منغمسًا في ملذات العالم الخاطئة؟ كلا، فهو لا يعود يشتاق إلى فعل هذه الأمور، بل أصبح يريد الآن أن يتبع الراعي الصالح. فنحن لا نعيش الحياة المسيحية لكي نصبح مسيحيين أو للمحافظة على خلاصنا. بل إنما نحيا حياتنا المسيحية بما أننا مسيحيون. كما أننا نسعى في أثر حياة مقدسة، لا خوفًا من فقدان خلاصنا، بل تقديرًا للرب الذي مات عنّا. إن تعليم الضمان الأبدي للمؤمن لا يشجّع على حياة الإهمال والطيش، بل بالحري هو دافع قوي إلى حياة القداسة.

لا يقدر أحد أن يخطف مؤمنًا من يد المسيح. فيده قادرة على كل شيء، وهي التي خلقت العالم، بل تُمسكه الآن وتدعمه. لذا، ما من قوة تستطيع أن **تخطف** خروفًا من قبضة يسوع.

١٠: ٢٩ ليس المؤمن في يد المسيح وحدها، بل هو في **يد الآب** أيضًا. فيا لها من ضمانة مزدوجة لأمان المؤمن وسلامته. **فالله الآب هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد الآب.**

١٠: ٣٠ والآن، عاد المسيح يعرض تصريحًا آخر يؤكد فيه مساواته لله: «**أنا والآب واحد**». والمقصود هنا، على الأرجح، هو أن المسيح **والآب واحد** في القدرة. فالرب يسوع كان لتوّه قد تحدّث عن القدرة الحافظة لخراف المسيح. لذا، أضاف قائلاً إن قدرته تساوي قدرة الله الآب. وبالطبع، هذا يصحّ أيضًا على جميع خصائص الألوهية الأخرى. ذلك لأن الرب يسوع المسيح هو الله، بكل ما في الكلمة من معنى؛ وهو مساوٍ له من جميع الوجوه.

١٠: ٣١ لم يفت اليهود قط أن يدركوا مغزى كلمات المخلِّص. لقد عرفوا أنه كان يقصد أن يبسط أمامهم ألوهيته، بشكل واضح. لذا، **تناولوا حجارة ليرجموه.**

١٠: ٣٢ لكن يسوع، وقبل أن يبدأوا برجمه، ذكّرهم **بالأعمال الكثيرة الحسنة** التي كان قد صنعها بأمر من أبيه. ثم دعاهم إلى تحديد تلك الأعمال التي أغاظتهم حتى قرروا رجمه.

١٠: ٣٣ أنكر **اليهود** أنهم أرادوا قتله بسبب أية واحدة من معجزاته، وأنّهم إنّما ابتغوا رجمه لشعورهم بأنه تفوّه **بتجاديف** لدى تصريحه بمساواته لله الآب. لقد رفضوا القبول بأنه أكثر من إنسان. وبالمقابل، تأكّد لهم أنه، بتصريحاته، قد جعل نفسه الله. ولم يكونوا ليسمحوا بذلك.

١٠: ٣٤ هنا اقتبس الرب يسوع لليهود من المزمور ٨٢: ٦، معتبرًا ذلك جزءًا من ناموسهم. وبكلمة أخرى، كان يستشهد أمامهم بالعهد القديم الذي كان، في عُرفهم، كلمة الله الموحى بها. وقد وردت الآية بأكملها على النحو التالي: «أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي كلكم» وكان هذا المزمور موجّهًا إلى قضاة إسرائيل. وقد دُعوا «**آلهة**»، ليس لحيازتهم على طبيعة إلهية، بل لأنهم كانوا، خلال قضائهم للشعب، يمثّلون الله. فاللفظة العبرانية لهذه الكلمة «آلهة» هي «ايلوهيم»، وتعني حرفيًا «المقتدرين». لذا، كان يحق استخدامها للشخصيات الهامة، أمثال القضاة. (ويتضح لنا من القسم الباقي من المزمور أنهم كانوا مجرّد بشر، وليسوا آلهة، بما أنهم كانوا ظالمين في حكمهم ويحابون بالوجوه).

١٠: ٣٥ استعان الرب بهذا العدد من المزامير لإظهار أن الله استخدم الكلمة «**آلهة**» لوصف أناس **صارت إليهم كلمة الله**. وبكلمة أخرى، كان هؤلاء الرجال هم الناطقين بلسان الله، لأن الله خاطب الأمّة، بواسطتهم. "لقد أظهروا الله في سلطانه وقضائه، كما أنهم كانوا السلطات التي أقامها هو". «**ولا يُمكن أن يُنقض المكتوب**»، هذا ما صرّح به الرب، معبّرًا بذلك عن إيمانه بوحي أسفار العهد القديم. لقد اعتبرها كتابات معصومة من الخطإ، ويجب أن تتم بشكل حتمي، ولا يمكن إنكارها. وفي الواقع، كانت حتى كلماتُ الوحي نفسها، لا أفكارها فقط، موحى بها. وبذلك، يكون الرب قد أرسى حجته بجملتها على الكلمة «**آلهة**».

١٠: ٣٦ كان الرب يجادل ويحاجُّ من الأقل إلى الأعظم. فإذا كانت التسمية «آلهة» قد أُطلقت في العهد القديم على القضاة الظالمين، فكم بالحري يحق له هو القول إنه ابن الله. كانت كلمة الله قد صارت إلى أولئك؛ أمّا هو فكان وما يزال كلمة الله. وأولئك دُعُوا آلهة، أمّا هو فهو الله. إلى ذلك، لم يكن قط ليصحّ فيهم القول **إن الآب قد قدّسهم، وأرسلهم إلى العالم**. فهم وُلدوا في العالم، وذلك على غرار سائر أولاد آدم الساقطين. أمّا يسوع، فكان الله **الآب** قد قدّسه منذ الأزل ليكون مخلّص العالم، كما **أرسله إلى العالم** من السماء، من حيث كان يُقيم دائمًا مع أبيه. لذا كان ليسوع كل الحق بأن ينسب لنفسه المساواة لله. كما أنه لم يكن يجدف عندما صرّح بأنه ابن الله، المساوي للآب. فإن كان اليهود قد درجوا على إطلاق التسمية «آلهة» على أناس فاسدين، كانوا مجرّد ناطقين باسم الله أو قضاته، فبالأولى كثيرًا أن يحقّ للمسيح أن يستعمل هذا اللقب لنفسه، بما أنه كان وما يزال هو الله. وقد علّق صموئيل جرين *Samuel Green* ببراعة على هذا بالقول:

> اتّهم اليهود الرب بجعل نفسه الله. أمّا هو فلم ينكر أنه كان، بطريقة كلامه، قد جعل نفسه الله.

بل أنكر أن يكون قد جدّف، حين نسب إلى نفسه ما هو من حقّه تمامًا في حيازته مفاخر الألوهية: إذ كان هو المسيّا، وابن الله، وعمانوئيل. أمّا اليهود، فلم يعتبروا أنه تراجع قط عن تصريحاته الرفيعة هذه، وذلك بشهادة العداوة المتواصلة التي تعاظمت من قِبلهم نحوه. راجع أيضًا العدد ٣٩.

١٠ : ٣٧ عاد المخلّص يستشهد بالمعجزات التي صنعها، كبرهان على مهمته الإلهية. لكن، لنلاحظ جيدًا العبارة: «**أعمال أبي**». فالمعجزات، بحدّ ذاتها، لا تبرهن على الألوهية. ذلك لأننا نقرأ في الكتاب المقدس عن كائنات شريرة أثبتت، أحيانًا، قدرتها على صنع المعجزات. أمّا معجزات الرب، فكانت **أعمال أبيه**. وقد أكّدت كونه المسيّا، وذلك من ناحيتين: أولاً، لقد كانت المعجزات التي كان العهد القديم قد تنبأ بأن المسيّا سيصنعها. وثانيًا، كانت هذه المعجزات قد حصلت بدافع الرحمة والحنان؛ كانت أعمالاً مفيدة للبشرية، ولا يمكن أن تصدر من شخص شرير.

١٠ : ٣٨ صاغ رايل *Ryle* العدد ٣٨ للتفسير كالآتي: "إن كنت أعمل أعمال أبي، فاقتنعوا إذًا من أعمالي هذه، ولو لم تقتنعوا من كلامي. فاخضعوا لبرهان أعمالي حتى عندما تقاومون برهان كلامي. وبهذه الطريقة تعلّموا أن تعرفوا وتؤمنوا بأني أنا والآب واحد حقًا، لأنه هو فيّ وأنا فيه. كما أني لا أجدّف بتصريحي بأني ابن الله".

١٠ : ٣٩ أدرك اليهود مجدّدًا، أن الرب يسوع لم يعمل إلاّ على تثبيت ادعاءاته السابقة، عوضًا عن التنكّر لها. فحاولوا مرة أخرى إلقاء القبض عليه، لكنه خذلهم أيضًا. فعن قريب، سيأتي الوقت حين سيسمح لهم بأخذه؛ أمّا الآن، فلم تأتِ ساعته بعد.

٦ـ ابن الله في السنة الثالثة من خدمته: بيرية (١٠: ٤٠- ١١: ٥٧)

أ. انفراد يسوع في عبر الأردن (١٠: ٤٠-٤٢)

١٠ : ٤٠ ومضى يسوع أيضًا إلى عبر الأردن، إلى المكان نفسه من حيث كان قد بدأ خدمته الجهارية. لقد أوشكت على الانتهاء فترة الثلاث سنوات التي كان قد قضاها في التعليم وصنع المعجزات. فهو ختمها في المكان الذي فيه كان قد بدأها: في مكان منعزل خارج نطاق هيمنة النظام اليهودي، حيث لقي الرفض واختبر الوحدة.

١٠ : ٤١ إن الذين **أتوا إليه**، كانوا، على الأرجح، مؤمنين جديين ومخلصين. لقد كانوا على استعداد لحمل عاره، وللوقوف معه خارج محلّة إسرائيل. وهؤلاء الأتباع أثنوا على **يوحنا** المعمدان. كما تذكّروا أن خدمة يوحنا لم يتخللها أي شيء مدهش أو خارق، إنما اتّسمت **بالحق**. فكل ما كان يوحنا قد صرّح به بخصوص الرب يسوع، قد تمّ فعلاً في خدمة المخلّص. وهذا من شأنه تشجيع كل مؤمن مسيحي. فنحن، وإن لم يكن بإمكاننا أن نصنع معجزات خارقة، أو نستحوذ على اهتمام الجموع، إلاّ أنه يبقى بوسعنا، على الأقل، أن نقدم شهادة حق لربنا ومخلصنا يسوع المسيح. إن لهذا العمل قيمة عظيمة في نظر الله.

١٠ : ٤٢ ما أروع أن نلاحظ أن الرب يسوع وجد فعلاً بعض القلوب الوديعة التي تجاوبت معه، وذلك على الرغم من رفض أمّة إسرائيل له. فنحن نقرأ أنه **آمن كثيرون به هناك**. وهذا هو الحال في كل عصر. فهناك دائمًا بقية من الناس المستعدين لاتخاذ مكانهم مع الرب يسوع، وليعيشوا منبوذين من العالم، ومبغَضين، ومعيّرين، ولكن مستمتعين بلذّة الشركة الحلوة مع ابن الله.

ب. مرض لعازر (١١: ١-٤)

١١: ١ وصلنا الآن إلى المعجزة العظمى الأخيرة في خدمة الرب يسوع العلنية. لقد كانت، بمعنى من المعاني، العُظمى على الإطلاق: إقامة رجل ميت من الأموات. كان **لعازر** يعيش في بيت عنيا، القرية الصغيرة التي كانت تبعد نحو ثلاث كيلو مترات عن أورشليم شرقًا. كذلك عُرفت **بيت عنيا** أيضًا، بأنها كانت موطن مريم ومرثا أختها. وفي هذا السياق، قام بينك *Pink* باقتباس كلمات الأسقف رايل *Ryle*:

> لنلاحظ أن وجود أولاد الله المختارين هو العامل الوحيد الذي يعطي المدن والدول شهرتها في نظر الله. لذا لحظ العهد الجديد قرية مرثا ومريم، في حين أغفل تمامًا ذكر ممفيس وطيبة.

١١: ٢ أوضح يوحنا أن **مريم** من بيت عنيا هي التي كانت قد **دهنت الرب بطيب، ومسحت رجليه بشعرها**. لقد ركّز الروح القدس على هذا العمل الواحد المعبّر عن الولاء للرب. فالرب يحب أن يرى شعبه يعبّر له طوعًا عن عاطفته الخالصة تجاهه.

١١: ٣ عندما مرض لعازر كان الرب يسوع، على ما يبدو، في الناحية الشرقية من نهر الأردن. **فأرسلت الأختان** تخبرانه للوقت بأن لعازر **الذي يُحبّه** هو، كان مريضًا. لقد اعتمدت الأختان أسلوبًا مؤثّرًا جدًّا في عرضهما لقضيتهما للرب. لقد انطلقتا من محبته لأخيهما لأجل حثّه على المجيء، ومدّ يد العون لهما.

١١: ٤ فلمّا... قال يسوع: هذا المرض ليس للموت، لم يكن يعني أن لعازر لن يموت، بل قصد التصريح بأن الموت لن يكون الخاتمة النهائية لهذا المرض. فلعازر سيموت، لكنه سيُقام من الأموات. كما أن القصد الحقيقي من هذا المرض كان **مجد الله، ليتمجد ابن الله به**. فالله قد سمح بحصول ذلك، حتى يتسنى ليسوع أن يحضر إلى المكان ويقيم لعازر من الأموات، وهكذا يُستعلن من جديد بوصفه المسيّا الحقيقي. عندئذ، سيمجِّد الناس الله على هذه المعجزة المدهشة.

لا يذكر الكتاب، على الإطلاق، أن مرض لعازر كان قد نتج من خطية معيّنة في حياته. لكنه يصوّره لنا كتلميذ وفيّ، ومحطّ محبة المخلّص على نحو خاص.

ج. رحلة يسوع إلى بيت عنيا (١١: ٥-١٦)

١١: ٥ إذا دخل المرض بيوتنا، فعلينا ألاّ نستخلص من ذلك عدم رضى الله عنّا. فالمرض هنا، كان له علاقة مباشرة بمحبته، لا بغضبه. لأن «الذي يحبه الرب يؤدبه» (عب ١٢: ٦).

١١: ٦، ٧ يدعونا منطقنا البشري إلى التفكير على النحو التالي: إن كان الرب يحب حقًا هؤلاء المؤمنين الثلاثة، فلا بدّ أن يوقف جميع نشاطاته، ويُسرع إلى بيتهم. لكن، عوضًا عن ذلك، عندما **سمع** الرب هذا الخبر، **مكث حينئذٍ في الموضع الذي كان فيه يومين**. فتأنّي الله لا يعني رفضه. فإن كنّا لا نحصل فورًا على استجابة صلواتنا، فربما لأن الله يبغي تعليمنا الانتظار. وعندما ننتظر بصبر، نجد أن الله يستجيب صلواتنا بشكل مدهش أكثر جدًّا ممّا كنّا نتوقّع. فحتى محبة الرب لمرثا ومريم ولعازر، لم يكن بإمكانها أن تدفعه إلى التدخّل قبل الوقت المعيّن. فكلّ ما فعله الرب، كان إطاعةً لمشيئة أبيه له، وعلى موافقة للتقويم الإلهي.

ثم **بعد** يومين، بدا كأنهما وقت مهدور، اقترح الرب يسوع على **التلاميذ أن يذهبوا** جميعهم إلى **اليهودية أيضًا**.

١١: ٨ كان التلاميذ ما يزالون يتذكّرون، على مضض، كيف كان **اليهود يطلبون أن يرجموا** المسيح، بعد منحه البصر للرجل الأعمى. لذا أعربوا عن اندهاشهم من مجرّد تفكيره في التوجه إلى اليهودية، في وجه هذا الخطر الفعلي المحدق به.

١١: ٩ أجابهم يسوع على النحو التالي: من الأمور المتعارف عليها، أن **اليوم** يتألف من **اثنتي عشرة ساعة** من النور، حين بإمكان الناس أن يعملوا. ولا خطر البتة على أي كان من التعثّر في السير أو السقوط، ما دام يعمل خلال هذه الفترة، **بما أنه ينظر** وجهة سيره، وما يقوم به. فنور هذا العالم يحفظه من الموت الفجائي من جرّاء التعثر.

إن المغزى الروحي لكلمات الرب هو ما يلي: كان الرب يسوع يسير في طاعة كاملة لإرادة الله. لذا لم يكن هناك أي خطر من تعرّضه للقتل قبل الوقت المعيّن. وهكذا سيُصان إلى حين إكماله مهمته.

وهذا يصحّ، بمعنى من المعاني، على كل مؤمن. فإن كنّا نسير في شركة مع الرب، صانعين إرادته، فلا يكون بمقدور أية قوة على الأرض أن تقتلنا قبل الوقت المعيّن من الله.

١١: ١٠ الشخص الذي **يمشي في الليل** هو من ليس أمينًا لله، بل يعيش لإرادته الذاتية. وما أسهل أن **يعثر** هذا الإنسان **لأنه** يفتقر إلى القيادة الروحية الكفيلة بإنارة سبيله.

١١: ١١ دعا الرب موت لعازر رقادًا. إلاّ أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن الرقاد، بمفهوم العهد الجديد، لا يُطلق البتّة على النفس، بل على الجسد فقط. فالكتاب المقدس لا يعلّم، على الإطلاق، أن النفس، خلال الموت، تكون في حالة رقاد. بل إنّ نفس المؤمن تنطلق بالحري لتكون مع المسيح، وذاك أفضل جدًّا. ومن جهة أخرى، أعلن الرب، من خلال هذا التصريح، معرفته الكلية بالأمور. لقد علم أن لعازر مات، مع أنه كان قد بلغه خبرُ مرضه. ومعرفته هذه ناتجة من كونه الله. ففي حين كان باستطاعة أي كان أن يوقظ من النوم العاديّ، كان بمقدور الرب وحده أن يوقظ لعازر من الموت. وهنا، أبدى يسوع رغبته في تتميم هذا العمل بعينه.

١١: ١٢ لم يفهم **تلاميذ** الرب إشارته هذه إلى الرقاد. لقد فاتهم أن يدركوا أنه كان بذلك يتحدث عن موته. وربما رأوا في هذا الرقاد دليل عافية، حتى خلصوا إلى القول إن لعازر كان قد اجتاز تلك الأزمة بسلام، وكان **سيُشفى**، بما أنه بات بإمكانه أن يغطّ في نوم هانئ. كما أن هذا العدد قد يعني أيضًا أنه لو اقتصر الأمر فقط على رقاد لعازر، بالمعنى المادي للكلمة، لما دعت الحاجة للذهاب إلى بيت عنيا لمساعدته. ومن جهة أخرى، من المحتمل أن التلاميذ كانوا يخشون على سلامتهم الشخصية، لذا استندوا إلى هذا العذر بقصد عدم الذهاب إلى بيت مريم ومرثا.

١١: ١٣، ١٤ مذكور هنا، بكل وضوح، أنه عندما تحدّث **يسوع** عن الرقاد، كان يشير إلى الموت. إلاّ أن تلاميذه لم يفهموا ذلك. والآن انجلى كل لبس. فيسوع قال لتلاميذه **علانية**: «**لعازر مات**». استقبل التلاميذ هذا الخبر بهدوء تام. فهم لم يسألوا الرب: "كيف عرفت ذلك؟" فالرب كان قد خاطبهم بسلطان كامل، لذا لم يشككوا في معرفته.

١١: ١٥ لم يفرح الرب بموت لعازر، بل فرح لأنه لم يكن في بيت عنيا في ذلك الحين. فلو كان هناك، لَما مات لعازر. ذلك لأن العهد الجديد، لا يدوّن البتّة على صفحاته عن موت أي إنسان في حضور الرب. وهكذا سيتسنى للتلاميذ معاينة معجزة أعظم من منع الموت عن لعازر. فإنهم سيشاهدون رجلاً يُقام من الموت. وعلى هذا الأساس، سيتعزّز إيمانهم. لذا قال الرب يسوع إنه فرح لأجلهم، بسبب عدم وجوده في بيت عنيا.

ثم أضاف قائلاً: «**لتؤمنوا**». والرب هنا لم يكن يشير ضمنًا إلى أن التلاميذ لم يكونوا، حتى ذلك الحين، قد آمنوا به بعد. بالطبع، كانوا مؤمنين به. لكن المعجزة التي سيعاينونها في بيت عنيا، كانت ستقوّي إيمانهم به. لذا، حثّهم على **الذهاب معه**.

١١: ١٦ استنتج **توما** منطقيًّا أن يسوع سيموت على أيدي اليهود، لا محالة، إن هو توجّه إلى تلك المنطقة. كما أنه كان متيقّنًا من أن التلاميذ سيلاقون هذا المصير عينه إذا رافقوا يسوع. وهكذا حثّهم، بروح سلبية، على مرافقة يسوع. لم تأتِ كلماته بمثابة مثال لهم في الإيمان العظيم أو في الشجاعة، بل جاءت بالحري مثبّطة لعزائمهم.

د. يسوع: *القيامة والحياة* (١١: ١٧-٢٧)

١١: ١٧، ١٨ إن حقيقة كون لعازر قد صار له أربعة أيام في القبر، أضيفت كبرهان على أنه مات. ولنلاحظ أن الروح القدس يحرص كثيرًا على إظهار أن قيامة لعازر من الأموات كانت معجزة حقيقية. لا بد من أن لعازر كان قد مات بعد قليل من مغادرة الرسل الذين توجهوا لملاقاة يسوع. وكانت بيت عبرة، حيث كان يسوع، على مسافة يوم واحد من بيت عنيا. كان يسوع، بعد سماعة بمرض لعازر، قد مكث في مكانه يومين. ثم قطع يومًا واحدًا في رحلته إلى بيت عنيا. وهذا يفسّر فترة الأربعة أيام التي قضاها لعازر في القبر. كانت بيت عنيا، كما أسلفنا، تقع شرقي أورشليم، وعلى بعد نحو ثلاثة كيلو مترات منها.

١١: ١٩ إن قرب المسافة بين بيت عنيا وأورشليم، مكّن **يهودًا كثيرين** من التحلّق حول مرثا ومريم **لتعزيتهما**. ولم يكونوا ليدركوا أنه، خلال فترة وجيزة جدًّا، لن يعود هناك أية حاجة إلى تعزيتهم هذه، كما أن بيت النور هذا سوف يتحوّل إلى بيت الفرح العظيم والبهجة العارمة.

١١: ٢٠ فلمّا سمعت مرثا أن يسوع آتٍ، خرجت للقائه. وقد جرى هذا اللقاء خارج القرية مباشرة. ومن جهة أخرى، نجهل السبب الذي دعا مريم إلى المكوث في البيت. ربما لم يبلغها نبأ حضور يسوع إلى المكان. أو لعل قواها شُلّت من جرّاء الحزن المفرط. أو ربما كانت، ببساطة، تنتظر بروح الصلاة والثقة. هل كان لديها إحساس بما سيحصل، وذلك بفضل علاقتها الحميمة بالرب؟ لا نعرف.

١١: ٢١ كان الإيمان الحقيقي هو الذي مكّن مرثا من الوثوق بقدرة يسوع على منع الموت عن لعازر. إلاّ أن إيمانها كان ما يزال ناقصًا. ففي ظنّها أنه لم يكن بوسعه القيام بذلك إلاّ على أساس حضوره الشخصي إلى المكان، لم تكن لتدرك أنه كان بإمكانه أن يشفي رجلاً عن بُعد، فكم بالحري كان إدراكه أقل لمدى قدرته على إقامة الموتى. ونحن بدورنا، غالبًا ما نتكلم كمرثا، في أوقات ضيقنا، كأن نعتبر مثلاً أنه لم يكن بإمكان الموت أن يسلخ عنّا أحد أحبائنا، لو كان قد تم فقط اكتشاف هذا الدواء أو ذاك. غير أن هذه الأمور جميعها هي بين يدَي الرب، ولا يحصل شيء لأي واحد من خاصته بغير إذن منه.

١١: ٢٢ عاد إيمان هذه الأخت الوفية ليسطع من جديد. كانت تؤمن بأن الرب يسوع سيمدُّ يد العون حتمًا، على الرغم من جهلها للأسلوب الذي سيعتمده في ذلك. كانت واثقة بأن الله سيعطيها سؤل قلبها، وبأنه سيُخرج خيرًا من هذه الحادثة التي يبدو أنّها مأساة، حسب الظاهر. إلاّ أنها، لم تكن لتتجرأ، حتى الآن، على الإيمان بأن أخاها سيقوم من الأموات. والفعل "تطلب" الذي استخدمته مرثا هنا يُستعمل عادة من قِبل المخلوق في توسّله بالصلاة إلى خالقه. ويبدو أن مرثا، لم تكن قد أدركت بعد ألوهية الرب يسوع. فكل ما عرفت عنه هو أنه كان رجلاً عظيمًا وغير اعتيادي، من دون أن يكون أعظم من الأنبياء القدامى بشيء.

١١: ٢٣ بعد هذا، أراد يسوع أن يجعل إيمانها يرتقي إلى مستويات أعلى، وذلك عندما أعلن لها أن أخاها سيقوم. أنه لمن المدهش رؤية الطريقة التي يعتمدها الرب في تعامله مع هذه المرأة المحزونة، لقيادتها خطوة فخطوة إلى الإيمان به من حيث هو ابن الله.

١١: ٢٤ كان لدى مرثا إدراك بأن لعازر سيقوم من الأموات، ذات يوم، لكن لم تتبادر إلى ذهنها قط إمكانية حصول هذا الأمر في ذلك اليوم عينه. كانت تؤمن بقيامة الأموات معتبرة أنه سيحصل ذلك في ما سمّته «**اليوم الأخير**».

١١: ٢٥ يبدو كأن الرب خاطبها بالقول: "أنتِ لا تفهمين مقصدي، يا مرثا. فأنا لا أعني أن لعازر سيقوم في اليوم الأخير. ذلك لأني أنا الله، وفي يدي سلطان **القيامة والحياة**. لذا، بإمكاني إقامة لعازر من بين الأموات الآن، وسأفعل ذلك". وبعد هذا، تطلّع الرب قُدمًا إلى الوقت الذي فيه سوف يُقام جميعُ المؤمنين الحقيقيين من بين الأموات. وهذا ما سيحصل عند رجوع الرب لأخذ خاصّته إلى بيتهم السماوي.

في ذلك الوقت، سيكون هناك فئتان من المؤمنين: أولئك الذين ماتوا في الإيمان، بالإضافة إلى الذين سيكونون أحياء عند رجوع الرب. فهو سيأتي إلى الفئة الأولى بصفته القيامة، وإلى الفئة الأخرى بصفته الحياة. لقد ذُكرت الفئة الأولى في الجزء الأخير من العدد ٢٥: «**من آمن بي ولو مات فسيحيا**». وهذا يشير إلى إقامة أولئك المؤمنين الذين ماتوا قبل مجيء المسيح.

علّق بُركِت *Burkitt* على هذا بالقول:

> يا لهذه المحبة الأقوى من الموت! فالقبر يعجز عن فصل المسيح عن أحبائه. قد يرافقنا أصدقاؤنا الآخرون إلى عتبة القبر، ومن ثم يتركوننا. أمّا محبة المسيح، فلا يستطيع أن يفصلنا عنها لا الموت ولا الحياة.

كذلك قال بنجل *Bengel* في هذا الصدد: "إنه لأمر رائع ولائق بالألوهية كوننا لا نقرأ قط عن أي كان أنّه مات في حضور رئيس الحياة".

١١: ٢٦ لقد ورد ذكر الفئة الثانية في العدد ٢٦. فالمؤمنون الأحياء عند مجيء الرب، لن **يموتوا إلى الأبد**. بل سيتغيرون «في لحظة في طرفه عين»، ومن ثم يُنقلون إلى بيتهم السماوي ليكونوا إلى جوار الذين أُقيموا من بين الأموات. فما أثمن الحقائق التي وصلت إلينا نتيجة موت لعازر. فالله هو الذي يخرج من المرارة حلاوة، ويضفي على الرماد جمالاً. ثم أراد الرب امتحان إيمان مرثا، إذ وجّه إليها السؤال المحدّد التالي: «**أتؤمنين بهذا؟**»

١١: ٢٧ أشرق إيمان مرثا ببهاء لمعان ساعة الظهيرة. فاعترفت بأن يسوع هو **المسيح، ابن الله**، الذي سبق

للأنبياء أن تكلموا عن **مجيئه إلى العالم**. ولنلاحظ جيدًا أنها كانت قد أقرّت بهذا الأمر قبل إقدام يسوع على إقامة أخيها من بين الأموات، وليس بعده.

هـ. *يسوع يبكي عند قبر لعازر* (١١: ٢٨-٣٧)

١١: ٢٨، ٢٩ قامت مرثا للحال بعد اعترافها هذا، وأسرعت إلى القرية لتزفّ إلى مريم الخبر التالي: «**المعلم قد حضر وهو يدعوكِ**». فخالق الكون ومخلّص العالم كان قد جاء إلى بيت عنيا، وكان **يدعوها**. وهذا الأمر عينه، ما يزال يحصل في أيامنا أيضًا. فهذا الشخص العجيب نفسه، ما يزال يقف لدعوة الناس، من خلال كلمات الإنجيل. وكل إنسان هو مدعو إلى فتح باب قلبه ليدخله المخلّص. جاء تجاوب مريم فوريًّا. فهي لم تضيّع أي وقت، بل **قامت سريعًا، وجاءت إلى يسوع**.

١١: ٣٠، ٣١ والآن، التقى **يسوع** مرثا ومريم خارج قرية بيت عنيا. لم يعلم اليهود بأن يسوع كان قريبًا من المكان، ذلك لأن مرثا كانت قد نقلت هذا الخبر إلى مريم سرًّا. لذا كان من الطبيعي أن يستنتجوا أن مريم كانت قد مضت **إلى القبر لتبكي هناك**.

١١: ٣٢ خرّت مريم عند رجلي المخلّص. ربما كان ذلك فعل عبادة، أو لعلها كانت، ببساطة، متهاوية تحت وطأة الحزن الشديد. ثم عبّرت، وعلى غرار أختها مرثا، عن أسفها الشديد على أن يسوع لم يكن حاضرًا في بيت عنيا، لأن حضوره كان كفيلاً بمنع الموت عن أخيهما.

١١: ٣٣ انزعج يسوع واضطرب لدى رؤيته اكتئاب مريم وأصدقائها. لقد استعرض في فكره، ولا شك، ما خلّفته الخطية في العالم من أحزان وآلام وموت؛ فسبّب له ذلك أسى في داخله.

١١: ٣٤ كان الرب، بالطبع، يعرف أين دُفن لعازر، لكنه طرح سؤاله، لكي يوقظ التوقعات، ويشجع على الإيمان، ويحثّ الإنسان على التعاون معه. وممّا لا يرقى إليه أي شك، أن يكون المفجوعون قد قادوا الرب إلى القبر، بصدق عميق وبرغبة مخلصة.

١١: ٣٥ يُعتبر العدد ٣٥ الأقصر في الكتاب المقدس. وهذه الحادثة هي واحدة بين ثلاث حوادث يذكر لنا فيها العهد الجديد أن يسوع قد **بكى**. (فهو بكى في حزنه على مدينة أورشليم، كما أنه بكى أيضًا في بستان جثسيماني). وبكاء يسوع يشكّل خير برهان على ناسوته الحقيقي. لقد ذرف دموعًا حقيقية من شدة حزنه تجاه نتائج الخطية المروّعة على الجنس البشري. وكون يسوع قد بكى أمام الموت، يُظهر أنه ليس بالأمر غير اللائق أن يبكي المسيحيون المؤمنون عندما يؤخذ أحباؤهم عنهم. إلاّ أنه يجدر المسيحيين ألاّ يحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم.

١١: ٣٦ رأى **اليهود** في دموع ابن الإنسان برهانًا على محبته للعازر. وبالطبع، كانوا على حق في ذلك. إلاّ أنه كان يكّن لهم هم أيضًا، أعمق مشاعر المحبة وأصدقها، وقد فات العديد منهم أن يدركوا ذلك.

١١: ٣٧ عاد حضور الرب يسوع يسبب تساؤلات بين أوساط الشعب. فبعضهم ميّزوا أنه كان هو نفسه الذي وهب الرجل **الأعمى** البصر. لذا استهجنوا عجزه المُفترض عن جعل **لعازر أيضًا لا يموت**. لقد كان الرب، بالطبع، قادرًا على ذلك، لكنه آثر القيام بمعجزة أروع، كفيلة بتوليد رجاء أعظم في نفوس المؤمنين.

و. الآية السابعة: إقامة لعازر من الموت (١١: ٣٨-٤٤)

١١: ٣٨ يبدو أن قبر لعازر كان بمثابة مغارة تحت الأرض، يمكن النزول إليه بواسطة سلّم أو درج. وكان قد وُضع حجر على فوهة هذه المغارة. لذا كان هذا القبر مختلفًا عن قبر الرب يسوع الذي كان محفورًا في صخر، ممّا يمكّن العابر في المكان من دخوله من دون الحاجة إلى صعود أو نزول.

١١: ٣٩ أمر الرب يسوع المحتشدين برفع الحجر عن فوهة القبر. كان بوسعه أن يفعل ذلك بنفسه، بمجرّد تفوّهه بكلمة واحدة. إلاّ أن الله لا يفعل عادة للناس ما باستطاعتهم فعله بأنفسهم.

عبّرت مرثا عن ذعرها لدى فكرة فتح القبر. لقد أدركت أن جثة أخيها كان قد صار لها أربعة أيام في القبر، وخافت أن تكون قد بدأت الانحلال. إلى ذلك، لم تكن قد بُذلت، حسب الظاهر، أية محاولة لتكفين جسد لعازر. لذا، كان دفنه قد حصل في اليوم نفسه لموته، كما درجت العادة آنذاك. ومن جهة أخرى، ثمة أهمية بالغة لحقيقة بقاء لعازر أربعة أيام في القبر. فهذا ينفي كل احتمال لاعتبار أنه كان نائمًا أو غارقًا في غيبوبة. فاليهود جميعهم عرفوا أنه كان ميتًا. لذا، لم يعد بالإمكان تفسير قيامته إلاّ على أساس حصول معجزة عظيمة.

١١: ٤٠ لا نعرف تمامًا متى نطق الرب يسوع بكلمات العدد ٤٠. سبق له في العدد ٢٣ أن أخبر مرثا بأن أخاها سيقوم. وهو الآن عاد، ولا شك، يذكر لها فحوى كلماته لها قبلاً. ولنلاحظ الترتيب التسلسلي في هذا العدد: «آمنتِ ... تريْنَ». وكأن الرب أراد أن يقول: "إن كنت فقط تؤمنين، فيتسنى لك رؤيتي وأنا أصنع معجزةً باستطاعة الله وحده القيام بها. سترين مجد الله مُعلَنًا فيّ. لكنك تحتاجين أولاً إلى أن تؤمني، ومن ثم سترين هذا المجد".

١١: ٤١ من ثم، تمّ رفع الحجر عن القبر. وقبل أن يصنع يسوع معجزته، شكر أباه لأنه سمع صلاته. إنها الصلاة الأولى التي ورد نصّها في هذا الأصحاح. لكن الرب كان، ولا شك، يكلّم أباه بشكل متواصل، طيلة هذه الفترة، سائلاً أن تؤول قيامة لعازر إلى تمجيد اسم الله. وها هو الآن يشكر الآب مسبّقًا على هذا الحدث.

١١: ٤٢ رفع يسوع صلاته بصوت عالٍ حتى يتسنى للجمع أن يؤمنوا بأن الآب كان قد أرسله، وهو الذي يقوده إلى كل ما يفعل أو يقول، وذلك بالاعتماد الكامل عليه. إذًا، هنا يطالعنا من جديد هذا التركيز على الوحدة الأساسية والجوهرية القائمة بين الله الآب والرب يسوع المسيح.

١١: ٤٣ نحن هنا أمام أحد الأمثلة النادرة في العهد الجديد حيث ذُكر عن الرب يسوع أنه صرخ بصوت عالٍ. وقد ألمح بعضهم إلى أن جميع الموتى في القبور كانوا سيقومون، لو لم يذكر المسيح لعازر باسمه.

١١: ٤٤ كيف خرج لعازر من القبر؟ رأى بعضهم أنه خرج وهو يعرج، فيما اعتبر آخرون أنه زحف على يديه وركبتيه. كما أن هناك فئة أشاروا إلى الأكفان التي كانت تلفّ جسده بإحكام، الأمر الذي حال دون تمكّنه من الخروج من القبر بقوته الذاتية. لذا جاؤوا يقترحون أن جسده انطلق من القبر، عبر الهواء، حتى لامست رجلاه الأرض أمام الرب يسوع. ومن جهة أخرى، لنا في وجهه الملفوف بمنديل، برهان إضافي على أنه كان ميتًا فعلاً. ذلك لأنه كان من المستحيل على

أي كان أن يعيش أربعة أيام **ووجهه ملفوف بمنديل**. ثم عاد الرب يتعاون من جديد مع الشعب عندما أمرهم بضرورة أن **يحلّوا** لعازر لكي **يذهب**. فالمسيح يقدر وحده أن يقيم الموتى، لكنه يوكل إلينا مهمة رفع حجارة المعاثر، وحلّ أربطة العصبية والخرافات.

ز. *يهود مؤمنون وغير مؤمنين* (١١: ٤٥-٥٧)

١١: ٤٥، ٤٦ جاءت هذه المعجزة لتؤكد **للكثيرين** من الحاضرين في المكان، وبما لا يرقى إليه أدنى شك، حقيقة لاهوت الرب يسوع المسيح، حتى إنهم **آمنوا به**. فمن غير الله كان باستطاعته أن يقيم من القبر جسدًا قد مضى أربعة أيام على موته؟

لكن تأثير المعجزة في حياة الفرد، يتوقف على حالته الأدبية. فالقلب الشرير، والعاصي، وغير المؤمن، لن يصدّق، حتى لو رأى أحدهم يقوم من بين الأموات. وهكذا كان الحال هنا. فإن **قومًا** من اليهود الذين شهدوا هذه المعجزة، أصرّوا على رفضهم قبول الرب يسوع بوصفه المسيّا، وذلك على الرغم من هذا البرهان القاطع. لذا **مضوا إلى الفريسيين** لإطلاعهم على ماجريات الأحداث في بيت عنيا. هل كانوا بذلك يقصدون دعوتهم إلى المجيء إلى يسوع والإيمان به؟ كلا، لأنهم أرادوا، على الأرجح، الزيادة من حدة نقمة الفريسيين على الرب، والسعي لقتله.

١١: ٤٧ عندئذ جمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعًا رسميًا لبحث الخطوات التي يجب اتّخاذها. والسؤال «**ماذا نصنع؟**» يعني "كيف سنتدبّر هذا الأمر؟ ولماذا نتباطأ في التحرك؟ **فهذا الإنسان** يصنع معجزات كثيرة، ونحن بدورنا لا نعمل أي شيء لوضع حدّ لنشاطه".

لقد تفوّه القادة اليهود بهذه الكلمات لإدانة أنفسهم. فهم اعترفوا بأن الرب يسوع كان يعمل **آيات كثيرة**. فلمَ إذًا لم يؤمنوا به؟ لم يريدوا أن يؤمنوا، وذلك بسبب تفضيلهم خطاياهم على المخلّص.

أجاد رايل *Ryle* عندما كتب:

> انه لإقرار رائع. فحتى ألدّ أعداء ربنا اعترفوا بأن ربنا صنع معجزات، بل معجزات كثيرة. وهل نشكّك في رغبتهم، لو أمكن، في نكران صحة هذه المعجزات. لكنهم، على ما يبدو، لم يحاولوا ذلك. فهذه المعجزات جاءت كثيرة جدًّا، وعلنية جدًّا، ومشهودًا لها جدًّا، حتى إنهم لم يتجرأوا على إنكارها. فكيف، في ضوء هذه الحقيقة، ما يزال بوسع المشكّكين وغير المؤمنين، أن يتحدثوا عن معجزات الرب بصفتها أضاليل وأوهامًا؟ فإنهم يعملون حسنًا إن تمكنوا من تفسير ذلك. فإذا كان الفريسيون الذين عاشوا في زمن الرب، والذين أقاموا الدنيا وأقعدوها لمقاومة تقدّمه، لم يتجرأوا قط أن يشككوا في حقيقة أنه قد صنع معجزات، فإنّه لمن السخافة أن نبدأ اليوم، وبعد انقضاء أكثر من ثمانية عشر قرنًا (في زمن الكاتب) على تجسد المسيح، بإنكار صحة هذه المعجزات.

١١: ٤٨ شعر القادة بأنه لم يعد بوسعهم أن يلازموا صمتهم. فإذا لم يتدخّلوا بشكل سريع، سيقتنع الناس بمعجزات يسوع. وإذا ما قام الجمع بتنصيب يسوع ملكًا عليهم، يؤدي ذلك إلى تأزّم العلاقات بروما. فالرومان سيظنون أن يسوع قد جاء لقلب نظام إمبراطوريتهم، الأمر الذي يوجب عليهم التحرّك لمعاقبة اليهود. كما أن العبارة «**يأخذون موضعنا وأمّتنا**»، تعني

أن الرومان سوف يدمّرون الهيكل، ويشتتون الشعب اليهودي. وهذا ما حصل فعلاً في العام ٧٠م، لا لأن اليهود قبلوا الرب، بل بالحري لأنهم رفضوه.

علّق ف. ب. ماير *F.B. Meyer* على هذا، بشكل رائع:

> المسيحية تعرّض المصالح للخطر، وتقوّض التجارات الفاسدة مع كونها رابحة، وتُفقد هياكل الشيطان زُبنَها، وتهاجم الأغراض الشخصية، وتقلب العالم رأسًا على عقب. إنها متعبة، ومزعجة، ومخسّرة للمكاسب.

١١: ٤٩، ٥٠ كان **قيافا رئيس كهنة** خلال الفترة الممتدة بين العامين ٢٦، ٣٦م. فهو الذي كان قد ترأس محاكمة الرب الدينية، كما أنه كان حاضرًا عندما دُعي بطرس ويوحنا إلى المثول أمام السنهدريم في أعمال ٤: ٦. ولم يكن مؤمنًا بالرب يسوع، وذلك على الرغم من الكلمات التي نطق بها هنا.

فبحسب قيافا، كان رؤساء الكهنة والفريسيون على خطإ في ظنهم بأن اليهود سيموتون بسبب يسوع. لقد تنبّأ بالحري بأن يسوع هو الذي سيموت لأجل الأمّة. كما اعتبر أنه من الأفضل أن **يموت** يسوع **عن الأمّة**، على أن تتورّط **الأمة كلّها** في مشاكل مع الرومان. فقيافا بدا هنا كأنه أدرك تمامًا السبب الكامن وراء مجيء يسوع إلى العالم. ونكاد نصدّق أنه قد قبل يسوع بصفته البديل عن الخطاة، هذه العقيدة الجوهرية في إيماننا المسيحي. لكن، للأسف، لم يكن هذا هو الحال. فإن ما صرّح به كان صحيحًا، لكنه لم يؤمن، هو شخصيًا، بيسوع لخلاص نفسه.

١١: ٥١، ٥٢ هنا نفهم السبب وراء الكلام الذي تفوّه به قيافا. فهو لم **يتكلم من نفسه**، بمعنى أنه لم يستنبط، هو شخصيًا، هذه الأمور. كما أنه لم يتفوّه بها من إرادته الذاتية. لكن الله بالحري هو الذي أعطاه أن ينطق بهذه الرسالة، وكانت تحمل معاني أعمق ممّا قصده هو. كان ذلك بمثابة نبوة إلهية بأن **يسوع مزمع أن يموت عن الأمّة**. وقد أعطيت هذه النبوة لقيافا بما أنه كان **رئيس كهنة في تلك السنة**. وبذلك يكون الله قد نطق بواسطته، بحكم مهمته الدينية، وليس على أساس أي برّ شخصي لديه، بما أنه كان رجلاً خاطئًا.

لم يتنبأ قيافا بأن الرب سيموت عن أمة إسرائيل **فقط، بل ليجمع إلى** (كيان) **واحد** جميع مختاريه المنتشرين بين أمم الأرض. فبعضهم يرون أن قيافا كان يشير هنا إلى الشعب اليهودي المشتّت في كل أنحاء الأرض. لكن يغلب الظن أنه كان يقصد الأمم الذين سيؤمنون بالمسيح من خلال الكرازة بالإنجيل.

١١: ٥٣، ٥٤ لم يقتنع الفريسيون بالمعجزة التي حصلت في بيت عنيا. بل إن عداوتهم لابن الله ازدادت حدّة بالحري. **فمن ذلك اليوم، تشاوروا لقتله**.

وعى يسوع زيادة مقاومة اليهود له، لذا مضى إلى **مدينة يُقال لها أفرايم**. وفي أيامنا، لا نعرف عن موقع هذه المدينة سوى أنه كان في مكان هادئ ومنعزل، **على مقربة من البرية**.

١١: ٥٥ يذكّرنا نبأ **اقتراب فصح اليهود** بأن خدمة الرب الجهارية كانت قد أوشكت على الانتهاء. كان سيُصلب خلال هذا الفصح نفسه. وكان لزامًا على الشعب أن **يصعدوا إلى أورشليم قبل الفصح ليطهروا أنفسهم**. ففي حال مسّ أحد اليهود جثة ما، كان عليه

أن يمارس بعض الطقوس لتطهير يتمّ بواسطة أشكال متنوعة من الغسل والتقدمات. لكن المؤسف في الأمر أن الشعب اليهودي كان بذلك يسعى لتطهير نفسه، ويخطّط لموت حمل الفصح، في آن. فيا لفظاعة فساد القلب البشري، كما تظهر بوضوح هنا!

١١: ٥٦، ٥٧ راح الشعب المحتشدون **في الهيكل**، يتباحثون حول صانع المعجزات في بلادهم، والمسمّى **يسوع، هل يصعد إلى العيد** أم لا. ويقدّم لنا العدد ٥٧ السبب الذي جعل بعضهم يجيبون عن هذا السؤال بالنفي.

كان **رؤساء الكهنة والفريسيون** قد أصدروا أوامر رسمية بضرورة اعتقال يسوع. كان على كل شخص يعرف أي شيء عن تحركاته أن يُعلم السلطات بذلك **لكي يمسكوه** ويقتلوه.

٧ـ ابن الله في خدمته لخاصته (اص١٢- ١٧)

أ. مسح يسوع بالطيب في بيت عنيا (١٢: ١ ـ ٨)

١٢: ١ كان ذلك المنزل في بيت عنيا من الأمكنة المحبّبة إلى قلب **يسوع**. فهناك كان يستمتع بالشركة الطيّبة مع **لعازر** ومريم ومرثا. وفي مجيئه إلى بيت عنيا في هذا الوقت، كان من الزاوية البشرية، يعرّض نفسه للخطر، بما أن أورشليم القريبة من بيت عنيا، كانت مقرًّا لجميع القوى المحشودة ضدّه.

١٢: ٢ كان عدد مقاومي يسوع كبيرًا جدًّا، إلاّ أنه كان ما يزال هناك بعض القلوب النابضة بالوفاء له. **كانت مرثا تخدم، وأمّا لعازر فكان أحد المتكئين** مع الرب. والكتاب المقدس لا يذكر لنا أي شيء عمّا كان لعازر قد سمعه أو رآه منذ موته إلى حين قيامته. وربما كان الله قد منعه من الإفصاح عن معلومات كهذه.

١٢: ٣ تدوّن لنا الأناجيل عدة حوادث جرى خلالها مسح الرب يسوع بالطيب على يد امرأة. والجدير بالذكر أن ما من حادثتين من جملة هذه الحوادث، قد جاءتا متشابهتين تمامًا. إلاّ أن هذه الحادثة غالبًا ما تُعتبر أنها موازية لتلك المذكورة في مرقس ١٤: ٣ـ٩. فمريم في وفائها للمسيح، أخذت هذا **المنّ من طيب ناردين خالص كثير الثمن**، ودهنت رجليه. وكأنها أرادت بذلك التعبير عن أن ما من شيء أثمن وأغلى من أن يُقدَّم ليسوع. فهو يستحق كل ما عندنا، مع كل ما نحن عليه.

وفي كل مرة نلتقي مريم، نجدها عند قدمي يسوع. فهي هنا **تمسح قدميه بشعرها**. وبما أن شعر المرأة هو مجدها، إذًا يبدو كأنها أرادت هنا طرح مجدها عند قدميه. ولا نحتاج لأن نقول إن مريم نفسها حملت شذا هذا الطيب، لبعض الوقت، بعد ذلك. وهكذا هو الحال مع عابدي الرب يسوع، فهم أيضًا يحملون شيئًا من شذا تلك اللحظات. فما من بيت يمتلئ رائحة طيّبة، كالبيت الذي فيه يأخذ يسوع مركزه اللائق به.

١٢: ٤، ٥ هنا، نرى الجسد، بمعنى الطبيعة البشرية الساقطة، يتدخل في هذه المناسبة المميّزة والعابقة بالقداسة. ذلك لأن **واحدًا من تلاميذ** الرب، والذي كان مزمعًا أن **يسلّمه** لم يحتمل مشهد استخدام الطيب بهذا الشكل.

إن قيمة يسوع، لم تكن في نظر يهوذا، تساوي ثلاث مائة دينار. لقد شعر بأنه كان يجب بيع هذا الطيب، بغية **إعطائه للفقراء**. غير أن كل ذلك كان من قبيل المراءاة، ليس إلاّ. فاهتمامه بالفقراء لم يكن ليفوق اهتمامه بالرب. كما أنه كان على وشك تسليم الرب،

ليس بثلاث مائه دينار، بل مقابل عُشر هذا المبلغ فقط. وقد علّق رايل *Ryle* على هذا بالقول:

> أن يتمكن أحدهم من الظهور بمظهر تلميذ للمسيح، وهكذا يتبعه على مدى ثلاث سنوات، ويعاين كل عجائبه، ويُصغي إلى كل تعليمه، ويحصل من يده المباركة على ألطاف بشكل متكرر، ويُحسب رسولاً؛ ومع هذا يظهر، في نهاية المطاف، أنه صاحب قلب فاسد، هذا كله، قد يبدو، أول وهلة، أنه أمر لا يُصدَّق، بل ضرب من المستحيل. غير أن قضية يهوذا، تظهر بشكل واضح، احتمال حصول هذا الأمر. فما أقل استيعابنا لمدى فظاعة سقوط الإنسان!

١٢: ٦ سارع يوحنا إلى القول إن يهوذا لم ينطق بهذه الكلمات بدافع محبة حقيقية كانت لديه من نحو **الفقراء**، بل لأنه كان سارقًا وجشعًا. **فصندوق المال كان في حوزة يهوذا، وكان يحمل ما يُلقى فيه.**

١٢: ٧ أجابه الرب بما معناه: "لا تمنعها من فعل هذا. **فهي حفظت هذا الطيب ليوم تكفيني.** فقد أرادت الآن سكبه عليّ، كفعل محبة وعبادة. لذا، ينبغي السماح لها بالقيام بذلك".

١٢: ٨ لن يأتي وقت فيه ينتفي من الأرض الفقراء الذين باستطاعة الناس أن يعاملوهم بلطف. لكن خدمة الرب على الأرض كانت قد أوشكت على الانتهاء. والفرصة لن تبقى سانحة كل حين لمريم لسكب هذا الطيب على يسوع. وهذا يجب أن يذكّرنا باحتمال فوات الفرص الروحية. لذا، نحتاج ألاّ نتوانى قط عن فعل ما باستطاعتنا فعله لأجل المخلّص.

ب. *المؤامرة على لعازر* (١٢: ٩-١١)

١٢: ٩ شاع بسرعة خبر اقتراب يسوع من أورشليم. ذلك لأنه لم يعد ممكنًا حضوره إلى أي مكان سرًّا. لذا جاء **جمع كثير من اليهود** إلى بيت عنيا لرؤية يسوع، فيما أقبل إليها آخرون **لينظروا لعازر الذي أقامه من الأموات.**

١٢: ١٠، ١١ يرسم لنا العدد العاشر، من جديد، ما في داخل قلب الإنسان من حقد مجنون: **فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضًا.** قد يتخيّل أحدنا أنه كان قد اقترف خيانة عظمى، بسبب قيامته من الموت. فهو لم يكن لديه أي سلطان على هذا الأمر، لكنهم اعتبروه مع هذا، مستحقًا الموت.

فبسبب لعازر، كان كثيرون من اليهود... يؤمنون بيسوع. لذا، بات لعازر عدوًا "للنظام" اليهودي، الأمر الذي يستوجب التخلّص منه. فالذين يأتون بآخرين إلى الرب، هم دائمًا محطّ اضطهاد عنيف قد يبلغ حدّ الاستشهاد أحيانًا.

رأى بعض الدارسين أنه بما أن رؤساء الكهنة كانوا من الصدوقيين الذين ينكرون أمر القيامة، فقد أرادوا التخلّص من هذا البرهان القاطع للقيامة بقتلهم لعازر.

ج. *الدخول المظفّر* (١٢: ١٢-١٩)

١٢: ١٢، ١٣ والآن نأتي إلى دخول **يسوع** المظفر إلى **أورشليم.** وقد حصل ذلك يوم الأحد الذي سبق صلبه.

من الصعب معرفة ما كان عليه رأي هذا **الجمع** في يسوع. فهل أدركوا حقًا أنه كان ابن الله، والمسيّا المنتظر في إسرائيل؟ أم هل نظروا إليه كمجرّد ملك مزمع أن ينقذهم من السيطرة الرومانية؟ أم لعلهم كانوا محمولين

بنشوة تلك الساعة التاريخية؟ كان بعضهم، ولا شك، مؤمنين حقيقيين، غير أن الانطباع العام هو أنه لم يكن لدى غالبية هؤلاء القوم أي اهتمام قلبي بالرب.

ترمز **سعوف النخل** إلى الراحة والسلام بعد الحزن والأسى (رؤ٧: ٩). كما أن العبارة «**أوصنا**» تعني "خلّص الآن... نحن نتوسّل إليك!" وإذا ما جعلنا هاتين الفكرتين معًا، يبدو لنا كأن الشعب كان يعترف بيسوع أنّه المرسَل من الله لإنقاذه من القساوة الرومانية، ولمنحهم الراحة والسلام بعد حزن كابدوه على مدى سنين طويلة من جراء سيطرة الأمم عليهم.

١٢: ١٤، ١٥ دخل يسوع المدينة على **ظهر جحش**؛ وكان ذلك من أساليب النقل المألوفة. وفوق هذا، كان الرب، في الواقع، يتمم نبوّة تختص به.

هذا الاقتباس مأخوذ من زكريا ٩: ٩. فالنبي كان قد تنبأ هناك بأن الملك السماوي متى جاء إلى إسرائيل، فإنه سيأتي جالسًا على جحش أتان. كما أن ابنة **صهيون** هي صورة بيانية للأمة اليهودية، بما أن **صهيون** هي تلة في مدينة أورشليم.

١٢: ١٦ لم يدرك التلاميذ أن ما حصل كان بمثابة تتميم حرفي لنبوة ذكريا، وأن يسوع كان، في الواقع، يدخل أورشليم بصفته الملك الشرعيّ على الأمّة. **ولكن**، بعد عودة الرب إلى السماء، حيث **تمجّد** عن يمين الآب، تذكّر تلاميذه أن هذه الأحداث حصلت تتميمًا للأسفار المقدسة.

١٢: ١٧، ١٨ كان بين الجمع الذين شاهدوا دخول يسوع إلى أورشليم بعض القوم الذين كانوا قد رأوه يقيم **لعازر من بين الأموات**. فهؤلاء أخبروا الآخرين أن الشخص الراكب على الجحش، كان هو نفسه الذي ردّ الحياة إلى لعازر. ومع انتشار نبأ حصول هذه **الآية** المجيدة، خرج حشد كبير من الناس لملاقاة يسوع. لكن دافعهم كان، للأسف، الفضولية أكثر منه الإيمان الحق.

١٢: ١٩ إذ تزايد اهتمام الجمع بيسوع، ونما جدًّا، اغتاظ **الفريسيون** كثيرًا من جراء ذلك. فكل ما قالوه، أو فعلوه، لم يسفر عنه أية نتائج. وهكذا عبّروا عن استيائهم العارم هذا، بشكل مبالغ فيه، بقولهم إن **العالم** بأسره **قد ذهب** وراء يسوع. لقد فاتهم أن يدركوا أن اهتمام الشعب بيسوع لم يكن إلاّ أمرًا عابرًا، وأن الذين كانوا على استعداد لعبادة الرب يسوع بصفته ابن الله، كانوا مجرّد قلة قليلة.

د. *بعض اليونانيين يرغبون في رؤية يسوع* (١٢: ٢٠-٢٦)

١٢: ٢٠ إن اليونانيين الذين جاؤوا إلى يسوع كانوا من الأمم المهتدين إلى اليهودية. وكونهم قد **صعدوا ليسجدوا في العيد** يعني أنهم لم يعودوا يحفظون ممارسات أسلافهم الدينية. كما أن مجيئهم إلى الرب في هذه المناسبة يصوّر حقيقة أنه متى رفض اليهود الرب يسوع، فإن الأمم سيسمعون الإنجيل، ويؤمن به العديد منهم.

١٢: ٢١ لم يفصح الكتاب عن السبب في مجيئهم إلى **فيلبس**. ربما كان اسمه اليوناني وتحدّره من **بيت صيدا الجليل** هما اللذين استمالا إليه هؤلاء الدخلاء الأمميين. لقد كان طلبهم جليلاً حقًّا: «**يا سيد نريد أن نرى يسوع**». وما من شخص، يراعي هذه الأشواق الصادقة في قلبه، يمكن أن يُردّ خائبًا.

١٢ : ٢٢ لعل فيلبس لم يكن متأكدًا من رغبة الرب في مقابلة هؤلاء اليونانيين. فالمسيح سبق له أن دعا تلاميذه إلى عدم تبشير أهل الأمم. لذا، أتى **فيلبس** إلى **أندراوس، ثم نقلا الخبر معًا إلى يسوع**.

١٢ : ٢٣ لماذا أراد هؤلاء اليونانيون رؤية يسوع؟ إن كنّا نقرأ بين السطور، فقد نستنتج أن حكمة يسوع كانت قد استمالتهم، حتى إنهم أرادوا ترفيعه بجعله فيلسوفهم القوميّ. كذلك عرفوا أنه لم يكن على اتفاق مع القادة اليهود، وهكذا سعوا لتخليص حياته، ربما بدعوته إلى الذهاب إلى اليونان. كان شعارهم: "حافظ على حياتك"، فجاء يسوع يعلّمهم بأن فلسفتهم هذه كانت تناقض تمامًا قانون الحصاد. فهو **سيتمجّد** من طريق موته كذبيحة، وليس بالعيش في حياة هانئة ومريحة.

١٢ : ٢٤ لا تستطيع البذور أن تنتج ثمرًا ما لم **تقع أولاً في الأرض وتمُت**. فالرب يسوع أشار إلى نفسه هنا بصفته **حبة حنطة**. فلو لم يمت، لبقي وحده، ولاستمتع بأمجاد السماء وحده أيضًا، بسبب خلوّ هذا المكان إذ ذاك من الخطاة المخلّصين والمؤهّلين لمشاركته في مجده. لكنه إن مات، فسيُعِدّ بذلك طريقًا للخلاص باستطاعة الكثيرين سلوكها لاختيار هذا الخلاص.

وهذا الأمر عينه ينطبق علينا نحن أيضًا، كما يقول ت. ج. راجلاند *T.G. Ragland*:

> إن كنّا نرفض أن نكون حبوب حنطة مستعدة أن تقع في الأرض وتموت؛ وإن كنّا لا نضحي بالطموحات، ولا نخاطر بسمعتنا وممتلكاتنا وصحتنا، وإن كنّا - عندما يدعونا الرب لذلك - لا نتخلّى عن بيوتنا، ونقطع، لأجل المسيح، الرُبط التي تشدّنا إلى عائلاتنا؛ فعندئذٍ سنبقي وحدنا. لكن، إن أردنا أن نكون مثمرين، فإنه يلزمنا اتّباع ربنا المبارك نفسه، بصيرورتنا حبة حنطة، وبموتنا؛ عندئذٍ، سنأتي بثمر كثير.

١٢ : ٢٥ في ظن الكثيرين من الناس أن الطعام واللباس والملذات هي الأمور الهامة في الحياة. لذا يعيشون لأجل هذه الأمور. لكنهم، إذا يحبون حيواتهم بهذا الشكل، يفوتهم إدراك تقدّم النفس على الجسد في الأهمية. وهكذا بإهمالهم ما هو لخير نفوسهم، يخسرون حيواتهم. وبالمقابل، ثمة أولئك الذين يحسبون كل شيء نفاية لأجل المسيح؛ وفي سبيل خدمته، هم على استعداد للتنازل عن أمور ثمينة جدًّا في نظر الناس. هؤلاء هم القوم الذين **يحفظون** نفوسهم إلى **حياة أبدية**. كما أن الشخص الذي يبغض نفسه هو الذي يحب المسيح أكثر من مصالحة الشخصية.

١٢ : ٢٦ من أراد أن يخدم المسيح، ينبغي له أن **يتبعه**. فالرب يطلب من خدامه أن يطيعوا تعاليمه، وأن يشابهوه من الناحية الأدبية. كما يتعيّن عليهم الاقتداء به في إماتة أنفسهم. ومن جهة أخرى، جميع خدام الرب موعودون بحضور الرب الدائم معهم وبحمايته لهم، في هذه الحياة الحاضرة، كما في الأبدية أيضًا. كما أن خدمة اليوم سيكافئنا عليها الرب في ما بعد. ومهما عانى أحدنا هنا من عار وإهانة لأجل المسيح، فإن كل ذلك سيكون كلا شيء، بالمقارنة بالمديح العلني الذي سيكون من نصيبنا عند الله الآب في السماء.

هـ. يسوع يواجه موتًا وشيكًا (١٢: ٢٧-٣٦)

١٢: ٢٧ أصبحت أفكار المسيح مركّزة أكثر فأكثر على الأحداث الموضوعة أمامه، والتي ستحصل في القريب العاجل. كان يستعرض في ذهنه الصليب، متأملاً في الوقت الذي فيه سيحمل خطايا البشرية، ويتحمل غضب الله لأجلنا. وعندما فكّر في "ساعة كسر قلبه"، **اضطربت نفسه**. فكيف عساه أن يصلّي في لحظة كهذه؟ فهل يسأل أباه أن ينجيه من هذه **الساعة**؟ لم يستطع أن يصلّي على هذا النحو، لأنه **لأجل هذا** جاء إلى العالم، لكي يذهب إلى الصليب. لقد وُلد لكي يموت.

١٢: ٢٨ لم يطلب الرب أن يتخلّص من الصليب، بل صلّى بالحري لكي يتمجد **اسم** أبيه. لقد كان معنيًّا بتمجيد الله أكثر منه بما يختص براحته الشخصية أو سلامته. والآن تكلم الله من السماء، مصرّحًا بأنه قد **مجّد** اسمه **وسيمجّده أيضًا**. فاسم الله كان قد تمجّد خلال خدمة يسوع على الأرض. فالثلاثون سنة التي قضاها يسوع في الناصرة، والسنوات الثلاث لخدمته الجهارية، وكلماته وأعماله المدهشة، هذه جميعها عملت كثيرًا على تمجيد اسم الآب. إلاّ أن الله كان سيتمجد، بشكل أعظم بعد، في موت المسيح ودفنه وقيامته وصعوده.

١٢: ٢٩ التبست الأمور على بعض الواقفين في المكان، فحسبوا صوت الله رعدًا. قوم كهؤلاء يحاولون دائمًا عرض تفاسير طبيعية للأمور الروحية. ذلك لأن الأشخاص الذين لا يقبلون حقيقة المعجزات، يسعون أبدًا للعثور على ناموس طبيعي ما، يستندون إليه لإنكار حصول هذه المعجزات. أما آخرون، فعرفوا أنّ ما حدث لم يكن رعدًا، ومع هذا لم يتمكنوا من تمييز صوت الله. وعندما أدركوا أن ما حصل يفوق حدود القدرات البشرية، كان كل ما توصّلوا إلى استنتاجه هو أنهم **سمعوا صوت ملاك**. ولا عجب في هذا، لأن صوت الله، لا يمكن أن يسمعه ويفهمه إلاّ الذين يحصلون على معونة خاصة بالروح القدس. فالناس قد يُصغون مرارًا وتكرارًا إلى رسالة الإنجيل، ومع هذا تبقى هذه الرسالة مبهَمة في نظرهم وخالية من أي معنى أو مغزى، ما لم يكن الروح القدس يكلّمهم بواسطتها.

١٢: ٣٠ أوضح الرب لسامعيه أن **هذا الصوت** جاء مسموعًا، ليس لكي يتسنّى له هو تمييزه، بل لأجل الذين كانوا حاضرين في المكان.

١٢: ٣١ «**الآن دينونة هذا العالم**»، هذا هو ما صرّح به الرب. ذلك لأن العالم كان مزمعًا أن يصلب ربّ الحياة والمجد. وبفعله هذا الأمر، سيدين نفسه. وهكذا سيصدر الحكم بحقه، بسبب رفضه المروّع للمسيح. وهذا ما عناه المخلّص هنا. فالدينونة ستكون من نصيب البشرية المذنبة. والجدير بالذكر أن **رئيس هذا العالم** هو الشيطان. ففي الجلجثة، هُزم الشيطان هزيمة نكراء، بكل ما في الكلمة من معنى. لقد ظن أنه نجح في التخلّص من الرب يسوع، مرة وإلى الأبد. غير أن المخلِّص، عوضًا عن ذلك، أعدّ هنالك، سبيلاً لخلاص الناس، كما أنه غلب الشيطان مع جميع أجناده في آن. وهذا الحكم لم يُنفّذ بالشيطان بعد، إلاّ أن مصيره تقرّر، بشكل محتوم. لذا، ما يزال يعمل في هذا العالم على تحقيق مآربه الشريرة. لكن سيأتي الوقت الذي فيه يُطرح في البحيرة المتّقدة بالنار.

١٢: ٣٢ يشير الجزء الأول من هذا العدد إلى موت المسيح على الصليب. ذلك لأنه سُمِّر على صليب خشبي، وهكذا **ارتفع عن الأرض**. وقد صرّح الرب بأنه متى صُلب بهذا الشكل، **يجذب الجميع** إلى شخصه. وهناك عدة تفسيرات لهذا الأمر. فبعضهم يرون أنه عندما يُرفَّع المسيح من خلال الكرازة بالإنجيل، فالرسالة ستأتي قوية جدًّا، وقادرة بالتالي على جذب النفوس إليه. غير أن التفسير الصحيح، على الأرجح، هو أن صلب المسيح قد جعل الناس **جميعهم**، وعلى اختلاف اصنافهم وفئاتهم، ينجذبون إليه. وهذا لا يعني جميع البشر من دون أي استثناء، بل بالحري أناسًا من كلّ أمّة، وشعب، ولسان.

١٢: ٣٣ عندما تكلم يسوع عن ارتفاعه، كان بذلك يقصد نوع **الميتة** التي **كان مزمعًا أن يموت**، أي على الصليب. ويطالعنا هنا مجدَّدًا برهان قاطع على معرفة الرب الكلية. لقد كان يعرف مسبقًا أنه لن يموت في سريره، أو من جراء حادث، بل بالحري مسمَّرًا على صليب.

١٢: ٣٤ إن قول الرب هذا، بشأن مسألة ارتفاعه، حيّر الجمع. لقد كانوا على علم بتصريحه بأنّه المسيّا، لكنهم كانوا يعرفون أيضًا من العهد القديم أن المسيح سوف يحيا إلى الأبد (راجع إشعياء ٩: ٧؛ مزمور ١١٠: ٤؛ دانيآل ٧: ١٤؛ ميخا ٤: ٧). ولنلاحظ أن الجمع اقتبسوا قول المسيح على الشكل التالي: «**ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان**». هذا، مع أنه كان، في الواقع، قد قال: «أنا، إن ارتفعت عن الأرض». وبالطبع، سبق للرب أن اشار إلى نفسه مرارًا كثيرة بصفته ابن الإنسان، ولعله تحدث قبلاً أيضًا عن ارتفاع ابن الإنسان. لذا لم يكن من الصعب على السامعين أن يجمعوا هاتين الفكرتين معًا.

١٢: ٣٥ وعندما سأل الجمع يسوع عن هويّة ابن الإنسان، عاد يحدّثهم مرة أخرى عن نفسه بصفته نور العالم. وهكذا ذكّرهم بأن النور لن يلازمهم إلاّ لفترة وجيزة بعد. من هنا ضرورة أن يُقبلوا إلى النور، ويسلكوا في النور؛ وإلاّ فسريعًا ما **سيدركهم الظلام**، ويتعثّرون في جهلهم.

كان الرب، على ما يبدو، يشبّه نفسه بالشمس، وبما تُقدّمه من نور خلال ساعات النهار. فالشمس تشرق في الصباح، لكي تبلغ الذروة عند الظهيرة، ومن ثم تبدأ في المساء بالنزول والغياب عند الأفق. فهي لا تكون معنا إلاّ ساعات محدودة. لذا ينبغي أن ننتفع منها خلال وجودها هنا، لأنه متى هبط الليل، تكون الفرصة قد فاتتنا. وعلى الصعيد الروحي، فإن الذي يؤمن بالرب يسوع، هو الذي يسير في النور. بينما الذي يرفض هو الذي **يسير في الظلام ولا يعلم إلى أين يذهب**. وذلك لافتقاره إلى القيادة الإلهية، الأمر الذي يجعل خطواته تتعثر خلال سيره في هذه الحياة.

١٢: ٣٦ ومن جديد، عاد الرب يسوع ينبّه سامعيه إلى ضرورة **الإيمان** به **ما دامت** الفرصة سانحة. فبفعلهم هذا، سيصيرون **أبناء النور**، وسيضمنون لأنفسهم القيادة الحكيمة في هذه الحياة وفي الأبدية. ثم بعد أن تفوّه الرب يسوع بهذه الكلمات، **مضى**، واحتجب قليلاً عن الأبصار.

و. معظم اليهود يفوتهم أن يؤمنوا (١٢: ٣٧-٤٣)

١٢: ٣٧ يتوقّف يوحنا قليلاً الآن، للتعبير عن استهجانه لظاهرة **عدم إيمان** الشعب بيسوع، مع أنه كان قد عمل أمامهم **آيات هذا عددها**. إن عدم إيمانهم هذا، لم يأتِ، كما أسلفنا، نتيجة أي نقص في البراهين. فالرب يسوع كان قد قدّم أعظم البراهين الدامغة على ألوهيته، إلاّ أن الشعب لم يريدوا أن يؤمنوا. كانوا يطلبون ملكًا يتسلّط عليهم، لكنهم لم يريدوا أن يتوبوا.

١٢: ٣٨ جاء عدم إيمان اليهود بمثابة تتميم للنبوة في إشعياء ٥٣: ١. والسؤال: «**يا رب من صدّق خبرنا؟**»، يستدعي الجواب عنه "إن عدد هؤلاء ليس كثيرًا". ومن جهة أخرى، فإن **ذراع الرب** تشير إلى قوة الله المقتدرة، ذلك لأن الذراع، بمفهوم الكتاب المقدس، تفيد معنى القدرة أو القوة. فقدرة الله لا تُستعلن إلاّ للذين آمنوا بالخبر المختص بالرب يسوع المسيح. لذا، لم تُستعلن قدرة الله لكثيرين، بما أن الذين قبلوا الخبر عن المسيّا لم يكونوا كثيرين.

١٢: ٣٩ عندما عرض الرب يسوع نفسه على أمّة إسرائيل، رفضوه. لقد ثبتوا على موقفهم السلبي منه، قائلين له "لا"، كلّ المرات المتكررة التي قدّم لهم فيها عطية الخلاص. فكلّما استرسل الناس في رفضهم للإنجيل، بات من الأصعب عليهم قبوله. وعندما يغمّض الناس عيونهم عن النور، فإن الله يصعّب عليهم رؤية النور. كما أنه يضربهم بما يُعرف بالعمى القضائي، أي العمى الناتج من انسكاب دينونة الله عليهم بسبب رفضهم ابنه.

١٢: ٤٠ هذا الاقتباس مأخوذ من اشعياء ٦: ٩، ١٠. فالله كان قد **أعمى عيون بني إسرائيل وأغلظ قلوبهم**. وهو تعالى لم يفعل ذلك بادئ ذي بدء، بل بعد أن غمّضوا، هم أولاً، عيونهم، وأغلظوا قلوبهم. وهكذا، برفض بني إسرائيل للمسيّا، عن عمد وبعناد، يكونون بذلك قد حرموا أنفسهم البصر والفهم والاهتداء والشفاء.

١٢: ٤١ ذُكر في الأصحاح السادس من اشعياء أن النبي كان قد رأى **مجد** الله. وقد أوضح يوحنا الآن أنّ ما رآه اشعياء كان، في الواقع **مجد** المسيح، وأنه كان **يتكلم** عن المسيح. لذا، فإن هذه الآية تشكّل حلقة هامة أخرى ضمن سلسلة البراهين التي تؤكد أن يسوع المسيح هو الله.

١٢: ٤٢ تأكد كثيرون من **حكام** اليهود، واقتنعوا بأن يسوع كان المسيّا. إلاّ أنهم لم يتجرأوا على إطلاع الآخرين على قناعتهم هذه، لئلا يصدر بحقهم الحرمان الديني. كنا نودّ أن نعتبر هؤلاء الرجال من المؤمنين الحقيقيين بالرب يسوع، غير أن هذا الأمر مشكوك فيه. ذلك لأن الإيمان بالحق يرافقه اعتراف بالمسيح، عاجلاً أو آجلاً. وعندما يقوم أحدنا حقًّا بقبول المسيح مخلّصًا، لا يعود يتردّد البتة في المجاهرة بهذا الأمر، بغضّ النظر عن العواقب.

١٢: ٤٣ لقد اتّضح أن هؤلاء الرجال كانوا معنيّين **بمجد الناس** أكثر منهم **بمجد الله**. كان كسب رضى الناس يُشغلهم أكثر من رضى الله. وهل باستطاعة شخص كهذا أن يكون مؤمنًا حقيقيًا بالمسيح؟ راجع يوحنا ٥: ٤٤ للحصول على الجواب.

ز. خطر عدم الإيمان (١٢: ٤٤-٥٠)

١٢ : ٤٤ بإمكاننا إعادة صياغة العدد ٤٤ على النحو التالي: "إن من يؤمن بي ليس، في الواقع، يؤمن بي وحدي، بل أيضًا بأبي الذي أرسلني". وهنا أيضًا، علّم الرب مجدَّدًا عن وحدته المطلقة مع الله الآب. لقد كان من المستحيل الإيمان بأحدهما من دون الإيمان بالآخر أيضًا. فالإيمان بالمسيح يعني الإيمان بالله الآب. لذا لا يستطيع أحد أن يؤمن بالأب، ما لم يُكرم الابن بالمقدار نفسه.

١٢ : ٤٥ لا يستطيع أحد، بمعنى من المعاني، أن يرى الله الآب. ذلك لأنه روح، وبالتالي غير منظور. لكن الرب يسوع جاء إلى العالم ليعرّفنا بهوية الله. ونحن لا نقصد أنه سيعرّفنا بالله من الزاوية المادية، بل بالحري من الزاوية الأدبية. فهو أعلن لنا طبيعة الله وسجاياه. إذًا، كل من رأى المسيح يكون قد رأى الله الآب أيضًا.

١٢ : ٤٦ كانت صورة النور المجازيّة، على ما يبدو، من الصُوَر البيانية المفضّلة عند ربنا. لقد عاد هنا من جديد يشير إلى نفسه بصفته النور الذي جاء إلى العالم، حتى أن الذي يؤمن به لا يمكث في الظلمة. فالناس من دون المسيح، يتخبطون في ظلمة دامسة. ذلك لأنهم لا يملكون المفهوم الصحيح للحياة، أو للموت، أو للأبدية. أمّا الذين جاؤوا إلى المسيح بالإيمان، فلا يعودون يبحثون عن الحق، بما أنهم وجدوا الحق في شخصه المجيد.

١٢ : ٤٧ لم يكن الهدف من مجيء المسيح أوّل مرّة هو ليدين العالم، بل ليخلصه. فإنه لم يجلس على كرسيّ القضاء ليدين أولئك الذين رفضوا الإصغاء إلى كلامه أو الإيمان به. إنما هذا لا يعني أنه لن يدين، في يوم لاحق، غير المؤمنين هؤلاء؛ غير أن الدينونة ما كانت الهدف من مجيئه الأول.

١٢ : ٤٨ الآن، يتطلع الرب قُدمًا إلى يوم آتٍ، فيه سيمثل الذين رفضوا كلامه أمام كرسي القضاء الإلهي. وفي ذلك الوقت، ستكون كلمات الرب يسوع، أو تعاليمه، كافيه لإدانتهم.

١٢ : ٤٩ إن ما علّمه المسيح لم يكن أمورًا ابتكرها هو بنفسه، أو تعلّمها في مدارس البشر. بل إنّه، من حيث أنه الخادم والابن الذي عاش مطيعًا للآب، لم يتفوه إلاّ بتلك الأمور التي كان الآب قد كلّفه التكلّم بها. وهذه هي الحقيقية التي على أساسها سيُدان الناس في اليوم الأخير. فالكلمة التي نطق بها يسوع، كانت كلمة الله، لكن الناس رفضوا الإصغاء إليها. كما أن الآب لم يبلّغه ما يجب أن يقوله وحسب، بل أيضًا ما ينبغي له أن يتكلم به أيضًا. وثمة فارق بين الأمرين. ذلك لأن العبارة الأولى «ماذا أقول»، تشير إلى مضمون الرسالة، بينما العبارة الثانية «بماذا أتكلّم» تشير إلى الكلمات عينها التي كان على الرب استخدامها في تعليمه حق الله.

١٢ : ٥٠ عرف يسوع أن الآب كان قد كلّفه إعطاء حياة أبدية للذين يؤمنون به. لذا سلّم المسيح الرسالة كما أعطاه إياها الآب.

وصلنا الآن إلى تغيّر ملحوظ في سياق السرد. فالرب، حتى هذا الحدّ، كان قد قدّم نفسه إلى الأمّة العاصية. وقد أورد لنا نصّ هذا الإنجيل سبع آيات، أو معجزات مميّزة، توضح لنا كل واحدة منها اختبارًا يحصل عندما يضع الخاطئ إيمانه في المسيح. وهذه

الآيات هي:

١ـ تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل (٢: ١-١٢). وهذه الآية تصوّر قدرة المسيح على تغيير الإنسان الخاطي الذي لا يعرف الفرح الإلهي.

٢ـ شفاء ابن خادم الملك (٤: ٤٦-٥٤). وهذه الآية تصوّر الخاطي كإنسان مريض وفي حاجة إلى صحة روحية.

٣ـ شفاء مُقعَد بركة بيت حسدا (أص٥). إن الخاطي المسكين لا يملك أية قوة، بل هو ضعيف وعاجز عن فعل أي شيء لمعالجة حالته. ويسوع هو الذي يشفيه من ضعفه.

٤ـ إشباع الخمسة آلاف (أص٦). يفتقر الإنسان الخاطئ إلى الطعام، وهو جائع وفي حاجة إلى من يمدّه بالقوة. والرب هو الذي يزوّده بالطعام لنفسه حتى لا يعود يحتاج أن يجوع بعد.

٥ـ تهدئة بحر الجليل (٦: ١٦-٢١). هنا يُرى الخاطئ في مكان خطر، والرب ينقذه من العاصفة.

٦ـ شفاء رجل مولود أعمى (أص٩). يصوّر هذا الرجل عمى القلب البشري إلى أن تلمسه قدرة المسيح. فالإنسان يبقى عاجزًا عن رؤية حالته الخاطئة، أو كمالات المخلّص إلى أن يحصل على استنارة بالروح القدس.

٧ـ إقامة لعازر من الموت (أص١١). وهذا، بالطبع، يذكّرنا بأن الإنسان الخاطي هو ميت في الذنوب والخطايا، وفي حاجة إلى حياة من فوق.

إن هذه الآيات جميعها تهدف إلى برهان أن يسوع هو المسيح، ابن الله.

ح. *يسوع يغسل أرجل تلاميذه* (١٣: ١-١١)

يبدأ، في الأصحاح الثالث عشر، خطاب يسوع في العلية. فالمسيح لم يعد يسير بين اليهود المعادين له. لكنه اعتزل مع تلاميذه في علّية في أورشليم، لقضاء آخر فترة شركة معهم قبل محاكمته وصلبه. والفقرة الممتدة بين الأصحاحين الثالث عشر والسابع عشر من إنجيل يوحنا، تُعدّ من أكثر النصوص المحببة إلى القلوب في كل العهد الجديد.

١٣: ١ في اليوم الذي سبق حادثة الصلب، **علم يسوع** أنه قد جاء الوقت ليموت، ومن ثم يقوم، ويعود إلى السماء. والرب كان قد **أحب خاصته**، أي معشر المؤمنين الحقيقيين. **لقد أحبّهم إلى منتهى** خدمته على الأرض، كما أنه سيواصل محبته لهم طوال الأبدية. إلاّ أن محبته لهم، كانت لا متناهية وبلا حدود، كما كان مزمعًا أن يبرهن ذلك.

١٣: ٢ لا يحدّد يوحنا طبيعة العشاء المشار إليه هنا، أكان عشاء الفصح، أم عشاء الربّ، أم أي عشاء آخر اعتيادي. وكان الشيطان قد زرع في **قلب يهوذا** فكرة أنه قد حان الوقت **لتسليم يسوع**. فيهوذا كان قد خطّط للإساءة إلى الرب، قبل هذا بوقت طويل، لكنه أُعطي الآن الإشعار بتنفيذ مؤامرته الأثيمة تلك.

١٣: ٣ يركّز العدد ٣ على هوية من كان يقوم بمهام العبد؛ لم يكن واحدًا من الرابيين والمعلمين، بل كان **يسوع** الذي كان عارفًا بألوهيته. كذلك كان على علم بالعمل الموكول إليه، كما عرف أيضًا أنه **من عند الله خرج**، وأنه كان قد بدأ رحلته التي ستحمله رجوعًا **إلى الله**.

١٣: ٤ كان إدراك الـرب لهويته ولمهمته ولمصيره، هو الذي مكّنه من الانحناء لغسل أرجل التلاميذ. وإذ قام الرب عن **العشاء**، **خلع ثيابه** الخارجية. ثم جعل منشفة حولـه كمئزر (مريلة)، آخذًا بذلك مركز العبد. كان بإمكاننا توقُّع ورود هذه الحادثة في إنجيل مرقس، إنجيل الخادم الكامل، لكـن ذكرها في إنجيل ابن الله يزيد من إكبارنا لها.

يذكّرنـا هـذا العمل الرمزي بما قام بـه الرب، إذ ترك قصوره العاجيـة أعلاه لكي ينزل إلى عالمنا كعبد، ويخدم خلائقه.

١٣: ٥ كان انتعـال الصنادل، في بلاد الشـرق، يجعل من الضروري **غسل الأرجل** باستمرار. وكانت الكياسة تقتضي عـادةً أن يخصص المضيّف عبدًا لغسـل أرجل زائريه. أمّـا هنا، فالمضيّف الإلهي هو الذي أخذ مكان العبد للقيام بهذه الخدمة الحقيرة. "يسـوع عند قدمي الخائن، ما أعظم هذه الصورة. وما أعمق ما تحتويه من دروس لنا!".

١٣: ٦ صُعق بطرس لمجرّد التفكير في كون الرب مزمعًا أن يغسل رجلي تلميذه بطرس. لذا استنكر أن يتنازل الرب العظيم لينحني أمام شخص حقير كبطرس. "إن مشهد الله وهو يقوم بدور الخادم، هو حقًا مشهد يحمل على الارتباك".

١٣: ٧ علّم يسـوع بطـرس الآن أنه كان هناك مغزى روحي لتصرفه هذا. فغسـل الأرجل كان يصوّر صنفًا معيّنًا من الغسـل الروحي. لقد عرف بطرس أن الرب كان يقـوم بهذا العمل بحـدّ ذاته، لكن فاتـه أن **يفهم** المغزى الروحي من ذلك. وسريعًا سيعرف هذا الأمر، لأن الرب سـيوضحه له. كما أنه سيتسنّى له أن يعرفه معرفة اختبارية لاحقًا، بعد أن يكون الرب قد ردّ نفسه على أثر إنكاره له.

١٣: ٨ يصوّر لنا **بطرس** تطرّف الطبيعة البشـرية. لقد قـرّر أنه لن يسـمح للرب أبدًا بأن **يغسـل لـه رجليه**. واللفظة "أبدًا" تعني هنا "من الآن وإلى الأبد". فأجاب الـرب بطرس أنه لا يمكن أن يكون له أية شـركة معه، بمعزل عـن هذا الغسـل. وبذلك يكون قد تكشّـف المغزى من غسل الرجلين. فالمسيحيون، خلال سيرهم في هذا العالم، قـد تعلق بهم بعض الأوحال. فالإصغاء إلى كلام بذيء، والنظر إلى أشياء غير مقدسة، والعمل مع أناس أشرار وغير أتقياء، هي من الأمور التي تلوّث المؤمن حتمًا. من هنا ضرورة أن يتطهّر باستمرار.

وهذا التطهير يحصل بواسـطة مـاء الكلمة. فعلى قدر ما نقرأ الكتاب المقدس وندرسـه، ونسمع الوعظ حوله، ونبحث مضمونه بعضنا مع بعض، نجد أنه ينقّينا من التأثيرات الخبيثة حوالينا. ومن جهة أخرى، كلّما أهملنا الكتاب المقـدس ازداد من جراء ذلك احتمال بقاء هذه التأثيرات الشـريرة والخبيثـة في أذهاننا وفي حيواتنـا، مـن دون أن نتنبّه إلى ذلك البتّة. ويسـوع بقولـه: «**ليس لك معـي نصيب**»، لم يكن يعـني أنه كان يسـتحيل على بطرس اختبار الخـلاص بمعزل عن هذا الغسـل، بل كان يقصد بالحري أن الشـركة مع الرب لا تمكـن المحافظة عليها إلاّ بعمل التنقية المتواصل الذي تُجريه كلمة الله في حياته.

١٣: ٩، ١٠ والآن تحوّل **بطرس** إلى النقيض الآخر. فقبل لحظات، كان قد صرّح بالقول «أبدًا»؛ أمّا الآن فلسان حاله هو: "اغسلني بجملتي".

في طريق العودة من الحمّام العمومي، كانت رجلا الإنسان تتّسخ من جديد. إن حاجته في هذه الحال ليست إلى حمّام آخر، بل إلى غسل رجليه. «**الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلاّ إلى غسل رجليه، بل هو طاهر كله**». فثمة فرق بين الحمّام وحوض الماء. فالحمام يشير إلى التطهير الذي نحصل عليه لحظة اختبارنا الخلاص. وهذا التطهير من عقاب الخطية بواسطة دم المسيح، لا يحصل إلاّ مرة واحدة. أمّا حوض الماء فيعالج التلوّث الناتج من الخطية؛ وهذا يجب أن يتم باستمرار بواسطة كلمة الله. إذًا، هناك حمّام واحد، مقابل غسلات أرجل عديدة. والقول «**أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم**»، يعني أن التلاميذ نالوا حمّام الميلاد الثاني، أي التلاميذ جميعهم ما عدا يهوذا. ذلك لأن يهوذا لم يخلص قط.

١٣: ١١ كان الرب العالم بكل شيء، **يعرف** أن يهوذا **سيسلّمه**. لذا أفرده من بين الآخرين، على اعتبار أنه لم يختبر حمام الفداء قط.

ط. يسوع يعلّم تلاميذه ضرورة الاقتداء به (١٣: ١٢-٢٠)

١٣: ١٢ يبدو أن المسيح كان قد **غسل أرجل** التلاميذ جميعهم. ثم لبس من جديد **ثيابه** الخارجية واتكأ، ليشرح لهم المغزى الروحي لما فعل. وهكذا استهلّ حديثه بطرحه سؤالاً عليهم. واستعراض أسئلة المسيح يشكّل دراسة شيّقة بحدّ ذاتها. ذلك لأن هذه الأسئلة تُعدّ أحد أساليبه التعليمية الأكثر فعالية.

١٣: ١٣، ١٤ كان التلاميذ قد أقروا بأن يسوع كان، بالنسبة إليهم، **معلمًا وسيدًا**، كانوا في ذلك على حق. لكن جاء مثال يسوع هنا ليبيّن أن المقام الأعلى ضمن نظام الملكوت هو للخادم.

فإن كان السيّد والمعلّم قد غسل أرجل التلاميذ، فأي عذر لديهم بعد لعدم غسل بعضهم أرجل بعض؟ وهل كان الرب يقصد أنه يتعيّن عليهم أن يغسلوا بالماء، وبالمعنى الحرفي للكلمة، بعضهم أرجل بعض؟ وهل كان هنا في معرض إرساء فريضة كنسية؟ كلاّ، لأن مغزى الكلام هنا هو روحي. فالرب كان يحثّهم على ضرورة سهرهم بعضهم على نقاوة بعض من خلال شركتهم المتواصلة حول كلمة الله. فإذا ما رأى أحدهم أخاه يعاني شيئًا من البرودة الروحية، أو يميل إلى محبة العالم، يجدر به، في هذه الحال، أن يناشده ويعظه من الكتاب المقدس بكلّ محبّة.

١٣: ١٥، ١٦ كان الرب قد أعطاهم **مثالاً**، أو درسًا عمليًّا، على ما ينبغي لهم **صنعه** بعضهم مع بعضٍ على الصعيد الروحي.

وإن كانت كبرياؤنا أو أحقادنا الشخصية تمنعنا من الانحناء لخدمة إخوتنا، فحري بنا أن نتذكّر أننا **لسنا أعظم من سيدنا**. فهو وضع نفسه، حتى غسل أرجل جماعة من الناس غير المستحقين وغير الشاكرين، مع علمه الكامل بأن واحدًا منهم كان سيسلّمه. فهل كنت أنت ستقوم بخدمة حقيرة ومتواضعة لرجل تعرف أنه مزمع أن يسلّمك مقابل ثقاضيه مبلغًا من المال؟ لذا يجدر بالذين **أُرسلوا** (معشر التلاميذ)، ألاّ يعتبروا أنفسهم اعظم من أن يقوموا بأي عمل سبق للذي **أرسلهم** (الرب يسوع) أن قام به قبلهم.

١٣: ١٧ جيّد أن نعلم هذه الحقائق المتعلّقة بالتواضع، ونكران الذات، والخدمة؛ إلاّ أنّ باستطاعة أحدنا معرفة هذه كلها من دون الاهتمام البتة بممارستها. فإن قيمة هذه الأمور الفعلية تكمن في العمل بموجبها.

١٣: ١٨ إن ما علّمه الرب هنا بخصوص الخدمة، لم يكن لينطبق على يهوذا. فهو لم يكن واحدًا من أولئك الذين كان الرب سيحمّلهم رسالة الإنجيل، ويرسلهم إلى العالم. كذلك عرف الرب أنه كان من الضروري أن تتمّ النبوات الكتابية المختصة بأمر تسليمه، كالمزمور ٤١: ٩ مثلاً. فيهوذا كان قد تناول طعامه مع الربّ طوال ثلاث سنوات، ومع هذا رفع عليه عقبه، بمعنى أنه عاد فخانه وسلّمه. وفي المزمور ٤١، وصف الرب مسلّمه بالتعبير «رجل سلامتي» وفي ترجمات أخرى "صديقي المقرّب".

١٣: ١٩ أعلن الرب لتلاميذه مسبّقًا أمر تسليمه، حتى متى حصل ذلك، يعرفون أنه هو الله حقًّا: **تؤمنون أني أنا هو**. فيسوع العهد الجديد هو يهوه العهد القديم. لذا، فإن النبوة المتمّمة تُعَدّ من أعظم البراهين على ألوهية المسيح، ويمكننا أن نضيف: وعلى وحي الكتاب المقدس أيضًا.

١٣: ٢٠ علم الرب أن عملية تسليمه هذه قد تُعثر التلاميذ الآخرين أو تدفعهم إلى الشك. لذا أضاف كلمة التشجيع هذه. فعليهم أن يبقوا يتذكرون أنّهم أُرسلوا في مهمّة إلهية. وكان يلزمهم التشبُّه به بشكل وثيق جدًّا، حتى إن قبولهم يصبح بمثابة قبوله هو، كما أن الذين قبلوا المسيح قد قبلوا الله الآب في الوقت عينه. إذًا، كان عليهم أن يتعزّوا كثيرًا من جراء ارتباطهم هذا الوثيق بالله الابن والله الآب.

ي. *يسوع يتنبأ بتسليمه* (١٣: ٢١-٣٠)

١٣: ٢١، ٢٢ إن معرفة الرب بأن واحدًا من تلاميذه سيسلّمه، جعلته **يضطرب** في العمق. ويبدو هنا أن يسوع كان يمنح مسلّمه الفرصة الأخيرة للتخلّي عن خطته الشريرة. فهو لم يكشف أمره مباشرة، إلاّ أنه أعلن معرفته بأن واحدًا من جماعة الاثني عشر سيسلّمه. ولكن حتى هذه المعاملة الطيّبة لم تنجح في حمل الخائن على تغيير رأيه في الأمر.

لم يشتبه سائر التلاميذ بيهوذا، كما أنهم استهجنوا فكرة قيام واحد من صفوفهم بهذا الأمر الشائن، وتحيّروا من جهة هويته.

١٣: ٢٣ في تلك الأيام، لم يكن الناس يجلسون إلى طاولة لتناول طعامهم، بل كانوا بالحري يتكئون على أرائك منخفضة. والتلميذ الذي **كان يسوع يحبه** كان يوحنا، كاتب هذا الإنجيل. لقد قصد أن يُغفل ذكر اسمه، لكنه لم يتردد قط في التكلم عن المكانة الخاصة التي كانت له في قلب المخلّص. فالرب كان يحب جميع التلاميذ، إلاّ أن يوحنا كان يستمتع بالاقتراب منه على نحو مميّز.

١٣: ٢٤، ٢٥ أومأ بطرس عوضًا عن التكلم بصوت مسموع. ولعله أومأ برأسه للطلب من يوحنا أن يستفسر عن اسم ذلك الخائن الذي سيسلّم الرب.

فاتكأ يوحنا **على صدر يسوع**، ليهمس في أذنيه السؤال المصيري، والذي يُرجّح أن الرب كان قد أجاب عنه بصوت خافت أيضًا.

١٣: ٢٦ أجاب يسوع بأنه **سيعطي لقمة** خبز لمسلّمه، بعد أن يكون قد **غمسها** في الخمر أو في مرق اللحم. يقول بعضهم إن المضيّف، في بلاد الشرق، كان يعطي الخبز للضيف المكرّم على المائدة. وهكذا، فإن الرب، بجعله **يهوذا** ضيفه المكرّم، يكون قد حاول، على أساس محبته ونعمته، أن يرد يهوذا إليه. أمّا آخرون فرأوا أنه هكذا كانت قد درجت العادة أن يوزّع الخبز خلال عشاء الفصح. وإذا صحّ هذا الأمر، فإن يهوذا يكون قد غادر المكان خلال عشاء الفصح، وبالتالي قبل تأسيس عشاء الربّ.

١٣: ٢٧ سبق للشيطان أن جعل في قلب يهوذا أن يسلّم الرب. أمّا الآن، فقد **دخله الشيطان**. فالأمر كان مجرّد إيحاء في البداية؛ فراعاه يهوذا، وأحبه، ووافق عليه. والآن وصل إلى وقت فيه سيطر الشيطان عليه. والرب، في معرفته بأن مسلّمه قد عقد النيّة، بشكل نهائي، على تنفيذ مخططه الأثيم هذا، جاء يدعوه إلى تتميم ذلك **بأكثر سرعة**. لم يكن الرب، بالطبع، يشجّعه على فعل الشر، بل يعبّر عن قبوله لما ينتظره.

١٣: ٢٨، ٢٩ يؤكّد هذا النصّ أن باقي التلاميذ لم يسمعوا أي شيء من الحديث السابق الذي كان قد دار بين الرب يسوع ويوحنا، وكانوا ما يزالون يجهلون كل ما يتعلق بعزم يهوذا على تسليم سيّدهم.

فبعضهم ظن أن يسوع كان ببساطة قد طلب من يهوذا أن يمضي بسرعة **لشراء** بعض الحوائج **للعيد**، أو لعله وجّهه، بصفته أمين الصندوق، إلى تقديم عطية **للفقراء**.

١٣: ٣٠ أخذ يهوذا اللقمة، كعربون على نواله حظوة خاصة من الرب، ثم ترك رفقة الرب، والتلاميذ الآخرين. ثم يضيف الوحي الكلمات المعبّرة التالية: «**وكان ليلاً**». فالليل لم يكن قد خيّم بظلامه الدامس على المكان، بالمعنى الحرفي للكلمة وحسب، بل كان أيضًا **ليلاً** بالنسبة إلى يهوذا، على الصعيد الروحي. وهذا الليل من الظلام والندم لم يكن ليعرف أية نهاية. فالأشخاص الذين يديرون ظهورهم للمخلّص، يتخبطون في ليل دائم.

ك. الوصية الجديدة (١٣: ٣١-٣٥)

١٣: ٣١ ما إن خرج يهوذا حتى ابتدأ الربّ **يسوع** يكلّم تلاميذه بأكثر حرية، وبشكل حميم أكثر. ذلك لأن التوتّر قد زال. قال: «**الآن تمجّد ابن الإنسان**». كان الرب يستبق عمل الفداء الذي كان مزمعًا أن يتممه. ومع أن موته، بدا كأنه أشبه بهزيمة، فقد كان هو الوسيلة التي يمكن بها للخطاة الهالكين أن يخلصوا. ثم تلى ذلك قيامتُه وصعوده، وقد تمجّد كثيرًا في هذه الأمور كلها. **وتمجّد الله** أيضًا في عمل المخلّص. ذلك لأنه أظهره - تبارك اسمه - بصفته الله القدّوس الذي ما كان ممكنًا أن يتساهل مع الخطية؛ كما أظهره أيضًا بصفته الله المحب الذي لا يُسرّ بموت الخاطي، والله البار، والقادر أيضًا أن يبرّر الخطاة. فكل واحدة من سجايا اللاهوت قد ظهرت بشكل مكبّر جدًّا في الجلجثة.

١٣: ٣٢ «**إن كان الله قد تمجّد فيه**»، وهذا حقيقة واقعة، «**فإن الله سيمجده في ذاته**». فالله حريص على أن يُمنح ابنه الحبيب الكرامة اللائقة به. «**ويمجده سريعًا**»، من دون أي إبطاء. وقد تمّم الله الآب نبوة الرب يسوع هذه بإقامته من بين الأموات، وإجلاسه عن يمينه في السماء.

١٣: ٣٣ هذه هي المرة الأولى التي فيها يخاطب الرب يسوع تلاميذه مستخدمًا عبارة التودّد «**يا أولادي**». ولم يستخدمها إلاّ بعد رحيل يهوذا. كان قد بقي له معهم **زمان قليل** بعد، قبل أن يموت على الصليب. ثم يطلبونه من دون أن يتمكنوا من اتّباعه، بما أنه سيكون قد رجع إلى السماء. وقد سبق للرب أن نقل هذا الخبر عينه **إلى اليهود**، لكن بهدف آخر. فبالنسبة إلى التلاميذ، سيرحل عنهم موقتًا، بما أنه سيعود لأخذهم إليه (أص ١٤). ولكن رحيله هذا سيكون نهائيًا بالنسبة **إلى اليهود**. فهو سيعود إلى السماء، فيما يعجزون هم عن اتّباعه بسبب عدم إيمانهم.

١٣: ٣٤ كان عليهم، خلال غيابه، أن يسيروا بمقتضى **وصية المحبة**. وهذه الوصية لم تكن جديدة من حيث توقيتها، ذلك لأن الوصايا العشر كانت قد علّمت ضرورة محبة الله ومحبة القريب؛ إلاّ أن هذه **الوصية** جاءت **جديدة** من نواحٍ أخرى. كانت **جديدة** بما أن الروح القدس سيقوي المؤمنين لتمكينهم من إطاعتها، وبما أنها أسمى شأنًا من القديمة. فالوصية القديمة قالت: «تحب قريبك»، فيما صرّحت الجديدة بضرورة "محبة أعدائك".

وقد صدق من قال إن ناموس محبة الآخرين قد فُسِّر الآن بأكثر وضوح، وعُزِّز بدوافع والتزامات جديدة، وتوضّح على أساس مثال جديد، وأُطيع بطريقة جديدة.

أيضًا لقد كانت الوصيّة جديدة، كما يبين هذا العدد، بما أنها تحثّنا على تبنّي درجة أسمى وأرفع من المحبة: «**كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا**».

١٣: ٣٥ ليس شعار التلمذة المسيحية صليبًا يُعلّق حول العنق أو يُغرز في الثياب. فباستطاعة أي كان استخدام هذه الأساليب لادّعاء التلمذة. إنما علامة المسيحي الحقيقية هي **المحبة** لإخوته المسيحيين الآخرين. وهذا يتطلب قوة إلهية؛ وهذه القوة لا تتوافر إلاّ لدى الذي يسكن فيهم روح الله.

ل. *يسوع يتنبأ بإنكار بطرس* (١٣: ٣٦-٣٨)

١٣: ٣٦ لم يفهم **سمعان بطرس** أن يسوع كان يتحدث عن موته. ففي ظنه أن يسوع كان سيمضي في رحلة ما على الأرض، حتى إنه فاته أن يدرك لماذا كان يستحيل عليه مرافقتُه. فأوضح الرب أن بطرس **سيتبعه** في ما بعد، أي بعد موت يسوع، وأنه لم يكن بإمكانه أن يفعل ذلك الآن.

١٣: ٣٧ امتلأ بطرس حماسة، وبدافع الوفاء المثالي للرب، عبّر عن استعداده للموت لأجله. لقد ظنّ أنه كان باستطاعته، بقوته الذاتية، احتمال الاستشهاد في سبيل الربّ. لقد مات بالفعل، في ما بعد، لأجل الرب، لكن بعد أن كان الله قد مدّه بالقوة والشجاعة على نحو خاص.

١٣: ٣٨ حاول يسوع ضبط هذه "الغيرة لله ولكن ليس حسب المعرفة" بإخبار بطرس شيئًا كان يجهله: كونه سيُنكر الرب **ثلاث مرات**، وذلك قبل انقضاء تلك الليلة. وبذلك يكون قد تمّ تذكير بطرس بضعفه وجبنه وعجزه عن اتّباع الرب بقوته الذاتية، ولو على مدى سُويعات فقط.

م. *يسوع: الطريق، والحق، والحياة* (١٤: ١-١٤)

١٤: ١ يربط بعضهم العدد الأول بالعدد الأخير من الأصحاح ١٣، معتبرين بذلك أن الرب خاطب به بطرس. فمع أنه سينكر الرب، كانت ما تزال هناك

كلمة تعزية من نصيبه. إلاّ أن ورود كلمات هذا النص بصيغة الجمع يُظهِر أن الرب كان قد وجهها إلى جميع التلاميذ. من هنا ضرورة التوقف قليلاً عند نهاية الأصحاح الثالث عشر. فالفكرة هنا تبدو على الشكل التالي: "أنا ذاهب، ولن يكون بإمكانكم رؤيتي فيما بعد. لكن، **لا تضطرب قلوبكم؛ انتم تؤمنون بالله**، مع أنكم لا ترونه، والآن **آمنوا بي**، بهذه الطريقة عينها". وهنا أيضًا تصريح هام آخر يفيد مساواة الرب للآب.

١٤: ٢ يشير **بيت الآب** إلى السماء، حيث المساكن الكثيرة. فالمكان هناك يسع جميع المفديين. وإلاّ، لكان الرب قد **قال لهم** ذلك. فهو لا يريد لهم أن يعلّلوا النفس بآمال كاذبة. والعبارة «**انا امضي لأعدّ لكم مكانًا**» قد تتحمّل معنيين. فالرب يسوع مضى إلى الجلجثة لإعداد مكان لخاصته. وهكذا، بفضل موته الكفاري، يضمن المؤمنون مكانًا لأنفسهم هناك. غير أن الرب عاد أيضًا إلى السماء لإعداد مكان. ونحن لا نعرف الشيء الكثير عن هذا المكان، غير أننا نعرف أن لكل واحد من أولاد الله نصيبًا فيه: "مكان معدّ لشعب مستعد"!

١٤: ٣ يشير العدد ٣ إلى الوقت الذي فيه **سيأتي** الرب **أيضًا** في الهواء، عندما يُقام الذين ماتوا بالإيمان، ويتغيّر الأحياء، وعندما يؤخذ كل حشد المفديّين بالدم إلى بيتهم السماوي (١تس٤: ١٣-١٨؛ ١كو١٥: ٥١-٥٨). ومجيء المسيح هذا سيحدث حرفيًّا، وفيه سيعود الربّ بنفسه شخصيًّا. وكما أن انطلاق المسيح رجوعًا إلى السماء هو أكيد، هكذا أيضًا مجيئه ثانية. فرغبته هي أن يأخذ خاصته ليكونوا معه طوال الأبدية.

١٤: ٤، ٥ كان ذاهبًا إلى السماء، وكانوا يعرفون **الطريق** إلى السماء، بما أنه كثيرًا ما كلّمهم عنها. ولكنّ **توما** لم يفهم، على ما يبدو، معنى كلمات الرب هذه. ولعله كان يفكّر، على غرار بطرس، في رحلة إلى مكان ما على الأرض.

١٤: ٦ يوضح لنا هذا العدد الجميل أن الرب يسوع كان هو نفسه **الطريق** إلى السماء. فهو لا يكتفي بتوجيه أقدامنا نحو الطريق، بل أنه هو **الطريق**. فالخلاص هو في شخص الرب. فاقبل هذا الشخص لنفسك تَنَل هذا الخلاص. كما أن المسيحية هي المسيح. والرب يسوع ليس مجرد طريق من جملة عدة طرق، بل هو الطريق الوحيد: **ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ به**. إذًا، الطريق إلى الله ليس من خلال الوصايا العشر، ولا القاعدة الذهبية، ولا ممارسة الفرائض، ولا الانتماء إلى كنيسة ما؛ بل من خلال المسيح دون سواه. في أيامنا، ازداد عدد القائلين بعدم أهمية ما تؤمن به ما دمت مخلصًا. كما أن كل الديانات تحتوي، بحسب زعمهم، على بعض الخير والصلاح، وأنها جميعها تقود، في نهاية المطاف، إلى السماء. أمّا الربّ يسوع فقال: «**ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي**».

ثم إن الرب هو أيضًا **الحق**. ليس هو مجرّد شخص يعلّم الحق، بل إنّه هو **الحق**. أنه تجسيمُ الحق. فالذين عندهم المسيح، عندهم أيضًا الحق. وهذا الحق غير متوافر في أي مكان آخر.

والمسيح يسوع هو **الحياة**. فهو مصدر الحياة الروحية والأبدية معًا. والذين يقبلونه قد نالوا الحياة الأبدية بما أنه هو الحياة.

١٤: ٧ عاد الرب يعلّم مرة أخرى عن الوحدة الخفيّة القائمة بينه وبين الآب. فلو أن التلاميذ ميّزوا هوية يسوع على حقيقتها، لكانوا بذلك **عرفوا الآب أيضًا**، ذلك لأن الرب أعلن الآب للناس. **ومن الآن**، ولا سيما بعد قيامة المسيح، سيعرف التلاميذ أن يسوع هو حقًّا الله الابن. عندئذ سيدركون أن معرفة المسيح تعني **معرفة** الآب، كما أن رؤية الرب يسوع تعني رؤية الله. إلاّ أن هذه الآية لا تعلّم أن الله والرب يسوع هما أُقنوم واحد. ذلك لأن ثمة ثلاثة أقانيم متميّزة في اللاهوت، ولكن لا يوجد إلاّ إله واحد.

١٤: ٨ طلب **فيلبس** من الرب إعطاءه إعلانًا خاصًا عن الآب، وكان سيكتفي بذلك. وقد فاته أن يدرك أن كل ما كان عليه الرب، وما فعله، وما قاله، إنما كان إعلانًا عن الآب.

١٤: ٩ قام الرب يسوع بصبر، على تصحيح مفهوم فيلبس. وكان قد صار لفيلبُّس وقت **طويل** مع الرب. ذلك لأنه كان من الرعيل الأول من التلاميذ الذين دُعوا (يو ١: ٤٣). إلاّ أنه لم يكن قد استوعب بعد الحقيقة الكاملة بشأن ألوهية المسيح ووحدته مع الآب. كذلك لم يكن يعلم أنه في نظره إلى يسوع، كان في الواقع ينظر إلى الشخص الذي يعلن **الآب** بشكل كامل.

١٤: ١٠، ١١ إن العبارة «**أنا في الآب والآب فيّ**» تصف مدى عمق الوحدة بين **الآب** والابن. إنهما واحد في السجايا والإرادة، على الرغم من كونهما أقنومين متميّزين. إنّما علينا ألاّ نفشل إن فاتنا استيعاب هذا. فما من ذهن بشري سيتمكن أبدًا من استيعاب اللاهوت. من هنا ضرورة التسليم بحقيقة كون الله يعرف أمورًا لا نستطيع نحن أبدًا معرفتها. فلو أدركنا الله تمامًا، لأصبحت عظمتنا على مستوى عظمته. لقد كان الربّ يسوع يملك السلطان للتكلم بالتعاليم ولصنع المعجزات؛ إلاّ أنه جاء إلى العالم بصفته عبد يهوه، وليتكلم ويتصرف من منطلق طاعته الكاملة للآب.

كان على التلاميذ أن يؤمنوا بوحدانيته **مع الآب**، وذلك بالاستناد إلى شهادته لهذه الحقيقة. وإلاّ، كان عليهم أن **يؤمنوا**، بكل تأكيد، بسبب الأعمال التي صنعها.

١٤: ١٢ تنبأ الرب بأن الذين **يؤمنون به**، سيتمكنون من صنع معجزات مثله، بل سيقومون **بأعمال** حتى **أعظم منها**. ففي سفر الأعمال، نقرأ عن الرسل وعن صنعهم معجزات شفاء شبيهة بمعجزات الرب. لكننا نقرأ أيضًا عن معجزات أعظم بعد، كتغيير حياة الثلاثة آلاف شخص في يوم الخمسين. إذًا، كان الرب من خلال العبارة «أعمال أعظم» يشير، ولا شك، إلى نشر رسالة الإنجيل في كل أنحاء العالم، وإلى خلاص الأعداد الغفيرة من النفوس، وإلى بنيان الكنيسة. فإن خلاص النفوس يبقى عملاً أعظم من شفاء الأجساد، كما أن الرب تمجّد بعد عودته إلى السماء، ومن ثَمّ أُرسل الروح القدس إلى الأرض. وهكذا تمكن الرسل بقوة الروح القدس من صنع هذه المعجزات العظمى.

١٤: ١٣ كم كانت عظيمة، ولا شك، موجات التعزية العارمة التي غمرت قلوب التلاميذ لدى معرفتهم أنه، على الرغم من مغادرة الرب، سيبقى بوسعهم أن يصلّوا إلى الآب باسمه، لكي ينالوا منه طلباتهم. وهذا العدد لا يعني أن باستطاعة المؤمن نوال أي شيء يريده من الله. ذلك لأن المفتاح لفهم هذا الوعد يكمن في الكلمات «**باسمي**»، «**ومهما سألتم باسمي**». فالطلب

باسم يسوع لا يقتصر على مجرّد إدراج اسمه في نهاية الصلاة. إنما هو طلب ما يتلاءم مع فكره وإرادته، أي تلك الأمور التي تمجّد الله، وتشكّل بركة للبشرية، وتعمل لخيرنا الروحي.

ولكي نطلب باسم المسيح، يجب أن نعيش في شركة حميمة معه؛ وإلاّ فاتتنا معرفة موقفه. فعلى قدر ما نكون قريبين منه، تصبح رغائبنا شبيهة برغائبه. **والآب يتمجّد بالابن**، بما أن الابن لا يريد إلاّ تلك الأمور المرضية في نظر الآب. إن استجابة صلوات من هذا الصنف، يؤول حقًا إلى تمجيد الله.

١٤: ١٤ تكرّر الوعد للتأكيد، وكتشجيع عظيم لشعب الله. لذا، عش في صلب إرادة الله لحياتك، وسِر في شركة معه، ومن ثمّ اطلب ما تشاء في صلواتك، وستحصل على استجابة جميع طلباتك هذه.

ن. الوعد بمعزٍّ آخر (١٤: ١٥-٢٦)

١٤: ١٥ كان الرب يسوع على وشك مغادرة تلاميذه، وكان هذا الخبر سيملأ قلوبهم حزنًا. فكيف سيتسنى لهم التعبير عن **محبتهم** له؟ الجواب هو بحفظهم وصاياه؛ ليس بالدموع والنحيب، بل بالطاعة. **ووصايا** الرب هي تعليماته لنا في الأناجيل، كما في سائر أسفار العهد الجديد.

١٤: ١٦ إن الفعل «**أطلب**» الذي استخدمه الرب هنا، يشير في اللغة الأصلية إلى ما يسأله أحدهم من شخص آخر مساوٍ له، وليس ممن هو أعلى منه مقامًا. فالرب **سيطلب من الآب** أن يرسل **معزيًا آخر**. وهذه اللفظة «**معزٍّ**» (باراقليط)، تعني من يُدعى إلى جانب شخص آخر لمساعدته. كما أنها تترجم أيضًا «**شفيع**» (١يو٢: ١). فالرب يسوع هو شفيعنا أو معزّينا، والروح القدس **هو معزٍّ آخر**، لا بمعنى أنه من صنف آخر، بل كونه شخصًا آخر له الصفات عينها. والروح القدس **سيمكث** مع المؤمنين **إلى الأبد**. ففي العهد القديم، كان الروح القدس يحلّ أحيانًا على بعض الأشخاص، لكي يعود ويفارقهم غالبًا. أمّا الآن فسيأتي ليبقى **إلى الأبد**.

١٤: ١٧ دُعي الروح القدس **روح الحق**، بما أن تعليمه حق، وبما أنه يمجّد المسيح الذي هو الحق. **والعالم لا يقدر أن يقبل** الروح القدس لأنه لا يقدر أن يراه. فغير المؤمنين يريدون أن يروا قبل أن يؤمنوا، مع كونهم يؤمنون بالريح والكهرباء رغم أنهم لا يرونهما. وعلى هذا الأساس أيضًا، لا يعرف غير المخلّصين الروح القدس، ولا يفهمونه. فهو قد يبكّتهم على الخطية، ومع هذا يجهلون أنه هو الذي يقف وراء تبكيتهم. أمّا التلاميذ فعرفوا الروح القدس: لقد عرفوه عاملاً في حيواتهم، كما أنهم رأوه عاملاً من خلال الرب يسوع.

«**لأنه ماكث معكم ويكون فيكم**». كان الروح القدس، قبل يوم الخمسين، يحلّ على الناس ويمكث **معهم**. لكن هذا الأمر تبدّل منذ يوم الخمسين. ذلك لأنه منذ ذلك الحين، اصبح الروح القدس يأتي ليسكن إلى الأبد داخل الإنسان الذي يؤمن بالرب يسوع مخلّصًا شخصيًّا له. لذا فإن طلبة داود في القديم: «وروحك القدوس لا تنزعه مني»، لم تعد تصلح لأيامنا. فالروح القدس لا يفارق المؤمن أبدًا، مع أنه قد يحزن أو ينطفئ، أو يُعاق عمله.

١٤: ١٨ لم يكن الرب ليترك تلاميذه يتامى أو مهجورين، بل كان **سيأتي إليهم مجدّدًا**. فبمعنًى من المعاني، كان قد أتى إليهم بعد قيامته، لكن من غير المحتمل أن يكون هذا هو المعنى المقصود هنا. ومن جهة أخرى، كان قد أتى إليهم في يوم الخمسين في شخص الروح القدس. وهذا المجيء الروحي هو المعنى الصحيح هنا. "لقد رافق يوم الخمسين شيء جعله بمثابة مجيء للمسيح". وثمة معنًى ثالث لهذا المجيء، وذلك بالإشارة إلى مجيء الرب ثانية في نهاية هذا الدهر، عندما سيأخذ مختاريه معه إلى بيتهم السماوي.

١٤: ١٩ لم يتسنَّ لأي شخص غير مؤمن أن يرى الرب بعد دفنه. كما أنه بعد قيامته، لم يره أحد إلاّ محبّوه. أمّا تلاميذه فظلّوا قادرين على رؤيته بالإيمان، حتى بعد صعوده. هذا، ولا شك، هو المقصود بالعبارة «**وأما أنتم فترونني**». فالتلاميذ سيستمرون يرون الربّ حتى حين لا يعود باستطاعة العالم رؤيته. «**إني أنا حي فأنتم ستحيون**»: كان هنا يتطلع قدمًا إلى حياة قيامته، فهي بمثابة ضمان الحياة بالنسبة إلى جميع الذين آمنوا به. فحتى إن ماتوا، فإنهم سيُقامون أيضًا، لكي لا يعودوا يموتون من جديد.

١٤: ٢٠ «**في ذلك اليوم**» قد تشير إلى يوم حلول الروح القدس. وهو الذي سيعلّم المؤمنين الحقّ المختصّ بالوحدة الرائعة، في الحياة والاهتمامات، بين المسيح وقديسيه، كحالِ وحدة الآب والابن. لكن، من الصعب أن نفسّر كيف يمكن أن يكون المسيح في المؤمن، والمؤمن في المسيح في آن. والإيضاح المألوف، في هذا السياق، هو المسعار، أي القضيب المعدني المستخدم لإذكاء النار. فالمسعار ليس في النار وحسب، بل النار هي في المسعار أيضًا. غير أن هذا التشبيه لا يفي الموضوع حقه. فالمسيح هو في المؤمن، بمعنى أنه يمدّه بحياته المباركة، لجعلها تسري فيه. وهو، في الواقع، يسكن داخل المؤمن، بالروح القدس. ومن جهة أخرى، فالمؤمن هو في المسيح بمعنى أنه يقف أمام الله على أساس كامل استحقاقات شخص المسيح وعمله.

١٤: ٢١ إن الطاعة **لوصايا** الرب هي البرهان الحقيقي على محبة أحدنا له. فما من فائدة في حديثنا عن محبتنا له إن كنّا لا نرغب في إطاعته. فالآب، بمعنًى خاصّ، يحب كل العالم، لكنه - تبارك اسمه - يكنّ محبة خاصة للذين يحبون ابنه وهؤلاء هم أيضًا محطّ محبة المسيح، كما أنه يعرّفهم ذاته، بطريقة مميّزة وخاصة. وعلى قدر ما نحب المخلِّص، تزداد من جراء ذلك معرفتنا به.

١٤: ٢٢ إن **يهوذا** المذكور هنا، كان له اسم الخائن نفسه. إلاّ أن روح الله ميّزه، بكل لطف عن **الاسخريوطي**. لم يتمكن أن يستوعب كيف كان الرب سيظهر للتلاميذ من دون أن تتسنّى **للعالم** رؤيته. كان، ولا شك، يظن أن الرب سيأتي كملك منتصر، أو كبطل قوميّ. وهكذا فاته إدراك أن الرب كان سيظهر لخاصته بطريقة روحية، حتى إنهم سيرونه بالإيمان، من خلال كلمة الله.

ونحن اليوم باستطاعتنا، في الواقع، أن نعرف المسيح بواسطة روح الله، أفضل من معرفة التلاميذ له وقت وجوده بجسده على الأرض. فخلال وجوده هنا، كان الجمع الواقف في المقدمة أقرب إليه من أولئك الذين كانوا في المؤخرة. أمّا اليوم، فبات باستطاعة كل واحد منا أن يستمتع، بالإيمان، بأعمق أشكال الشركة الحميمة معه. كما أن جواب المسيح عن سؤال يهوذا

جاء يُظهر أنّ لإعلاناته هذه عن نفسه للأفراد من أتباعه ارتباطًا وثيقًا بكلمة الله. فالطاعة للكلمة ينتج منها مجيء الآب والابن ومكوثهما عند المؤمن.

١٤: ٢٣ إن كان أحد **يحب** الرب حقًا، فحينئذ سيرغب في **حفظ** تعاليمه كلها، لا مجرد أجزاء منها. **فالآب** يحب أولئك المستعدين لإطاعة ابنه من دون أي تساؤل أو تحفّظ. كما أن الآب والابن يكونان قريبين، بشكل مميّز وخاص، من هذه القلوب المُحبّة والمطيعة.

١٤: ٢٤ ومن جهة أخرى، فكلّ من **لا يحب** الرب، **لا يحفظ** كلامه. إنهم بذلك لا يرفضون كلمات المسيح وحسب، بل كلمات الآب أيضًا.

١٤: ٢٥ كان الرب، خلال مكوثه مع تلاميذه، قد بلغ حدًّا معيّنًا في تعليمه إياهم. ولم يكن ممكنًا أن يعلن لهم المزيد من الحق، بسبب عجزهم عن استيعابه.

١٤: ٢٦ لكن **الروح القدس** كان سيُعلن المزيد من الحق. **فالآب** هو الذي أرسله **باسم** المسيح، في يوم الخمسين. والروح القدس جاء باسم المسيح، بمعنى أنه جاء ليرعى مصالح المسيح على الأرض. وهو لم يأتِ لتمجيد نفسه بل لجذب الناس إلى المخلّص. ثم أردف الرب يقول: «**فهو يعلّمكم كل شيء**». وكان قد تمّم ذلك أولاً من خلال خدمة الرسل الكلامية؛ ومن ثم بواسطة كلمة الله المكتوبة، كما هي في حوزتنا اليوم. فالروح القدس **يذكّر** الناس **بكل** ما علّم المخلّص. وفي الواقع، أنّ الرب يسوع كان، على ما يبدو، قد عرض، بشكل أوّلي كل التعليم الذي عاد الروح القدس فعمل على تطويره بإسهاب في ما تبقّى من أسفار العهد الجديد.

س. يسوع يترك سلامه لتلاميذه (١٤: ٢٧-٣١)

١٤: ٢٧ إن الشخص الذي يوشك على الموت، يهتم عادةً بكتابة وصيته الأخيرة التي على أساسها يترك مقتنياته لأعزائه. وهنا، كان الرب يعمل هذا الأمر عينه. إلاّ أنه لم يترك لتلاميذه أمورًا مادية، بل ما يعجز المال عن شرائه: **السلام، سلام** الضمير الداخلي الناتج عن اليقين بمغفرة الخطايا والمصالحة مع الله. وبإمكان المسيح منح هذا السلام بما أنه اشتراه بدمه على صليب الجلجثة. وهو لا يعطيه، **كما يعطي العالم**: بالشح، وبأنانية، ولفترة وجيزة من الوقت. إنما السلام الذي يهبه، يبقى إلى الأبد، فلِمَ **يضطرب** المؤمن أو **يخاف** بعد؟

١٤: ٢٨ لقد سبق الربُّ يسوع فأعلمهم بأنه مزمع أن يتركهم، لكي يعود، في ما بعد، ويأخذهم إلى بيتهم في السماء معه. فلو **كانوا يحبّونه**، لكان ذلك جعلهم **يفرحون**. بالطبع، كانوا بمعنى من المعاني، يحبونه. إلاّ إنهم لم يكونوا ليقدّروا شخصه تمامًا، حتى يحبّوه بالمقدار اللائق به.

«**تفرحون لأني قلت أمضي إلى الآب لأن أبي أعظم مني**». قد يبدو، أوّل وهلة، أن هذا العدد يناقض كل ما سبق أن علّمه يسوع بشأن مساواته للآب. إلاّ أنه لا يوجد هنا أي تناقض، كما أن النص يوضح لنا معنى هذا الكلام. فالربّ يسوع كان، إبان وجوده على الأرض، مبغَضًا ومطارَدًا، كما أنه كان مُضطهَدًا وملاحَقًا. فالناس جدّفوا عليه، وعيّروه، وبصقوا في وجهه. وهكذا يكون قد تعرّض لإهانات كثيرة على أيدي خلائقه.

بالمقابل، لم يعانِ الله الآب أية معاملة فظة كتلك على أيدي الناس. ذلك لأنه يسكن السماء، بعيدًا عن شرّ الخطاة. كما أن الرب يسوع لدى عودته إلى السماء، رجع

إلى حيث لا وصول للإهانات على الإطلاق. لذا، كان على التلاميذ أن يفرحوا عندما أخبرهم الربُّ يسوع **أنه ماضٍ إلى الآب**، لأنه، بهذا المعنى، كان **الآب أعظم منه**. فالآب لم يكن أعظم، بصفته الله، بل بما أنه لم يأتِ قطُّ إلى العالم كإنسانٍ عومل بقسوة. كما أن الابن والآب متساويان من حيث سجايا اللاهوت. لكن عندما نفكّر في المكانة الوضيعة التي أخذها يسوع وهو إنسان هنا على الأرض، ندرك، بهذا المعنى، كيف كان **الآب أعظم منه**. لقد كان أعظم منه من حيث المكان الذي أخذه لا من حيث شخصُه.

١٤ : ٢٩ بدافع الاهتمام الخالي من أية أنانية، كشف الرب هنا لتلاميذه الخائفين عن هذه الأحداث المستقبلية حتى لا يتأذوا منها، ولا يفشلوا، ولا يخافوا، بل بالحري **يؤمنون**.

١٤ : ٣٠ كان الرب على علم بأن ساعة تسليمه قد اقتربت، حتى أنه لم يعد لديه متّسع من الوقت للتكلم مع خاصته. حتى الشيطان نفسه كان يقترب أيضًا، إلاّ أن المخلّص عرف أنه ما كان باستطاعة العدو أن يجد فيه أيَّ أثرٍ للخطية مهما كان. فالمسيح كان يخلو تمامًا من كل ما تستميله تجارب الشيطان الشريرة. كما أنه يكون من السخافة أن يدّعي أي شخص آخر، غير الربّ يسوع، أنه لا يستطيع الشيطان أن يجد أي **شيء فيه**.

١٤ : ٣١ باستطاعتنا صياغة هذا العدد بتصرُّف على النحو التالي: "إن وقت تسليمي قد دنا. وأنا ماضٍ طوعًا إلى الصليب. فهذه هي إرادة الآب من جهتي. وفي هذا إعلان للعالم عن مقدار **محبتي للآب**. لذا أنا ماضٍ الآن من دون أن أظهر أية مقاومة". بعد هذا، دعا الرب تلاميذه إلى القيام للانطلاق معه. ولا نعرف تمامًا هل كانوا قد غادروا العلية عند هذا الحدّ. فلعلّ ما تبقّى من الحديث دار بينهم خلال سيرهم في الطريق.

ع. يسوع: *الكرمة الحقيقية* (١٥: ١-١١)

١٥ : ١ كان العهد القديم قد استعار للأمّة القديمة صورة كرمة من غرس يهوه. لكن هذه الأمة برهنت عدم أمانتها، وعدم إثمارها. لذا جاء الرب يسوع يعرض نفسه الآن بصفته **الكرمة الحقيقية**، والتتميم الكامل لكل الرموز والظلال الأخرى. وبالمقابل، فالله **الآب هو الكرّام**.

١٥ : ٢ تتباين الآراء حول المقصود **بالغصن** الذي في الرب، **والذي لا يأتي بثمر**. فبعضهم يرى أن الإشارة هنا إلى شخص يدّعي الإيمان. فهو يتظاهر بأنه مسيحي مع أنه لم يسبق له قط أن اتحد فعلاً بالمسيح من طريق الإيمان. وآخرون يرون أن الكلام هنا هو عن "مؤمن حقيقي يفقد خلاصه بسبب عجزه عن الإثمار". وهذا التفسير مستحيل، بشكل واضح، بما أنه يناقض نصوصًا كثيرةً تعلّم أن للمؤمن خلاصًا أبديًّا. وآخرون أيضًا يعتبرون أن الكلام هنا هو عن "مسيحي حقيقي قد ابتُلي بالفتور الشديد". فهو يبتعد عن الرب لكي ينهمك بأمور هذا العالم. كما أنه يُخفق في أن يُظهر في حياته ثمر الروح: المحبة، والفرح، والسلام، وطول الأناة، والصلاح، والإيمان، والوداعة، والتعفف.

إن ما يفعله الرب تمامًا بهذا الغصن غير المثمر، يعتمد على الطريقة التي بها نترجم الفعل اليوناني *airo* المُترجم هنا «ينزعه». فهو قد يعني "يرفع"، كما تورد بعض الترجمات (وكما تُرجم في يوحنا ١: ٢٩) فالإشارة، في هذه الحال، تكون إلى التأديب بواسطة الموت الجسدي (١كو ١١: ٣٠). إلاّ أن هذه الكلمة نفسها قد تعني أيضًا "رفع إلى فوق" (كما في يوحنا ٨: ٥٩). وعندئذ

يكـون الكلام عن الخدمة الإيجابية التي تُقدَّم للغصن غير المثمر بقصد تشجيعه، وذلك لتسهّل عليه الحصول على النور والهواء، على أمل أن يثمر.

أمّا الغصن الـذي يأتي بثمر فهو المسـيحيّ الذي ينمو أكثر فأكثر على شـبه الرب يسوع. ولكنْ حتى مثلُ هذه الأغصان هي في حاجة إلى تشـذيب أو تنقية. فالمسـيحي يجب أن يتنقّى من أدران هذا العالم التي تعلق به، وذلك على غـرار الكرمة (بالمعنى الحـرفي للكلمة) التي تحتاج إلى تنقية من الحشرات ومن العفن الفطري، ومن الطفيليّات.

١٥: ٣ إن كلام الرب هو أداة التنقية. فالتلاميذ سـبق أن اختـبروا هذه التنقية بواسـطة **الكلمة** سـاعة وُلدوا ثانيـة. كذلـك، وبينمـا كان الرب يكلّـم التلاميذ، كانت كلمته تعمل عملها المنقّي في حيواتهم. إذًا، قد يشير هذا العدد إلى كِلا التبرير والتقديس.

١٥: ٤ الثبات يعني ملازمة المكان. فالمؤمن المسـيحي قـد جُعل في المسـيح؛ وهـذا مقامه؛ لذا يتعـيَّن عليه، في حياتـه اليومية، أن يبقى في شـركة حميمة مع الرب. **والغصن** يثبت في الكرمة عندما يسـتمد منها كل حياته وغذائه. ونحن أيضًا نثبت في المسيح عندما نقضي وقتًا في الصلاة، ودراسـة الكلمة وإطاعتها، والشـركة مع شعب الرب، وعلى أساس وَعْدِنا المستمر لوحدتنا معه. وهكذا، بالتصاقنا الدائم به، يتسـنى لنـا أن نعي ثباته فينـا، ومدّنا بالقوة الروحية وبالموارد اللازمة. **والغصن** لا يسـتطيع أن **يثمر** إلاّ على قدر **ثباته في الكرمة**. لذا فإن السـبيل الوحيد الذي باسـتطاعة المؤمنين سلوكه حتى يظهر فيهم ثمر الخُلق المشـابه للمسيح هو بالعيش لحظة فلحظة في علاقة حميمة بالمسيح.

١٥: ٥ المسـيح هو نفسُـه **الكرمة**، فيمـا المؤمنون به هم **الأغصـان** في هذه الكرمة. ليـس على الغصن إذًا أن يعيش حياته لأجل الكرمة، بل إنما يسمح بالحري لحياة الكرمة أن تسري فيه. فنحن أحيانًا نصلّي ما يلي: "يا رب، ساعدني على العيش لأجلك"، بينمـا كان من الأفضل أن نطلب: "أيها الرب يسـوع، رجـاءً أن تعيش حياتك من خلالي". **ذلك لأننا لا نقدر أن نفعل شيئًا** من دون المسيح. ومن جهة أخرى، ثمة هدف واحد رئيس للغصن الذي في الكرمة، ألا وهو أن يأتي بثمر. فهو لا يصلح لصنع المفروشـات، ولا لبناء البيوت. كمـا أنه غير نافع كثيرًا ولو كوقود. لكنه ينفع حقًا للإثمار، على قدر ما يثبت في الكرمة.

١٥: ٦ تضاربـت الآراء كثيرًا حـول معنى العدد ٦. فبعضهم يعتقدون أن الشـخص المذكور هنا هو مؤمن سـقط في الخطية، الأمر الذي أدّى بـه إلى الهلاك. إلاّ أن هذا التفسـير يناقض، بشكل مباشـر، آياتٍ كثيرةً في الكتـاب المقدس، تعلّم أنه لا يمكن أبدًا أن يهلك أيُّ ابن حقيقـي من أولاد الله. كذلـك يعتقد آخرون أنّ الإشـارة هنا هي إلى شخص مدّع يكتفي بالتظاهر بأنه مسـيحي في حين لم يختبر قط الولادة الثانية. وغالبًا ما يُستشهد بيهوذا في هذا السياق.

وكاتبُ هذا التفسـير يرى أنّ الشـخص المقصود هنـا هو مؤمن حقيقي، بمـا أن هذا المقطع من كلمة الله يُعنى بالمسـيحيين الحقيقيين. لكن المسألة المطروحة هنا لا تتعلـق بالخلاص بقدر ما تتعلّق بأمر الثبات والإثمار. فإن هذا المؤمن تنقطع شـركته مع الله، بسبب الإهمال وعدم الصلاة. وعليه، يسـقط في خطية ما، ويكسـر شـهادته من جراء ذلـك. وهكذا، بسـبب إخفاقه في

الثبات في المسيح، **يُطرح خارجًا كالغصن**، لا من قِبل المسيح، بل بالحري من قبل أناس آخرين. وهذه الأغصان تُجمع وتُطرح **في النار لكي تحترق**. إذًا، ليس الله مسؤولاً عن هذه العملية بل الناس. وماذا يعني هذا؟ يعني أن الناس يهزأون بالمسيحي الشارد. إنهم يعفّرون صيته في التراب، ويرمون في النار شهادته كمسيحي. وهذا ما يتضح لنا جيدًا من حياة داود. كان داود مؤمنًا حقيقيًا، لكن إهماله علاقته بالرب، تسبّب له باقتراف خطيتي الزنى والقتل. وبذلك جعل أعداء الرب يجدّفون. فحتى يومنا هذا، ما يزال الملحدون يسخرون باسم داود (وإله داود أيضًا). وكأنهم بذلك قد طرحوا صيته وسمعته في النار.

١٥: ٧ إن سرّ حياة الصلاة الناجحة يكمن في الثبات. فكلما اقتربنا من الرب، تعلّمنا أكثر فأكثر أن نتبنى أفكاره. وكلّما تعرّفنا به أكثر من خلال كلمته، زاد من جراء ذلك إدراكنا لإرادته. وعلى قدر ما تنسجم اراداتنا مع إرادته، تزداد ثقتنا بالحصول على استجابة لصلواتنا.

١٥: ٨ كلما أظهر أولاد الله شبهًا بالمسيح **يتمجّد الآب**. فالناس يُرغَمون على الاعتراف بعظمة إلهنا القادر على تغيير خطاة أشرار وجعلهم قديسين أتقياء. ولنلاحظ التدرّج الواضح في هذا الأصحاح: ثمر (ع٢)، ثمر أكثر (ع٢) **ثمر كثير** (ع٨).

«**فتكونون تلاميذي**». وهذا يعني أننا نبرهن، بثباتنا فيه، أننا **تلاميذه**. وعندئذ، سيتسنى للآخرين رؤية أننا تلاميذ حقيقيّون، وأننا نشابه ربنا.

١٥: ٩ إن محبة المخلّص لنا، هي نفسها محبة **الآب** للابن. ولدى قراءتنا لهذه الكلمات، لا يسعنا إلاّ أن ننحني تعبُّدًا وسجودًا أمام إلهنا المجيد. فهذه المحبة هي من الصنف عينه، كما من الدرجة نفسها "إنها محبة واسعة، وعميقة، وهي أيضًا فائقة المعرفة ولا تُقاس، ولا يستطيع أي إنسان أن يسبر غورها تمامًا". إنها "مكان سحيق تغرق فيه جميع أفكارنا". والرب خاطبنا بالقول: «**اثبتوا في محبتي**»، بمعنى أننا نحتاج أن نبقى نُدرك محبته من نحونا، لكي نتمتع بها في حياتنا.

١٥: ١٠ يُطلعنا الجزء الأول من العدد العاشر على السبيل إلى الثبات في محبته: **بحفظنا وصاياه**. "ثق بيسوع، طائعًا بالخشوع، فتعيش سعيدًا إن ثق بيسوع". ثم يعرض علينا الجزء الثاني من العدد، مثالنا الكامل. لقد **حفظ** الرب يسوع **وصايا أبيه**. فكل ما عمله، كان إطاعة لإرادة الله. كما أنّه استمتع باستمرار **بمحبة** الآب. ولم يكن أي شيء ليعكّر صفو هذا الشعور الطيّب بشركة المحبّة الحلوة.

١٥: ١١ وجد الرب يسوع أعمق معاني **الفرح** في الشركة مع الله أبيه. وقد أراد لتلاميذه أن يتمتعوا بهذا الفرح الناتج من الاتكال عليه، له المجد. كما رغب في أن يكون فرحه من نصيبهم أيضًا. والإنسان يحاول أن يختبر الفرح والسعادة بمحاولته إقصاء الله قدر المستطاع عن حياته. أمّا الرب فعلّم أن الفرح الحقيقي يأتي من جرّاء التصاقنا بالله قدر المستطاع. «**ويُكمل فرحكم**»: هذا الفرح لا يكتمل إلاّ من طريق الثبات في المسيح، وحفظ وصاياه. وقد استند كثيرون إلى الأصحاح الخامس عشر من يوحنا لزرع بذور الشك حول ضمان المؤمن الأبدي. ففي اعتبارهم أن خروف المسيح قد يفقد خلاصه في نهاية المطاف. غير أن قصد الرب من كلامه هذا. مع تلاميذه لم يكن "لتُكمل شكوكهم"، بل **ليكمل فرحهم**.

ف. الرب يوصي تلاميذه بأن يحبوا بعضهم بعضًا (١٥: ١٢-١٧)

١٥: ١٢ كان الرب سيفارق تلاميذه عن قريب، وهكذا يتركهم في عالم يكنّ لهم العداء. ومع ازدياد الضغط والتوتّر على التلاميذ، يتعرضون لخطر مخاصمة بعضهم بعضًا. لذا أوصاهم الرب بما يلي: «**أن تحبّوا بعضكم بعضًا كما أحببتكم**».

١٥: ١٣ كان يجب أن تكون محبتهم من الصنف الذي يجعلهم على استعداد للموت بعضهم من أجل بعض. فالأشخاص المستعدون للتضحية بهذا الشكل، لا يتنازعون. كما أن موت الإنسان **لأجل أحبائه**، يبقى المثال الأعظم للتضحية. وتلاميذ المسيح مدعوّون إلى إظهار هذا الصنف من الولاء. فبعضهم قد يبذلون حيواتهم بالمعنى الحرفي، وآخرون يقضون عمرهم في خدمة شعب الله بلا كلل ولا ملل. والرب يسوع هو مثالنا في هذا المجال. ذلك لأنه وضع حياته لأجل أحبائه. لقد كانوا، بالطبع، أعداء عندما مات لأجلهم، لكنهم أصبحوا أحباءه، وذلك بعد نوالهم الخلاص. من هنا يصح القول فيه إنه مات لأجل أحبائه، كما لأجل أعدائه أيضًا.

١٥: ١٤ نحن نُظهر أننا **أحباء** الرب، لدى قيامنا بكل ما يوصينا به. ولسنا بذلك نصير أحباءه، بل بالحري به نبرهن ذلك للعالم.

١٥: ١٥ ركّز الرب هنا على الفرق بين **العبيد والأحباء**. **فالعبيد** حَسْبُهم القيام بالمهام المتوقّعة منهم، غير أنّ المرء يكشف قلبه **لأحبائه**. إننا نُطلع أصدقاءنا على برامجنا المستقبلية. فالتلاميذ، كانوا وما يزالون، بمعنى من المعاني، عبيدًا للرب، لكنهم بالإضافة إلى ذلك أحباؤه أيضًا. وكان الرب يعلن لهم، في تلك اللحظات بالذات، تلك الأمور التي كان قد **سمعها من أبيه**. فهو حدّثهم عن خروجه، وعن حلول الروح القدس، وأيضًا عن مجيئه ثانيةً، وعن مسؤوليتهم تجاهه خلال غيابه عنهم. وقد أشار أحدهم إلى أننا نال لأننا أغصان (ع٥)؛ ونتبع لأننا تلاميذ (ع٨)؛ ونتشارك لأننا أحبّاء (ع١٥).

١٥: ١٦ ولئلا يفشل التلاميذ، وبالتالي يستسلمون، ذكّرهم الرب بأنه هو الذي **اختارهم**. وقد يفيد ذلك أنه اختارهم للخلاص الأبدي، أو للتلمذة، أو للإثمار. كما أنه هو الذي عيّنهم لتتميم المهام الموكولة إليهم. ونحن يلزمنا أن **نذهب ونأتي بثمر**. والثمر قد يعني هنا فضائل الحياة المسيحية، من محبة، وفرح، وسلام، وغيرها. أو قد يعني أيضًا النفوس التي ربحناها للرب يسوع المسيح. كما أن ثمة صلة وثيقة بين هذين المعنيين. ذلك لأنه لن يكون بوسعنا أن نأتي بثمر من الصنف الثاني، إلاّ بعد أن يظهر في حيواتنا الصنف الأول من الثمر.

إن العبارة «**يدوم ثمركم**»، تجعلنا نميل إلى التفكير في أن ثمر خلاص النفوس هو المقصود هنا، فالرب اختار التلاميذ ليذهبوا ويأتوا **بثمر** يبقى ويدوم. فهو لم يكن مهتمًّا بمجرد ادّعاءات الإيمان بشخصه، بل باختبارات صادقة وحقيقية للخلاص. وقد لحظ ل. س. شايفر *L.S.Chafer* احتواء هذا الأصحاح على كلام عن الصلاة الفعالة (ع٧)، وعن الفرح السماوي (ع١١)، وعن الثمر الدائم (ع١٦). كما أن سرّ الخدمة الفعالة هو الصلاة: «**كل ما طلبتم**». وبذلك يكون التلاميذ قد أُرسلوا وعندهم الضمانة بأن **الآب** سوف يمنحهم كل ما يطلبونه **باسم** المسيح.

١٥: ١٧ كان الرب على وشك تنبيه التلاميذ إلى عداوة العالم لهم. لذا بدأ يحثّهم على أن يحبُّوا بعضهم بعضًا، ويلتصقوا أحدهم بالآخر، ويقفوا متحدين في وجه العدو.

ص. الرب يسوع يتنبأ ببغضة العالم لتلاميذه (١٥: ١٨- ١٦: ٤)

١٥: ١٨، ١٩ كان على التلاميذ ألاّ يستهجنوا **إن كان العالم يبغضهم**، ولا يفشلوا. (وإن الشرطية هنا، لا تشكك البتة في حصول هذا الأمر، بل بالحري تؤكده). فالعالم قد **أبغض** الرب، كما أنه سيبغض جميع الذين يشابهونه.

إن أهل العالم يحبون أولئك الذين يشاكلونهم في عيشهم: أولئك الذين يتفوهون بالكلام البذيء، وينغمسون في شهوات الجسد، أو أصحاب الثقافة العالية الذين لا يعيشون إلاّ لأنفسهم. أمّا المسيحيون المؤمنون، فتأتي سيرتهم الطاهرة والنقية لتدين هؤلاء القوم. **لذا يبغضهم العالم.**

١٥: ٢٠ على التلميذ ألاّ يتوقع من العالم أن يعامله بطريقة أفضل من تلك التي بها عامل **سيده** المسيح. لذا فإنه سيُضطهَد كما اضطُهد المسيح. كما أن كلمته ستُرفض، تمامًا كما رُفضت كلمات المخلّص.

١٥: ٢١ يقول الربُّ إن هذا الاضطهاد والبغضة هما «**من اجل اسمي**». ذلك لأن المؤمن أصبح مرتبطًا بالمسيح، ولأن المسيح فرزه عن العالم، وبما أنه أصبح يحمل اسم المسيح وشبهه. والناس، من جهة أخرى، يجهلون الله. إنهم **لا يعرفون** أن الآب كان قد أرسل الرب إلى العالم ليكون هو المخلّص. إلاّ أن الجهل لا يقوم عُذرًا.

١٥: ٢٢ لا يعلّم الرب هنا أنه لو لم يأتِ، لما كان الناس خطاة. فمنذ زمن آدم، والناس يخطئون. إلاّ أن خطيتهم لم تكن لتبلغ مستوى الفظاعة الذي كانت قد بلغته الآن. فهؤلاء القوم كانوا قد رأوا ابن الله، وسمعوا كلماته المباركة، كما أنهم لم يجدوا فيه أي عيب؛ ومع هذا رفضوه. وكان هذا هو الذي جعل خطيتهم عظيمة بهذا المقدار. إذًا، كانت المسألة هنا مسألة مقارنة. ذلك لأن خطاياهم الأخرى بانت كلا شيء لدى مقارنتها بهول خطية رفض رب المجد. والآن، وبعد رفضهم لنور العالم، **لم يعد لهم أي عذر في خطيتهم.**

١٥: ٢٣ إنهم **ببغضهم** المسيح، **أبغضوا أباه أيضًا.** فالاثنان واحد. وما كان باستطاعتهم القول إنهم احبّوا الله، وإلاّ لأحبوا أيضًا ذاك الذي كان الله قد أرسله.

١٥: ٢٤ لم يكونوا مسؤولين فقط لأنهم سمعوا تعاليم المسيح، بل لأنهم رأوا معجزاته أيضًا. وجاء هذا ليضيف إلى دينونتهم دينونة. لقد رأوا **أعمالاً لم يعملها أحد غير** الرب. فلا عذر لهم بعدُ في رفضهم للمسيح أمام هذا البرهان الدامغ. وإذ قارن الرب جميع خطاياهم الأخرى بهذه الخطية الواحدة، اعتبر أن كل تلك الخطايا هي كلا شيء. وبما أنهم **أبغضوا** الابن، فقد ابغضوا **أباه** أيضًا؛ وفي هذا تكمن دينونتهم الرهيبة.

١٥: ٢٥ أدرك الرب أن موقف الإنسان منه، جاء بمثابة تتميم حرفيّ أمام هذا البرهان الدامغ، للنبوة. ففي مزمور ٦٩: ٤، وردت النبوة عن المسيح أنهم **أبغضوه بلا سبب.** والآن، بعد أن تمت هذه الكلمة، ذكر الرب كيف أن العهد القديم الذي طالما افتخر به هؤلاء القوم، هو الذي كان قد تنبأ ببغضتهم له هذه التي لا أساس لها. إلاّ أن ورود هذه النبوة لم يكن ليُكره هؤلاء القوم بالضرورة على أن يبغضوا المسيح. لكنهم، في الواقع، أبغضوه بكامل اختيارهم، عن

سابق الإصرار والتصميم. وإذ سبق أن رأى الله حصول ذلك، جعل داود يدوّن ذلك في المزمور التاسع والستين.

١٥: ٢٦ ستستمر الشهادة للمسيح، على الرغم من رفض الإنسان. **والمعزي**، الروح القدس، هو الذي سيواصل ذلك. وقد صرّح الرب هنا بأنه هو الذي سوف **يُرسل الروح القدس من الآب**. أمّا في يوحنا ١٤: ١٦، فنقرأ عن الآب أنه هو الذي أرسل الروح القدس. ألا يشكل هذا برهانًا إضافيًا آخر على مساواة الابن للآب؟ فمَنْ غير الله كان قادرًا أن يرسل مَنْ هو الله؟ **الروح القدس الذي من عند الآب ينبثق**. وهذا يعني أن الله يرسله باستمرار، وبشكل دائم، حتى إنّ حلوله في يوم الخمسين، كان مثالاً محددًا على ذلك. والروح القدس يشهد للمسيح. وهنا تكمن مهمته العظمى. فهو لا يسعى لإشغال الناس بنفسه، مع كونه أحد أقانيم الثالوث، بل يوجّه انتباه الخاطي والقديس كليهما إلى رب المجد.

١٥: ٢٧ كان الروح القدس سيشهد بواسطة التلاميذ مباشرة. فهؤلاء كانوا مع الرب منذ **بداية** خدمته الجهارية، وكانوا بالتالي مؤهّلين، على نحو خاص، لإعلان شخصه وعمله. كما أن هؤلاء الذين لازموا الرب كل هذا الوقت، كانوا قادرين، أكثر من سواهم، أن يكتشفوا أية شائبة فيه لو وُجِدت. لكنه عاش أمامهم حياة بلا لوم، خاليةً من أيّ أثر للخطيّة. لذا، كان باستطاعتهم أن يشهدوا لحقيقة كونه ابن الله المنزّه عن الخطإ، ومخلّص العالم الوحيد.

١٦: ١ كان التلاميذ، على الأرجح، متعلّقين، هم أيضًا، برجاء الشعب اليهودي، بأن المسيّا سيأتي لتأسيس مملكته، ولكسر النير الروماني عنهم. لكن عوضًا عن ذلك، أخذ الرب يحدّثهم عن موته، وقيامته، ورجوعه إلى السماء. كما أن الروح القدس سيأتي، وينطلق التلاميذ للشهادة للمسيح، مكابدين من جراء ذلك البغضة والاضطهاد. وقد أعلمهم الرب مسبقًا بهذه الأمور، لئلا يخيب أملهم، أو **يعثروا**، أو يُصدَموا.

١٦: ٢، ٣ كان الإخراج من **المجامع** يُعتبر في نظر معظم اليهود من أسوإ الأمور التي قد تصيبهم. إلاّ أن هذا المصير كان من نصيب اليهود الذين اصبحوا من تلاميذ الرب يسوع. فالإيمان المسيحي كان مكروهًا، حتى إن الذين سعوا لمحوه، كانوا **يظنّون** أنهم بذلك يرضون الله. وهذا إنما يُظهر كيف يمكن أن يكون أحد الأشخاص مُخلصًا جدًّا، وغيورًا جدًّا، ومع هذا مخطئًا جدًا في تقديره للأمور.

كان الإخفاق في إدراك ألوهية المسيح هو أساس المشكلة. فاليهود رفضوه، وبفعلهم هذا، رفضوا قبول الآب.

١٦: ٤ عاد الرب من جديد، ينبّه التلاميذ مسبقًا، حتى لا يتزعزعوا من جراء هذه الضيقات لدى حصولها. لكنهم **سيتذكرون** أنه سبق أن تنبأ بحصول الاضطهاد عليهم، ويتحققون تاليًا أن كل ذلك كان جزءًا من خطّته لحياتهم. ولم يكن الرب قد حدّثهم كثيرًا عن هذه الأمور قبلاً، بما أنه كان معهم. كما أنه لم يكن هناك من حاجة لإزعاجهم، ولا لجعلهم ينشغلون عن الأمور الأخرى التي كان يريد تلقينهم إياها. أمّا الآن، وبعد أن دنا موعد رحيله عنهم، فكان من الضروري أن يُعدّهم لما كان ينتظرهم في المستقبل.

ق. مجيء روح الحق (١٦: ٥ـ١٥)

١٦: ٥ يعبّر العدد ٥، على ما يبدو، عن استياء الرب من عدم اهتمام التلاميذ أكثر بما سيحصل له. ومع أنهم كانوا قد سألوه، بشكل عام، عن وجهة سيره، وإلى أين كان **يمضي**، يبدو أنهم لم يكونوا معنيين كثيرًا بهذا الأمر.

١٦: ٦ كانوا مهتمين بمستقبلهم أكثر من اهتمامهم بمستقبل الرب. فالصليب والقبر كانا بانتظار الرب، فيما كان ينتظرهم تحمّل الاضطهاد في خدمتهم للمسيح. وهكذا **ملأ الحزن قلوبهم** على ضيقاتهم أكثر ممّا على تلك التي سيعانيها الرب.

١٦: ٧ لكن، لن يتركهم من دون مساعدة وتعزية. فهو سيرسل إليهم الروح القدس **ليعزيهم**. كما أنه كان من مصلحة التلاميذ، ولخيرهم، أن يأتي **المعزي**. فهو يعزّزهم بالقوة، ويمنحهم شجاعة، ويعلّمهم، ويجعل المسيح حقيقة ثابتة بالنسبة إليهم أكثر من أي وقت مضى. إلاّ أن هذا المعزي لن يأتي إلاّ بعد أن يكون الرب يسوع قد عاد إلى السماء وتمجّد. كان الروح القدس بالطبع موجودًا في العالم قبل ذلك، لكنه كان سيأتي، بشكل جديد، لتبكيت العالم، ولخدمة المفديين.

١٦: ٨ الروح القدس، **سيبكّت العالم على خطية، وعلى بر، وعلى دينونة**. وهذا يعني، في نظر الكثيرين، أنه يجعل داخل الخاطي الفرد وعيًا لهذه الأمور. ومع أن هذا الرأي صحيح إلا أنه لا يناسب تمامًا التعليم المتضمّن في هذه الفقرة. فالروح القدس يدين **العالم** بمجرد وجوده هنا. كان يجب ألاّ يكون هنا، لأنه كان ينبغي أن الرب يكون هنا لكي يملك على العالم. إلاّ أن العالم رفضه، وهكذا عاد إلى السماء. لذا، فالروح القدس هو هنا عوضًا عن المسيح المرفوض. وهذا إنما يثبّت ذنب العالم.

١٦: ٩ الروح القدس يبكّت العالم على خطية إخفاقه في **الإيمان** بالمسيح. كان جديرًا بالإيمان به، ولم يكن فيه أي شيء يجعل من المستحيل على الناس أن يؤمنوا به؛ لكنهم رفضوا ذلك. لذا، فإن حضور الروح القدس في العالم هو شهادة على هذا الجُرم.

١٦: ١٠ كان الرب قد صرّح بأنه بار، لكن الناس قالوا فيه إنّ به شيطانًا. غير أن الكلمة الأخيرة كانت لله، فهو تعالى صرّح بما معناه: "ابني بار، وسأبرهن ذلك بإقامته من الأموات وإعادته إلى السماء". والروح القدس يشهد لحقيقة أن المسيح كان على حق، والعالم على خطإ.

١٦: ١١ كما أن حضور الروح القدس، يبكّت العالم أيضًا على **الدينونة** المقبلة. فوجوده هنا يعني أن الشيطان قد دين في الصليب، وأنّ جميع الذين يرفضون المخلّص سيشاركون الشيطان أخيرًا في دينونته المروّعة.

١٦: ١٢ كان ما يزال لدى الرب **أمور كثيرة** لينقلها إلى التلاميذ، لكنهم لم يكونوا قادرين على استيعابها. ونحن هنا أمام مبدإ تعليمي هام: إن إحراز بعض التقدّم في التعلّم يجب أن يسبق الحصول على أي حق متقدم إضافي. والرب لم يكن أبدًا ليُربك التلاميذ بالتعليم. بل كان يقدمه لهم على أساس «أمر على أمر، وفرض على فرض».

١٦: ١٣ كان ينبغي أنّ **روح الحق** يتابع العمل الذي كان قد بدأه الرب. فهو سيرشدهم إلى **جميع الحق**. فالرب، كان، بمعنى من المعاني، قد أودع الرسل **كل الحق**، وذلك خلال حياتهم على الأرض. وبعد أن كتبوه، صار لدينا

الآن كل الحق في أسفار العهد الجديد. وإذا ما أضفنا أسفار العهد القديم، يكون بذلك قد اكتمل إعلان الله المكتوب للناس. وبالطبع، يصحّ أيضًا القول إن الروح القدس، كان وما يزال، في كل العصور والأجيال، يقود شعب الله إلى كل الحق. وهو يتمم ذلك من خلال الكتاب المقدس. فهو **يتكلم** فقط بتلك الأمور التي يعطيه الآب والابن أن يقولها. **ويخبركم بأمور آتية**: هذا بالطبع، يحصل في كتاب العهد الجديد، وبالتحديد في سفر الرؤيا، حيث يُرفع النقاب عن المستقبل.

١٦: ١٤ سيكون عمل الروح القدس الرئيس هو **تمجيد** المسيح. على هذا الأساس، باستطاعتنا امتحان كل تعليم وكل وعظ. فالتعليم أو الوعظ الذي يؤول إلى تعظيم المخلّص، يكون بالروح القدس. والعبارة «**يأخذ ممّا لي**» تعني أنه يتلقّى الحقائق العظمى المختصة بالمسيح لكي يعلنها للمؤمنين. وهذا الموضوع المبارك واسع وعميق، ولا ينضب أبدًا.

١٦: ١٥ كل صفات الآب تخص الابن أيضًا. وهذه هي الكمالات التي تحدّث عنها المسيح في العدد ١٤. فالروح القدس هو الذي كشف للرسل كمالات الرب يسوع المجيدة، إلى جانب خدماته، وأعماله، ونعمته، وملئه.

ر. *الحزن يتحول إلى فرح* (١٦: ١٦-٢٢)

١٦: ١٦ لا نعرف بالتحديد الإطار الزمني للعدد ١٦. فقد يعني أن الرب سيغيب عنهم مدة ثلاثة أيام، لكي يعود ويطلّ عليهم ثانية بعد قيامته. أو ربما يعني أنه سيرجع إلى أبيه في السماء، ثم يعود إليهم (مجيئه ثانيةً) **بعد قليل** (الجيل الحاضر). أو قد يعني هذا العدد أيضًا أنه **بعد قليل** لن يعود بإمكانهم أن **يبصروه** بعيون أجسادهم، إلاّ أنهم سيرونه بالإيمان، بشكل لم يعهدوه قط من قبل، وذلك بعد حلول الروح القدس في يوم الخمسين.

١٦: ١٧ التبست الأمور على **التلاميذ**. والسبب في ذلك هو أنه سبق أن قال المخلّص في العدد ١٠: «أنا ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا». وها هو الآن يصرّح بالقول: «**بعد قليل لا تبصرونني ثم بعد قليل أيضًا ترونني**». وهكذا عجزوا عن التوفيق بين مضمون هذين التصريحين.

١٦: ١٨ ساءلوا بعضهم بعضًا عمّا عسى أن يكون معنى العبارة «**بعد قليل**». ونحن، يا للعجب، ما نزال نواجه هذه المشكلة عينها حتى في يومنا هذا. ذلك لأننا لا نعلم هل الإشارة هنا هي إلى الأيام الثلاثة التي تسبق قيامته أو إلى فترة الأربعين يومًا قبل يوم الخمسين، أو إلى المدة التي تسبق مجيئه الثاني، والتي زادت على الألف والتسع مئة سنة حتى الآن.

١٦: ١٩، ٢٠ لقد تمكن الرب، لكونه الله، من أن يقرأ أفكارهم. وهكذا أظهر، من خلال أسئلته، معرفته الكاملة بارتباكهم وحيرتهم.

فهو لم يردّ عليهم بشكل مباشر، بل قدّم لهم المزيد من الإيضاحات بشأن العبارة «بعد قليل». **فالعالم** سيفرح لأنه نجح في صلب الرب يسوع، بينما التلاميذ **سيبكون وينوحون**. إلاّ أن هذا لن يستغرق إلاّ فترة وجيزة فقط. ذلك لأن **حزنهم سيتحول إلى فرح**. وهذا ما حصل فعلاً، أولاً بالقيامة، وثانيًا بحلول الروح القدس. ومن ثَمّ، وبالنسبة إلى جميع التلاميذ في كل العصور، سيتحوّل حزنهم إلى فرح لدى مجيء الرب ثانية.

١٦: ٢١ ما من شيء أعظم من السرعة التي بها تنسى الأم آلام الشدة بعد ولادة طفلها. وهذا ما يحصل للتلاميذ. فإنهم سرعان ما سينسون الآلام التي رافقت غياب ربهم عنهم، حالما يرونه مرة أخرى.

١٦: ٢٢ هنا أيضًا ينبغي لنا أن نعبّر عن جهلنا للوقت المشار إليه في كلمات الرب: «**سأراكم أيضًا**». فهل المقصود هنا هو القيامة، أم إرسال الروح القدس في يوم الخمسين، أم المجيء الثاني؟ غير أن النتيجة في كل الأحوال هي ابتهاج، وفرح لا يمكن لأحد أن ينزعه منا.

ش. الصلاة إلى الآب باسم يسوع (١٦: ٢٣-٢٨)

١٦: ٢٣ كان التلاميذ، حتى ذلك الحين، يأتون إلى الرب بكل أسئلتهم وطلباتهم. أمّا **في ذلك اليوم** (العصر الذي يبدأ بحلول الروح القدس في يوم الخمسين)، فلن يعودوا يطرحون عليه أيّة أسئلة، بسبب عدم حضوره الجسدي معهم. لكن، هل يعني هذا أنّه لم يعد لديهم أحد يقصدونه في الضيق أو عند الحاجة؟ كلاّ! بل **في ذلك اليوم**، سينعمون بامتياز **الطلب من الآب**. فهو سيستجيب طلباتهم من أجل اسم يسوع. وهذا الحصول على الطلبات، يتم لا باستحقاقاتنا، بل على أساس استحقاقات الرب يسوع.

١٦: ٢٤ لم يسبق للتلاميذ أن صلّوا قبلاً إلى الله الآب **باسم** الرب يسوع. والآن أصبحوا مدعوين إلى **الطلب** منه. وهكذا سيكمّل فرحهم، بعد حصولهم على استجابة صلواتهم.

١٦: ٢٥ لم يكن معنى الكثير من تعليم المسيح يظهر دائمًا بشكل واضح. لكنه كثيرًا ما استخدم أسلوب **الأمثال**. حتى في هذا الأصحاح بالذات، يعسر علينا أحيانًا كثيرة أن نفهم المعنى المقصود تمامًا. لكن، بمجيء الروح القدس، أصبح التعليم **عن الآب** أكثر وضوحًا وبساطة. لذا، لم يعد الحق يُعلَن في سفر أعمال الرسل وفي الرسائل بواسطة الأمثال، بل بشكل تصريحات مباشرة.

١٦: ٢٦ إن العبارة «**ذلك اليوم**»، تشير هنا أيضًا إلى عصر الروح القدس، العصر الذي نعيش فيه. وعندنا امتياز الصلاة إلى الآب باسم الرب يسوع. **ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم**: أي أن الآب ليس في حاجة إلى من يحثّه على استجابة صلواتنا. ولا داعي لأن يتوسّل إليه الربّ يسوع بهذا الصدد. إلاّ أنه يبقى علينا أن نتذكّر باستمرار أن الرب يسوع هو الوسيط بين الله والإنسان، وأنه هو الذي يتشفع بشعبه أمام عرش الله.

١٦: ٢٧ لقد أحبّ **الآب** التلاميذ، بما أنهم قبلوا المسيح، وأحبّوه، وآمنوا بألوهيته. وبسبب هذا، لم يكن الرب في حاجة إلى التوسّل إلى الآب من أجلهم. لكن بمجيء الروح القدس ينعمون بصنف جديد من العلاقة الحميمة بالآب. كما أنه سيكون بوسعهم الاقتراب منه بثقة، وكل ذلك لأنهم أحبّوا ابنه.

١٦: ٢٨ هنا كرّر الربّ يسوع تصريحه بمساواته لله الآب. فهو لم يقل: "خرجت من عند الله"، كما لو كان مجرد نبي مرسل من قِبَل الله، بل قال: «**خرجت من عند الآب**». وهذا يعني أنه الابن الأزلي للآب الأزلي، والمساوي لله الآب. لقد **أتى إلى العالم** كمن عاش في مكان آخر قبل مجيئه هذا. ثم، عند صعوده، ترك العالم لكي **يعود إلى الآب**. وهذا يشكّل سيرة رب المجد، بكل اختصار.

ت. ضيق وسلام (١٦: ٢٩-٣٣)

١٦: ٢٩، ٣٠ ظن تلاميذ المسيح أنه بات باستطاعتهم الآن، لأوّل مرة، أن يفهموه. ذلك لأنه، كما **قالوا**، لم يعد يستخدم معهم أسلوب الأمثال.

فباعتقادهم أنهم دخلوا **الآن** إلى كنه شخصيته وجوهرها. والآن أصبحوا يعرفون يقينًا أنه كلّي المعرفة وأنه **خرج من** الله. إلاّ أنه سبق أن صرّح بأنه خرج من عند الآب. فهل أدركوا معنى ذلك؟ وهل فهموا أن يسوع كان أحد أقانيم اللاهوت؟

١٦: ٣١ أشار يسوع ضمنًا، من خلال هذا السؤال، إلى أن إيمانهم كان ما يزال ناقصًا. كان على علم بأنهم أحبّوه، ووثقوا به، لكن هل عرفوا حقًّا أنه كان الله الذي ظهر في الجسد؟

١٦: ٣٢ كان بعد وقت قليل، سيُلقى القبض عليه، ويحاكَم، ويُصلب. عندئذ سيتخلّى التلاميذ عنه، ويهرب كل واحد إلى بيته. لكنه لن يكون في وحشة بما أن الآب سيبقى **معه**. لقد فاتهم إدراك هذه الوحدة مع الله الآب. ففيها كان سيجد كل الدعم بعد أن يكون الجميع قد هربوا إنقاذًا لحياتهم.

١٦: ٣٣ كان القصد من هذا الحديث مع التلاميذ، أن **يكون لهم سلام**. كان باستطاعتهم أن يتمتعوا **بالسلام** فيه، متى أبغضهم الناس، وطاردوهم، واضطهدوهم، وحكموا عليهم زورًا، بل عذّبوهم أيضًا. ففي صليب الجلجثة، كان الرب قد أحرز النصرة **على العالم**. لذا، وعلى الرغم من ضيقاتهم، كان بوسعهم دائمًا أن يتيقّنوا أنهم يقفون مع الفريق الغالب.

يُضاف أنّهم كانوا بمجيء الروح القدس سينالون قدرات جديدة للاحتمال، مع شجاعة من صنف جديد، لمواجهة العدو.

ث. يسوع يصلي لأجل خدمته (١٧: ١-٥)

وصلنا الآن إلى ما يُعرف بصلاة الرب يسوع كرئيس الكهنة. ففي هذه الصلاة، تشفّع بخاصته. إنها صورة عن خدمته الحاضرة في السماء حيث يصلّي لأجل شعبه. وقد كتب ماركوس راينسفورد *Marcus Rainsford* في هذا السياق:

> هذه الصلاة بمجملها، هي بمثابة إيضاح جميل لشفاعة الرب يسوع المباركة عن يمين الله. فهي تخلو من أية كلمة ضدّ شعبه، ومن أية إشارة إلى سقطاتهم أو هفواتهم... إنه لا يذكر أي شيء من هذا القبيل. لكنه يتكلم عنهم فقط من زاوية دخولهم في قصد الله، وعلاقتهم به، وبصفتهم قد نالوا منه كل ملء البركات التي جاء من السماء ليُغدقها عليهم. وجميع الطلبات الخاصة التي رفعها الرب لأجل شعبه لها علاقة بالأمور الروحية، كما أنها تشير جميعها إلى البركات السماوية. فالرب لا يطلب لهم الغنى أو الكرامات، أو النفوذ العالمي، أو المناصب الرفيعة؛ بل يصلي لأجلهم، بكل صدق، من أجل حفظهم من الشر، وانفصالهم عن العالم وتأهيلهم لأداء الواجب، وبلوغهم بسلام بيتهم السماوي. فنجاح النفس يبقى أفضل نجاح، كما أنه علامة النجاح الحقيقي.

١٧: ١ قد أتت الساعة. كان أعداء الرب قد عجزوا مرات عديدة عن الإمساك به، بما أن ساعته لم تكن قد أتت بعد. ولكن الآن، جاء الوقت الذي فيه يُسلّم

الرب للموت. لذا صلّى المخلّص: «**مجّد ابنك**». كان يتطلع قُدمًا إلى موته على الصليب. فلو أنه بقي في القبر، لكان العالم قد اعتبره مجرّد إنسان عادي. لكن إذا مجّده الله بإقامته له من الموت، يكون ذلك برهانًا على أنّه ابن الله ومخلّص العالم. وقد استجاب الله هذه الطلبة بإقامة الربّ يسوع من بين الأموات في اليوم الثالث، ومن ثم بأخذه مجدَّدًا إلى السماء، وبتكليله بالمجد والكرامة.

وأردف الرب يقول: **ليمجّدك ابنك أيضًا**. يتّضح لنا معنى هذا الكلام في العددين التاليين. فالربُّ يسوع يمجد الآب بإعطائه حياة أبدية للمؤمنين به. كما أن الله يتمجد كثيرًا برجوع الفجّار إليه، وإظهارهم حياة الرب يسوع بعيشتهم هنا على الأرض.

١٧: ٢ لقد أعطى الله ابنه سلطانًا على كل بشر، وذلك من جراء عمله الفدائي على الصليب. وهذا **السلطان** يخوّله **إعطاء الحياة الأبدية للذين أعطاهم** إياه الآب. ويذكرنا الوحي الإلهي، هنا أيضًا، أن الله كان، قبل تأسيس العالم، قد ميّز بعض الأشخاص بأن خصّصهم للمسيح. لكن، يجب ألاّ يغيب عن بالنا أن الله يعطي حياة أبدية لكل من يقبل يسوع المسيح. فما من أحد لا يستطيع أن يخلُص من طريق الوثوق بالمخلّص.

١٧: ٣ أمامنا هنا شرح بسيط لسبيل الحصول على **الحياة الأبدية**. فهذا يتم بمعرفة الله والرب يسوع المسيح. والكلام هنا عن الله **الحقيقي وحده** بالمفارقة مع الأوثان التي ليست بآلهة حقيقية على الإطلاق. إلاّ أن هذا العدد البتة لا يعني أن يسوع المسيح ليس هو الله الحق. بل إن مجرد ذكر اسمه مع اسم الله الآب بصفتهما المصدر المشترك للحياة الأبدية، يعني أنهما متساويان. وقد أطلق الرب على نفسه هنا التسمية **يسوع المسيح**. ومن جهة أخرى، معروف أن المسيح هو نفسه المسيّا. لذا، فإن هذا العدد يدحض الزعم بأنّ يسوع لم يدّع قط أنه المسيّا.

١٧: ٤ نطق الرب بهذه الكلمات كما لو كان بالفعل قد مات ودُفن وقام. فهو كان قد مجّد الآب بحياته المنزّهة عن الخطإ، وبمعجزاته، كما بآلامه وموته وقيامته أيضًا. لقد أكمل عمل الخلاص الذي كان الآب قد أوكل إليه تتميمه. وكما قال رايل *Ryle*:

> لقد آل الصلب إلى تمجيد الآب. لقد مجّده على حكمته، وأمانته، وقداسته، ومحبته. فهو أظهره إلهًا حكيمًا في ترتيبه خطة استطاع بموجبها أن يكون بارًا، وفي الوقت عينه يبرِّر الفجّار. كما أظهره إلهًا أمينًا في حفظه وعده بشأن نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية. ومن جهة أخرى، أظهره إلهًا قدُّوسًا، بإصراره على أن يقوم بديلنا العظيم بالوفاء بمطالب ناموسه تعالى. لقد أظهره إلهًا مُحبًّا ببذله ابنه الأزلي المعادل له، لأجل الإنسان الخاطي، وسيطًا وفاديًا وصديقًا.
>
> والصلب آل إلى تمجيد الابن أيضًا. لقد مجّده على حنانه، وعلى صبره، وقدرته. لقد أظهره في حنانه العظيم، إذ ارتضى أن يموت لأجلنا، ويتألم عوضًا عنّا، ويقبل بأن يُحسَب خطية ولعنة لأجلنا، ومن ثم يشتري لنا فداءنا بدم نفسه ثمنًا لذلك. كما أظهره في صبره العظيم، إذ مات ميتة تختلف عن الطريقة التي بها يموت معظم الناس، هذه ميتة التي فيها ارتضى طوعًا أن يحتمل آلامًا هذا مقدارها، وعذابات مجهولة لدينا، لا يستطيع أيُّ ذهن بشري أن يدركها أو يحدّها. كل ذلك عندما كان بوسعه أن ينطق بكلمة واحدة، فتأتي ملائكة أبيه إلى

معونته وتحرره وتنقذه. وأخيرًا، لقد أظهره في قدرته العظيمة، إذ تمكن من احتمال تعديات العالم جميعها، ودحر الشيطان، وإنقاذ الضحايا من قبضته.

١٧: ٥ كان المسيح، قبل مجيئه إلى العالم، يُقيم مع الآب في السماء. فعندما نظرت الملائكة إلى الرب، رأت فيه كل مجد اللاهوت. كما أن كل عين كانت ترى فيه الله حقًا. لكن مجد اللاهوت هذا حُجب خلال وجوده بين الناس. كان ما يزال هو الله، إلاّ أنّ ذلك المجد لم يعد ظاهرًا لمعظم الناظرين إليه. لم يكونوا يرون فيه إلاّ ابن النجار. لذا، صلى المخلّص هنا حتى يُعاد إليه الإعلان المنظور لمجده السماوي. فالعبارة «**مجّدني عند ذاتك**» تعني "مجدني في حضورك في السماء. وردّ لي المجد الأول الذي كنت أشاركك فيه قبل تجسّدي". وهذا يعلّم، بكل وضوح، حقّ وجود المسيح الأزلي.

خ. *يسوع يصلّي لأجل تلاميذه* (١٧: ٦-١٩)

١٧: ٦ كان الربُّ يسوع قد **أظهر اسم** الآب للتلاميذ. **والاسم**، في الكتاب المقدس، يشير إلى الشخصية ككل، إلى صفاتها وطباعها. فالمسيح كان قد أعلن بالتمام طبيعة الآب الحقيقيّة. ومن جهة أخرى، كان التلاميذ قد أُعطوا إلى الابن **من العالم**. لقد تمّ فصلهم عن حشود الناس غير المؤمنين، وتخصيصهم للمسيح. وقد كتب بلّت *Bellet* في هذا المجال: "كانوا، قبل تأسيس العالم، يخصّون الآب على أساس الاختيار، فأصبحوا الآن من خاصة المسيح كعطية الآب له، وعلى أساس شرائهم بالدم".

قال الرب أيضًا: «**وقد حفظوا كلامك**». فالرب يُثني هنا على إيمانهم بتعليمه وإطاعتهم له، وذلك على الرغم من سقطاتهم وتقصيراتهم. وقد علّق راينسفورد *Rainsford* على هذا بالقول: "لا ينطق الرب هنا بأية كلمة ضدّ شعبه، ولا يذكر أي شيء عمّا فعلوه أو كانوا على وشك فعله، لا سيّما بالنسبة إلى تخلّيهم عنه".

١٧: ٧، ٨ كان المخلّص قد مثّل أباه على أكمل وجه. لذا أوضح لتلاميذه أنه لم يتكلم ولا تصرّف من تلقاء نفسه، بل عمل بإرشاد الآب فقط. وعليه، **آمنوا** بأن الآب قد **أرسل** الابن.

بالإضافة إلى ذلك، لم يكن المسيح هو الذي ابتكر إرساليته الخاصة به، بل جاء إطاعة لإرادة أبيه. وبذلك، كان عبدَ يهوه (الربّ) الكاملَ.

١٧: ٩ وبصفته رئيس كهنة، صلّى لأجل التلاميذ، من دون أن **يسأل لأجل العالم**. غير أن هذا لا يعني أن المسيح لم يصلِّ قط لأجل العالم. فطلبته على الصليب كانت: «اغفر لهم يا أبتاه، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون».

أمّا هنا فيصلّي بصفته ممثّل المؤمنين أمام عرش الله، حيث لا يمكنه التشفّع إلاّ بخاصته.

١٧: ١٠ تظهر هنا الوحدة الكاملة بين الآب والابن. وذلك لعجز الإنسان العادي عن التفوّه، بصدق، بهذه الكلمات. فنحن قد نتمكن من مخاطبة الله بالقول: «**كل ما هو لي هو لك**»، إلاّ أنه لا يمكننا أن نقول له: «**وما هو لك فهو لي**». أمّا الابن فنطق بهذا الكلام، بسبب مساواته للآب. ومن جهة أخرى، يعرض الرب يسوع، في الأعداد ٦-١٩، قطيعه المسكين والخَجِل، ثم يكسو كل خروف منهم برداء بهي متعدّد الألوان، إذ يصرّح بالقول: «**أنا ممجَّد فيهم**».

١٧: ١١ عاد الرب من جديد يستبق رجوعه إلى السماء، وها هو يصلّي كأن هذا الأمر قد حصل وتمّ. ولنتوقف قليلاً عند العبارة «**الآب القدوس**». **فالقدوس**، يشير إلى الكائن السامي بلا حدود، بينما **الآب** يدلّ على الكائن القريب بلا حدود.

إن دعاء يسوع «**ليكونوا واحدًا**»، يشير إلى الوحدة ذات الطابع المسيحي. وكما أن الآب والابن واحد في تشابههما الأدبي، هكذا يجدر بالمؤمنين أن يتّحدوا من زاوية شبههم بالرب يسوع.

١٧: ١٢ عندما كان المخلّص مع التلاميذ، كان يحفظهم **في اسم** الآب، أي بقدرته وسلطانه. كذلك قال الرب أيضًا: «**ولم يهلك منهم أحد إلاّ ابن الهلاك**»، أي يهوذا. لكن هذا لا يعني البتّة أن يهوذا كان واحدًا من الذين أعطاهم الآب للابن، أو كان مؤمنًا حقيقيًّا. وهذا اللقب «ابن الهلاك»، يعني أن يهوذا كان قد أُسلم للهلاك الأبدي. كما أن يهوذا لم يخن المسيح ويسلّمه مرغمًا بقصد تتميم النبوة، إلاّ أنه اختار ذلك طوعًا، وبذلك يكون قد **تمّ الكتاب**.

١٧: ١٣ أوضح الرب سبب رفعه صلاة في محضر تلاميذه. وكأنه أراد أن يقول لهم: "هذه تشفّعات لن أكفّ عن تقديمها أمام الله في السماء. لكني الآن أرفعها **في العالم**، وعلى مسامعكم، حتى يتسنى لكم، أن تدركوا، بشكل أوضح، مدى انشغالي برعاية مصالحكم، وهكذا تشاركوني أكثر **في فرحي**".

١٧: ١٤ كان الرب قد أعطى التلاميذ **كلمة** الله، فقبلوها. وعلى أثر ذلك، ثار **العالم** ثورته عليهم، **وأبغضهم**. لقد ظهرت فيهم خصائص الرب يسوع، لذا أبغضهم **العالم** لأنه لم يكن لهم أي مكان ضمن خططه.

١٧: ١٥ لم يطلب الرب من الآب أن يأخذ المؤمنين إلى بيتهم السماوي فورًا. بل يجب أن يبقوا هنا حتى ينموا في النعمة، ويشهدوا للمسيح. إلاّ أن يسوع صلّى لأجل حفظهم **من الشرير**. فالكلام هنا هو عن الحفظ، وليس عن الإجلاء.

١٧: ١٦ **ليس** المسيحيون المؤمنون **من العالم** كما أن المسيح **ليس من العالم**. ويجدر بنا أن نبقى نتذكر هذا الأمر، عندما نتعرض للمشاركة في تسلية عالمية، أو في برامج عالمية باطلة لا تمجّد اسم الرب يسوع.

١٧: ١٧ **التقديس** يعني الإفراز والتخصيص. وكلمة الله تعمل على تقديس المؤمنين. فعلى قدر ما يقرأونها ويطيعونها، يُخصَّصون أكثر فأكثر للرب كأوانٍ صالحة لخدمته. وهذا تمامًا ما قصد الرب يسوع أن يصلّي لأجله هنا. كان يريد شعبًا مفرَزًا لله من العالم، وأهلاً لأن يستخدمه الله. وقال الربّ يسوع: «**كلامك هو حق**» فهو لم يقُل، كما يقول الكثيرون اليوم: "كلامك يحتوي على الحق"، بل أعلن: «**كلامك هو حق**».

١٧: ١٨ كان الآب قد أرسل الرب يسوع **إلى العالم** لكي يعلن للناس طبيعة الله وسجاياه. لذا صلّى الرب وهو يدرك تمامًا أنه عائد سريعًا إلى السماء. فالأجيال اللاحقة ستبقى في حاجة إلى شهادة، من نوع ما، عن الله. وكان على المؤمنين أن يقوموا بهذا العمل، بقوة الروح القدس. وبالطبع، لن يتمكن المسيحيون أبدًا من تمثيل الله على أكمل وجه، كما مثّله المسيح، وذلك لسبب بسيط، وهو أنهم لن يصبحوا يومًا مساوين له تبارك اسمه. إلاّ أن هذا لا ينفي أنه يتعيّن عليهم أن يمثّلوا

الله على الأرض، بما أن هذا هو الغرض من وجودهم هنا. كما أنه لأجل هذا **أرسلهم** الربُّ يسوع **إلى العالم**.

١٧: ١٩ التقديس، لا يعني بالضرورة جعل شيء ما مقدّسًا (*holy*). فالرب هو قدوس في ما يتعلق بخُلقه الشخصي. لذا، فالمقصود هنا هو أن الرب خصّص نفسه للعمل الذي أرسله الآب للقيام به، أي موته النيابي. أو قد يعني أن الرب قد أفرز نفسه بأخذه مكانه خارج العالم، ودخوله إلى مجده. وقد ذكر فاين *Vine* في هذا السياق: "أن تقديسه هو عيّنة لتقديسنا، وهو قوته الدافعة". ذلك لأنه يجدر بنا، نحن أيضًا، أن ننفرز عن العالم لكي نحظى بنصيبنا مع الرب.

ذ. يسوع يصلّي لأجل جميع المؤمنين به (١٧: ٢٠-٢٦)

١٧: ٢٠ والآن وسّع رئيس الكهنة نطاق صلاته لكي لا تعود تقتصر على التلاميذ وحدهم. لقد صلّى لأجل الأجيال التي لم تكن قد وُلدت بعد. وفي الواقع، باستطاعة كل مؤمن يقرأ هذه الآية أن يصرّح بالقول: "إنَّ الربّ يسوع صلّى لأجلي قبل أكثر من ألف وتسع مئة سنة".

١٧: ٢١ لقد صلّى الربُّ لأجل وحدة المؤمنين، لكن من زاوية خلاص الخطاة، هذه المرة. ولم يقصد المسيح، في صلاته هذه، الوحدة الخارجية للكنيسة، بل كان يهدف بالحريّ إلى وحدة مؤسّسة على التشابه الأدبي. كان يصلّي ليكون المؤمنون واحدًا في إظهار سجايا الله والمسيح. وهذا ما سيجعل العالم **يؤمن** بأن الله قد أرسله. إنها الوحدة التي تدفع العالم إلى التصريح بالقول: "إني أرى المسيح في هؤلاء المسيحيين، تمامًا كما كان الآب يُرى في المسيح".

١٧: ٢٢ في العدد ١١، كان الرب قد صلّى لأجل الوحدة في الشركة، كما أنه صلّى في العدد ٢١ لأجل الوحدة في الشهادة. وها هو يتناول الآن الوحدة في **المجد**. وهذا إنما يجعلنا نتطلع قُدُمًا إلى الوقت الذي فيه يُعطى القديسون أجسادهم الممجّدة. فالعبارة «**المجد الذي أعطيتني**»، تشير إلى مجد القيامة والصعود.

ونحن لم نحصل على هذا المجد بعد. لقد أُعطي لنا بموجب مقاصد الله، إلاّ أننا لن نناله إلاّ بعد عودة المخلّص لأخذنا إلى السماء. كما أنه سيُستعلَن للعالم عند رجوع المسيح لإقامة ملكوته على الأرض. وفي ذلك الوقت، سيدرك العالم تلك الوحدة الجوهرية القائمة بين الآب والابن، وبين الابن وشعبه، وسيؤمن (بعد فوات الأوان) أن يسوع قد أرسله الله.

١٧: ٢٣ لن يدرك **العالم** أن يسوع كان الله الابن وحسب، بل سيعرف أيضًا أن الله قد أحب المؤمنين تمامًا كمحبته للمسيح. قد يصعب علينا تصديق أن يكون الله قد أحبنا بهذا المقدار، لكن هذا لا يغيّر في شيءٍ من واقعنا هذا المجيد.

١٧: ٢٤ يرغب الابن في أن يكون شعبه معه في المجد. لذا فإن كل حادثة موت أحد المؤمنين هي، بشكل من الأشكال، بمثابة استجابة لهذه الصلاة. وهذا الأمر، في حال أدركناه، سيملأنا تعزية في خضمّ أحزاننا. فالموت هو الانطلاق لنكون مع المسيح، **ولننظر مجده**. وهذا المجد لا يقتصر على مجد اللاهوت الذي كان له مع الله قبل كون العالم، بل هو أيضًا المجد الذي اكتسبه بصفته مخلّصًا وفاديًا. كما أن هذا **المجد** هو البرهان على أن الله **أحب** المسيح **قبل إنشاء** العالم.

١٧ : ٢٥ لقد فات **العالم** أن يرى إعلان الله لنفسه في المسيح. إلاّ أن بعض التلاميذ وُفِّقوا إلى ذلك، وبالتالي آمنوا بأن الله كان قد **أرسل** الرب يسوع. فعلى عتبة حصول عملية الصلب، لم يكن هناك سوى عدد قليل من القلوب الأمينة في البشرية جمعاء، ولكن حتّى هؤلاء كانوا على وشك التخلّي عن المخلّص.

١٧ : ٢٦ كان الرب يسوع، خلال وجوده مع التلاميذ، قد أعلن لهم **اسم** الآب. فكلماته وأعماله لم تكن سوى كلمات الآب وأعماله. هكذا رأوا في المسيح التعبير الكامل عن الآب. كما أن يسوع واصل **تعريفهم** باسم الآب، وذلك من خلال خدمة الروح القدس. فالروح القدس ما يزال منذ يوم الخمسين، يعلّم المؤمنين عن الله الآب. فبواسطة كلمة الله، باستطاعتنا التعرف أكثر فأكثر بهوية الله. وعندما يقبل الناس الآب كما يعلنه لهم الرب يسوع، فإنهم يصبحون، من جراء ذلك، محطّ **محبة** الآب على نحو خاص. وبما أن الرب يسوع يسكن داخل جميع المؤمنين، ففي وسع الآب أن ينظر إليهم ويعاملهم كما يعامل ابنه الوحيد. وقد علّق رُويس *Reuss* بالقول:

> إن محبة الله التي كانت، قبل خلق العالم المادي، مرتكزة على شخص الابن (ع٢٤)، أصبحت الآن، بعد خلق العالم الروحي الجديد، موجّهة إلى جميع الذين اتّحدوا بالابن. إن ما أراده الله، من خلال إرساله ابنه هنا على الأرض، هو أن يتمكّن من أن يكوّن لنفسه، من وسط البشرية، عائلة من الأولاد نظيره.

بما أن الرب يسوع هو داخل المؤمن، فلذا يستطيع الله أن يحبه كمحبته للمسيح.

> كم أنا عزيز، بل عزيز جدًّا على قلب الله
> حتى إنه يستحيل أن أكون أعزّ من هذا على قلبه؛
> فهو يحبني بالمحبة نفسها
> التي يحب بها الابن.
>
> *كتسبي باجت Catesby Paget*

إن الطلبات التي رفعها المسيح لأجل شعبه، كما لحظ راينسفورد *Rainsford* ..

> تشير إلى أمور روحية، وإلى بركات سماوية. فهو لا يطلب لأجلهم الغنى، أو الكرامات، أو النفوذ العالمي، بل لأجل إنقاذهم من الشر، وانفصالهم عن العالم، وتأهيلهم لأداء الواجب وبلوغهم السماء بأمان.

٨ـ ابن الله في آلامه وموته (اص١٨، ١٩)

أ. *يهوذا يسلّم الرب* (١٨: ١ ـ ١١)

١٨ : ١ كان الرب في أورشليم عندما نطق بكلمات الفصول ١٣ ـ ١٧. والآن ترك **يسوع** المدينة، واتّجه شرقًا نحو جبل الزيتون. وبفعله هذا، عبر وادي **قدرون** وجاء إلى بستان جثسيماني، الواقع عند المنحدر الغربي من جبل الزيتون.

١٨ : ٢، ٣ علم **يهوذا** أن الرب كان يقضي أوقاتًا طويلة وهو يصلّي في البستان. لذا قصد موضع الصلاة، إذ كان في نظره أكثر الأمكنة احتمالاً للعثور على الرب.

يُرجّح أن **الجنود** كانوا من التبعية الرومانية، فيما كان **الخدام** من المسؤولين اليهود الذين كانوا يمثّلون رؤساء الكهنة والفريسيين. هؤلاء جاءوا **بمشاعل ومصابيح وسلاح**. "جاءوا يطلبون نور العالم، حاملين مصابيح".

١٨: ٤ خرج يسوع للقائهم، ولم ينتظر ريثما يجدونه. وهذا إنما يؤكد استعداده للمضي إلى الصليب. كان بإمكان الجنود أن يتركوا أسلحتهم في البيت، لأن المخلّص لن يُبدي أية مقاومة. أمّا السؤال: «**من تطلبون؟**»، فقد كان القصد منه انتزاع إقرارٍ من أفواههم بطبيعة مهمتهم.

١٨: ٥ كانوا يطلبون **يسوع الناصري**، وقد فاتهم إدراك أنه كان خالقهم ومعيلهم، بل كان بالنسبة إليهم أفضل صديق على الإطلاق. أجابهم يسوع: «**أنا هو**». وهو لم يقصد بذلك كونه يسوع الناصري وحسب، بل يهوه أيضًا. فالعبارة «**أنا هو**»، تشكّل، كما سبق وذكرنا، أحد أسماء يهوه في العهد القديم. فهل عاد هذا الأمر يُدهش يهوذا من جديد، خلال وقوفه مع الجمع؟

١٨: ٦ على مدى لحيظة واحدة، أعلن الرب يسوع نفسه لهم بصفته «**أنا هو**»، الله القادر على كل شيء. فجاء وقع هذا الإعلان عنيفًا حتى إنهم **رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض**.

١٨: ٧ ثم عاد الرب **يسألهم** من كانوا **يطلبون**. فحصل على الجواب نفسه، وذلك على الرغم ممّا خلّفته فيهم كلمتاه من تأثير صاعق.

١٨: ٨، ٩ ومرة أخرى، أجابهم يسوع أنه كان هو الشخص المطلوب، وأنه يهوه. **قد قلت لكم إني أنا هو**. وبما أنهم كانوا يطلبونه هو، فقد قال لهم أن **يدعوا التلاميذ يذهبون**. فما أروع أن نتأمل اهتمامه هذا بالآخرين، هذا الاهتمام الخالي من أية أنانية، في وقت كانت فيه حياته عُرضة للخطر. وبذلك، يكون قد تمّم أيضًا كلمات يوحنا ١٧: ١٢.

١٨: ١٠ ظن سمعان بطرس أنه قد آن الأوان لاستخدام العنف في محاولة منه لإنقاذ سيده من الجمع. لذا **استلّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة**، من دون استشارة الرب في الأمر. لقد كان، ولا شك، ينوي قتله، إلاّ أن يد الله غير المنظورة، أزاحت السيف حتى إنه لم **يقطع** سوى **أذنه اليمنى فقط**.

١٨: ١١ وبّخ الربُّ يسوع بطرس على غيرته المتهوّرة. لقد كان مصمِّمًا على **شرب كأس** الآلام والموت، ذلك لأن أباه هو الذي **أعطاه** إياها. وفي هذا السياق، دوّن لنا لوقا الطبيب كيف أن الرب يسوع لمس أذن ملخس وشفاها (٢٢: ٥١).

ب. القبض على يسوع وتقييده (١٨: ١٢-١٤)

١٨: ١٢، ١٣ تلك كانت المرة الأولى التي فيها يتمكن رجال أشرار من إلقاء القبض على يسوع، وربط يديه.

كان **حنان** رئيس كهنة قبلاً، ولا نعرف تمامًا سبب إحضار يسوع إليه **أولاً**، عوضًا عن أخذه إلى **قيافا**، صهره الذي كان رئيس كهنة في ذلك الوقت. إلاّ أن ما يجب ملاحظته هو أن يسوع كان قد حوكم أولاً أمام اليهود، وذلك في محاولة لتثبيت تهمة التجديف والهرطقة عليه. كان ذلك ما باستطاعتنا تسميته محاكمة دينية. ومن ثم اقتيد لمحاكمته أمام السلطات الرومانية، هذه المرة لتأكيد كونه عدوًا لقيصر. كان ذلك محاكمته المدنية. وبما أن اليهود كانوا تحت حكم الرومان، فقد كان عليهم أن يتحركوا من خلال المحاكم الرومانية. لذا لم يكن باستطاعتهم تنفيذ حكم الإعدام، بل كان ذلك حكرًا على بيلاطس وحده.

١٨: ١٤ أوضح يوحنا أن رئيس الكهنة كان **قيافا** نفسه الذي تنبأ قبلاً بضرورة أن **يموت رجل واحد لأجل الأمّة** (راجع يوحنا ١١: ٥٠). وكان الآن على وشك الاشتراك في تتميم هذه النبوة.

كتب جايمس ستيوارت *James Stewart* في هذا السياق:

> كان هذا الرجل هو الحارس المفوّض لضمير الأمّة. لقد جرى إفرازه عن سائر الناس، وتخصيصه ليكون المسؤول الأول عن تفسير أحكام الله العلي، وعن تمثيله. وبه أُنيط امتياز الدخول مرة واحدة في السنة إلى قدس الأقداس. ومع هذا، كان هو الرجل الذي حكم على ابن الله. ويعجز التاريخ عن تزويدنا بإيضاح مروّع أكثر من هذا، لحقيقة كون أفضل الفرص الدينية في العالم، وأعظم المناخات الملائمة، تبقى غير قادرة على ضمان خلاص الإنسان، أو على إضفاء صفة النبل على نفسه. وكان جون بنيان *John Bunyan* قد اختتم كتابه بما يلي: "ثم رأيت أنه كان هناك سبيل إلى الجحيم، ينطلق حتى من أبواب السماء".

ج. *بطرس ينكر سيّده* (١٨: ١٥-١٨)

١٨: ١٥ يعتقد معظم علماء الكتاب المقدس أن **التلميذ الآخر**، المذكور هنا، كان يوحنا. إلاّ أن تواضعه هو الذي منعه من ذكر اسمه الشخصي هنا، لا سيّما بعد سقطة بطرس المخزية. كذلك، لا نعرف كيف أصبح يوحنا **معروفًا جدًّا عند رئيس الكهنة**، إنما هذا ما خوّله الدخول إلى دار **رئيس الكهنة**.

١٨: ١٦، ١٧ لم يكن باستطاعة بطرس الدخول إلى أن خرج يوحنا، وكلّم المرأة التي كانت تحرس الباب. وعند النظر إلى الوراء، قد نسائل أنفسنا هل خدم يوحنا بطرس فعلاً، باستخدامه نفوذه بهذا الشكل؟ ذلك لأنه أمر هام وجدير بالاهتمام أن يكون بطرس قد أنكر الرب، أول مرة، لا أمام جندي قوي ومخيف، بل أمام مجرّد جارية بوّابة. لقد أنكر كونه أحد تلاميذ يسوع.

١٨: ١٨ اختلط بطرس الآن مع أعداء سيّده، محاولاً بذلك طمس هويته. وهكذا راح، على غرار العديد من التلاميذ الآخرين، **يصطلي** (يتدفّأ) أمام نار العالم.

د. *يسوع يمثُل أمام رئيس الكهنة* (١٨: ١٩-٢٤)

١٨: ١٩ لا يتّضح لنا هل كان رئيس الكهنة هنا هو حنّان أم قيافا. وفي حال كان حنّان، كما يُرجَّح، فربما دُعي رئيس كهنة من قِبَل الكياسة، بما أنه شغل هذا المنصب قبلاً. **فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه** وعن تعليمه، وكأن ذلك كان يشكّل تهديدًا للناموس الموسوي وللحكومة الرومانية. ومن الواضح أنه لم يكن في حوزة هؤلاء القوم أية قضية حقيقية ضدّ الرب؛ لذا كانوا يحاولون تلفيق واحدة.

١٨: ٢٠ أجابه يسوع أنه كان يخدم **علانية**. ولم يكن يحتاج لأنْ يخفي أي شيء. كما أنه علّم في محضر اليهود في كل من **المجمع والهيكل**. كانت تحركاته بعيدة عن السريّة.

١٨: ٢١ كان في هذا تحدٍّ لجذب بعض اليهود الذين كانوا يصغون إليه. فليصرّحوا باتهاماتهم له. وفي حال صدر منه أي خطإ بالفعل أو بالقول، فليحضروا شهودهم.

١٨: ٢٢ إن هـذا التحـدي عمل بـكل وضوح على إغاظة اليهـود. وقد تركهم من دون أيـة قضية. لذا التجـأوا إلى اعتماد أسـلوب إسـاءة معاملة يسـوع. وهكـذا لطـم واحد من الخدام الربَّ يسـوع بسـبب تكلمه، بهذا الشكل، مع رئيس الكهنة.

١٨: ٢٣ أراهم المخلّص، بكل هدوء وبمنطقه المُفحم، أنهـم عاملوه بظلم. ذلك لأنهم في عجزهم عن اتهامه بأنه تكلّم بالشر، ضربوه من أجل تكلّمه بالحق.

١٨: ٢٤ تصـف لنا الأعداد السـابقة وقائع الاسـتجواب الذي كان قد تمّ أمام حنان. أمّا المحاكمة أمام قيافا، فلا يأتي يوحنا على ذكرها. وهي تأتي بين ١٨: ٢٤، ١٨: ٢٨.

هـ. بطرس ينكر الرب ثانيةً وثالثة (١٨: ٢٥-٢٧)

١٨: ٢٥ يعود السـرد إلى التركيز من جديد على سمعان بطرس. كان يصطلي، بسـبب الطقس البارد في ساعات الصباح الأولى. لا شك أن لباسه ولكنته أظهراه كصيّاد سمـك من الجليل. عندما اسـتفهم منه الواقفون معه هل كان واحدًا من تلاميذ يسوع، أنكر الرب، ثاني مرّة.

١٨: ٢٦ والآن جـاء دور نسـيب ملخس للتحدث إلى بطرس، وكان قد رآه يقطع أذن نسـيبه: «أما رأيتك في البستان مع يسوع؟»

١٨: ٢٧ أنكـر بطرس الـرب، مرّةً ثالثـة. وللوقت سمـع صياح ديـك، ذكّـره بكلمـات الرب لـه: «لا يصيـح الديك حتـى تنكرني ثلاث مـرات». ونفهم من الأناجيل الأخـرى أن بطرس خرج على أثر ذلك، وبكى بكاء مرًّا.

و. يسوع أمام بيلاطس (١٨: ٢٨-٤٠)

١٨: ٢٨ كانت المحاكمة المدنية سـتبدأ، بعد أن انتهت المحاكمـة الدينيـة. ومسـرح الأحداث هنـا هو قاعة المحاكمة أو قصر الحاكم. لقـد رفض اليهود الدخول إلى قصـر رجل أممي. لقد شـعروا أنهـم كانوا بذلك سيتنجّسـون، الأمر الذي يحول دون اشتراكهم في أكل الفصح. لم تكـن لتقلقهم قط مؤامرتهـم على ابن الله لقتلـه. كان دخولهـم بيت أممي، من الأمـور الفظيعة عندهـم، أمّـا القتل فكان كلا شـيء في نظرهم. وقد علّق اغسطينوس على هذا بالقول:

> آه مـن العمى الخالي مـن أي ورع أو تقوى. ففي اعتبارهم أنهم كانوا سيتدنسـون حقًا بمسكنِ شخصٍ آخر، من دون أن يعلق عليهم أي دنس من جريمة كانوا سـيقترفونها بأنفسهم. كانوا يخشون التنجُّـس بقاعة محاكمة تخص قاضيًا أمميًا، ولم يأبهوا البتة للتنجُّس بدم أخ بريء.

أمّا هول *Hall* فعلّق بالقول:

> ويل لكـم أيها الكهنـة، والكتبة، والشـيوخ المـراؤون. فهـل من مكان أنجس مـن صدوركم؟ فالنجاسـة ليسـت داخـل أسـوار بيلاطـس، بل في قلوبكـم. أيكـون دأبكم القتل، ويسـتوقفكم في الوقـت عينـه التهـاب موضعـي بسـيط؟ الله سـيضربكم، أيها الحيطان المبيّضـة. هل تنوون أن تتلطّخوا بالدم، بدم الله؟ وتخشـون في الوقت عينه أن تتدنّسـوا إذا ما وطأت أقدامكم عتبة بيلاطس. وهل تعلق بعوضة صغيرة في حناجركم، فيما تبلعون جملاً كهذا من الشر المروّع؟ فاخرجوا من أورشليم أيها المـزورون، إن كنتم لا تريدون أن تتنجسـوا.

كان يحقّ لبيلاطس أن يخشى أكثر منكم من أن تتنجّس أسواره بشرّكم وظلمكم أيها المردة.

وعلق بوُول *Pool* بالقول: "ما من ظاهرة مألوفة أكثر من رؤية الأشخاص المتحمسين جدًّا للطقوس يهملون الأمور الأدبية والأخلاقية". أمّا العبارة «**فيأكلون الفصح**» فتشير على الأرجح، إلى الوليمة التي تلي الفصح. ذلك لأن الفصح نفسه، كان قد احتُفل به في الليلة الفائتة.

١٨: ٢٩ كان **بيلاطس**، الحاكم الروماني، قد أذعن لوساوس اليهود الدينية **بخروجه** إليهم حيث كانوا. ثم باشر المحاكمة بطلبه منهم أن يصرّحوا بالتهمة التي كانوا يوجهونها إلى هذا السجين.

١٨: ٣٠ جاء ردّهم عليه جريئًا وفظًّا في آن. وقالوا ما معناه أنه سبق لهم أن تداولوا في أمره ووجدوه مذنبًا. فكل ما كانوا يرجونه من بيلاطس هو إصدار الحكم بحقّه.

١٨: ٣١ حاول بيلاطس التنصُّل من هذه المسؤولية، بتحويلها إلى اليهود. فإن كانوا قد حاكموا يسوع قبلاً، ووجدوه مذنبًا، فلِمَ لا يحكمون عليه **بحسب ناموسهم**؟ فردّ عليه اليهود بتصريح هام جدًّا، إذ قالوا ما معناه: "نحن لسنا بأمة مستقلة، لكننا تحت سيطرة الرومان. لقد انتُزعت السلطة المدنية من أيدينا حتى إنه لم يعد يجوز لنا أن **نقتل أحدًا**". لقد اعترفوا، في جوابهم هذا، باستعبادهم وخضوعهم لسلطة أممية. يُضاف إلى ذلك أنّهم أرادوا أن يلصقوا ببيلاطس وصمة العار المرتبطة بموت المسيح.

١٨: ٣٢ يتحمّل العدد ٣٢ معنيين مختلفين: (١) في متى ٢٠: ١٩، كان الربّ يسوع قد تنبأ بأنه سيُسلَّم لليهود ليقتلوه؛ وكان اليهود هنا يتممون هذا الأمر بعينه. (٢) كان الرب قد ذكر في عدة أماكن أنه «سيُرفَع» (يو٣: ١٤؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٢، ٣٤). وبذلك كان يشير إلى موته صلبًا. فالرجم، كان أسلوب الإعدام على الطريقة اليهودية، فيما الرومان كانوا يعتمدون أسلوب الصلب. وهكذا، برفض اليهود تنفيذ حكم الموت، يكونون قد تمموا، من دون علمهم، هاتين النبوتين المختصتين بالمسيّا (راجع أيضًا مزمور ٢٢: ١٦).

١٨: ٣٣ أخذ **بيلاطس** الربّ يسوع الآن إلى **دار الولاية** لمقابلته، بشكل إنفرادي. ثم سأله مباشرة: «**أنت ملك اليهود؟**»

١٨: ٣٤ أجابه **يسوع** بما معناه: "هل سبق لك، وأنت الحاكم، أن سمعت عني أني حاولت يومًا أن أقلب النظام الروماني؟ وهل بلغك عني يومًا أني نصّبت نفسي ملكًا يهدف إلى تقويض إمبراطورية قيصر؟ فهل تذكر هذه التهمة على مسمعي، لمعرفتك الشخصية بها، أم تكرّر أمامي ما سمعته من هؤلاء اليهود؟".

١٨: ٣٥ لم يكن سؤال بيلاطس يخلو من سخرية حقيقية: «**ألعلي أنا يهودي؟**» لقد أراد بذلك أن يُلمح إلى كونه أهم من أن تزعجه مشاكل يهودية خاصة من هذا النوع. إلاّ أن جوابه هذا، تضمّن أيضًا إقرارًا بأنه لم يكن على علم بأية تهمة حقيقية موجّهة ضدّ الربّ يسوع. لم يكن يعرف إلاّ ما نقله إليه حكّام اليهود.

١٨: ٣٦ بعد هذا اعترف الرب بأنه حقًا ملك. غير أنه لم يكن من صنف الملوك الذين كان اليهود قد اتهموه به. ولا كان من الصنف الذي يهدِّد روما. **فمملكة** المسيح لا تقوم ولا تتقدم بواسطة الأسلحة البشرية. **وإلاّ لجاهد** تلاميذه لمنع اليهود من إلقاء القبض عليه. **إنَّ مملكة المسيح ليست من هذا العالم.** ذلك لأنها لا تستمدُّ قدرتها أو سلطانها من العالم. كما أن أهدافها ومقاصدها، ليست بجسدية.

١٨: ٣٧ وعندما سأل بيلاطس الربّ يسوع هل هو ملك، أجاب: «**أنت تقول إني ملك**». إلاّ أن مملكته تُعنى **بالحق**، وليس بالسيوف والدروع. وهو قد جاء **إلى العالم ليشهد للحق.** والحق هنا يعني الحق المختصّ بالله وبالمسيح نفسه، وبالروح القدس، وبالإنسان والخطية والخلاص، إلى جانب سائر العقائد العظمى في المسيحية. **كل مَن هو من الحق يسمع صوته**؛ وبهذه الطريقة تنمو إمبراطوريته، له المجد، وتزدهر.

١٨: ٣٨ من الصعب تخمين ما قصد بيلاطس **بقوله: ما هو الحق؟** أكان محتارًا، أم مستهزئًا، أم مهتمًا فعلاً؟ لكن كل ما نعلم هو أن الحق المتجسد وقف قبالته، إلاّ أنه فاته التعرُّف به. والآن أسرع بيلاطس نحو اليهود معترفًا أمامهم بأنه **لم يجد** فيه أية **علة** على الإطلاق.

١٨: ٣٩ كانت قد درجت بين اليهود **عادة** بأن يطالبوا، **في الفصح**، بأن يطلق لهم الرومان أحد السجناء اليهود. فاغتنم بيلاطس هذه الفرصة في محاولة منه لإرضاء اليهود ولإطلاق يسوع في آن.

١٨: ٤٠ اخفق المخطط. فاليهود لم يريدوا يسوع، لكنهم طالبوا **بباراباس** الذي كان **لصًا**. إن قلب الإنسان الشرير فضّل مجرمًا على الخالق.

ز. *الحكم الذي أصدره بيلاطس: بريء لكن محكوم عليه* (١٩: ١-١٦)

١٩: ١ لقد تصرف بيلاطس بظلم عندما جلد الرب يسوع البريء. ربما كان يأمل أن يكتفيَ اليهود بهذا العقاب، ولا يعودوا يطالبون بموت يسوع. وكان الجلد شكلاً من أشكال المعاقبة على الطريقة الرومانية. فكانت الضربات تنهال على السجين بواسطة سوط أو عصا. وكان السوط يحتوي على قطع من أحد المعادن أو من العظام، كانت تشق أتلامًا داخل اللحم.

١٩: ٢، ٣ سخر **العسكر** بتصريح الربّ يسوع بأنه ملك. فأعدّوا له تاجَ مُلك، إلاّ أنه كان إكليلاً **من شوك**. كما أن تثبيته على الجبين، لا بدّ من أنه تسبب بآلام بالغة. والشوك هو رمز للّعنة التي كانت الخطية قد جلبتها على البشرية. إذًا، لنا هنا صورة الرب يسوع حاملاً لعنة خطايانا حتى يصبح بإمكاننا أن نلبس تاج المجد. كما أن ثوب الأرجوان استُخدم أيضًا للاستهزاء والسخرية. والأرجوان كان يُعتبر لون الملوكية. لكن هذا الثوب يذكّرنا مجدّدًا بحقيقة كون خطايانا قد وُضعت على الربّ يسوع حتى يتسنى لنا أن نكتسي رداء برّ الله.

ما أهول التفكير في عملية لطم ابن الله الأزلي بأيدي خلائقه! كما أن الأفواه التي هو صنعها، تُستخدم الآن للاستهزاء به.

١٩: ٤ فخرج بيلاطس أيضًا إلى الجمع، وأعلمهم بعزمه على إخراج الربّ إليهم، مع كونه بريئًا، في نظره. وبذلك يكون بيلاطس قد دان نفسه بنفسه، من خلال الكلمات التي نطق بها. فهو لم يجد أي خطإ في المسيح، ومع هذا لم يطلقه.

١٩: ٥ عندما خرج يسوع وعليه **إكليل الشوك وثوب الأرجوان**، قدّمه بيلاطس بصفته «**الإنسان**». ومن الصعب أن نعرف هل قال ذلك من قبيل التهكّم به، أو التعاطف معه، أو بشكل يخلو من أية مشاعر محدّدة.

١٩: ٦ لاحظ **رؤساء الكهنة** تردّد بيلاطس، لذا صرخوا بوحشية مطالبين بضرورة صلب الربّ يسوع. إذًا كان الذين تزعّموا عملية قتل المخلّص من الرجال المتدينين. كما أن المسؤولين الكنسيين هم الذين غالبًا ما قاموا، على مرّ العصور، باضطهاد المؤمنين الحقيقيين شرّ اضطهاد. أمّا **بيلاطس** فكان، على ما يبدو، مشمئزًا منهم ومن كراهيتهم غير المنطقية هذه ليسوع. فقال ما معناه: "إن كانت هذه هي نظرتكم إلى الأمر، فلمَ لا **تأخذون يسوع وتصلبونه**؟ أمّا أنا فأرى أنه بريء". إلاّ أن بيلاطس كان يعلم أنه لم يكن باستطاعة اليهود تنفيذ حكم الموت في يسوع، وذلك لأن هذا السلطان كان حكرًا على الرومان في ذلك الوقت.

١٩: ٧ عندما تبيّن لهم أنهم أخفقوا في برهان أن يسوع كان يشكّل تهديدًا لحكومة قيصر، قدّموا تهمتهم الدينية ضده. فالمسيح كان قد أكّد مساواته لله بتصريحه أنّه **ابن الله**. كان ذلك، في نظر اليهود، بمثابة تجديف يستحق عليه عقاب الموت.

١٩: ٨، ٩ انزعج **بيلاطس** من احتمال أن يكون يسوع ابن الله. كان قبلاً غير مرتاح إلى هذه القضية ككل، لكن هذا الأمر زاد **خوفه**.

أدخل بيلاطس الربّ يسوع إلى **دار الولاية**، أو قاعة المحاكمة، وسأله **من أين** هو. وفي كل هذا، يطلّ علينا بيلاطس بمظهر مأساوي جدًّا. فهو كان قد اعترف بشفتيه بأن يسوع لم يقترف أي سوء. ومع هذا، لم تكن لديه الجرأة الأدبية لإطلاقه، وذلك بسبب خوفه من اليهود. لكن **لِمَ لم يعطه يسوع جوابًا**؟ ربما لعلمه بأن بيلاطس لم يكن على استعداد للعمل بموجب مقدار النور الذي كان لديه. لقد أضاع بيلاطس الفرصة. وبما أنه لم يتجاوب مع النور الذي في حوزته، فما كان ليُعطى المزيد من النور.

١٩: ١٠ حاول **بيلاطس** إرغام الرب على الإجابة من طريق تهديده. وهكذا ذكّره بأنه لكونه حاكمًا رومانيًا كان لديه **السلطان** أو القدرة على **إطلاق** يسوع أو **صلبه**.

١٩: ١١ كان يسوع رائعًا في قدرته على ضبط نفسه، حتى إنه ظهر أهدأ من بيلاطس. ففي ردّه على هذا الأخير، اعتبر أن ما لديه من **سلطان**، كان الله قد **أعطاه** إياه. فكل الحكومات هي مرتّبة من الله، كما أن كل سلطة، سواء أكانت مدنيّة أو روحية، هي من الله.

إن العبارة «**الذي أسلمني إليك**»، قد تشير إلى: (١) قيافا، رئيس الكهنة؛ (٢) يهوذا، الخائن؛ أو (٣) الشعب اليهودي على العموم. والفكرة هنا هي أنه كان يجدر بهؤلاء اليهود أن يعرفوا الرب بشكل أفضل. ذلك لأنه كانت لديهم الأسفار المقدسة التي تنبّأت بمجيء المسيّا. لذا كان ينبغي لهم التعرّف به لدى مجيئه. لكنهم رفضوه، بل بالحري كانوا الآن يسعون لقتله. فهذه الآية تعلّمنا أن ثمة درجات ونسبًا متفاوتة من المُذنبيّة. فبيلاطس كان مذنبًا، غير أن ذنب قيافا، ويهوذا، وجميع اليهود الأشرار، كان أعظم.

١٩: ١٢ عندما لمس اليهود عزم بيلاطس على إطلاق يسوع، استعانوا بآخر حجّة لديهم، ويبدو أنّها جاءت الأقوى، على الإطلاق: «**إن أطلقت هذا فلست محبًّا لقيصر**». (كانت اللفظة "قيصر" بمثابة اللقب الرسمي للإمبراطور الروماني). لقد ظهروا هنا كأنهم مهتمون جدًّا بمصلحة قيصر؛ غير أنّهم كانوا، في الواقع، يكرهونه، ويتمنّون القضاء عليه والتخلص من سيطرته عليهم. وها هم الآن يدّعون صون إمبراطورية قيصر من تهديدات الربّ يسوع إذ كان قد صرّح بأنه ملك. إلاّ أنهم عادوا فجنَوا عقاب ريائهم هذا المروّع، عندما زحف الرومان على أورشليم في العام ٧٠م، وقاموا بتدمير المدينة وذبح سكانها.

١٩: ١٣ لم يحتمل بيلاطس أن يتّهمه اليهود بعدم الولاء لقيصر؛ لذا أذعن صاغرًا لمشيئة الجمع. ولذلك **أخرج يسوع** إلى موضع عام **يُقال له البلاط**، حيث كان تُعالَج غالبًا مسائل كهذه.

١٩: ١٤ في الواقع، كان الاحتفال بعيد الفصح قد حصل في الليلة الفائتة. لذا فإن «**استعداد الفصح**»، يشير هنا إلى الاستعداد للوليمة التالية له. و«**نحو الساعة السادسة**»، يعني، على الأرجح، الساعة السادسة صباحًا (مع أن هنالك خلافًا حول الأساليب المعتمدة للتوقيت في الأناجيل). أمّا العبارة «**هوذا ملككم**»، فباستطاعتنا الجزم تقريبًا بأن بيلاطس كان قد تلفّظ بها لإزعاج اليهود واستفزازهم. كما أنه كان يلومهم، ولا شك، على استدراجه للحكم على المسيح.

١٩: ١٥ لقد أصرّ اليهود على ضرورة صلب يسوع. ثم وبّخهم بيلاطس بطريقة ساخرة، بطرحه عليهم السؤال التالي: "هل تقصدون أنكم تريدون أن تصلبوا ملككم؟" عندئذٍ تذلّل اليهود جدًّا بقولهم: «**ليس لنا ملك إلاّ قيصر**». فيا للأمّة غير المؤمنة، تفضّلون على إلهكم ملكًا وثنيًّا شريرًا!!

١٩: ١٦ كان بيلاطس يريد إرضاء اليهود، لذا أسلم يسوع إلى العسكر **ليصلبوه**. لقد كان يحب مجد الناس أكثر من مجد الله.

ح. *الصلب* (١٩: ١٧-٢٤)

١٩: ١٧ إن الكلمة المترجمة «**صليب**» قد تشير إلى قطعة خشبية واحدة (عارضة)، أو ربما كانت تتكوّن من قطعتين متعامدتين. وعلى كل حال، كانت بحجم يمكّن الإنسان من حملها. وفي الواقع، حمل يسوع **صليبه** مسافة معيّنة. لكننا نفهم من الأناجيل الأخرى أن رجلاً يُدعى سمعان القيرواني، عاد وحمله عنه. أمّا **موضع الجمجمة**، فربما حصل على اسمه هذا بطريقة من طريقتين: ١- لعل الأرض نفسها، كانت شبيهة بشكل الجمجمة، ولا سيما إذا كانت بمثابة تلّة تحوي بعض الكهوف في جانبها. وهذا الموقع يُعرف في فلسطين الحديثة "بجلجثة جوردن" *Gordon's Calvary*. ٢- كان ذلك مكانَ تنفيذ حكم الإعدام بالمجرمين، حتى إنه كان يحوي ربما بعض الجماجم والعظام. إلاّ أن الناموس الموسوي المختص بالدفن، يجعل هذا الاحتمال بعيدًا عن الواقع.

١٩: ١٨ سُمّر الرب يسوع، بيديه وبرجليه، إلى الصليب. ثم رُفع الصليب، وجُعل في حفرة في الأرض. كان هو الإنسان الوحيد الكامل الذي عاش على الأرض، وبهذه الطريقة استقبلته خاصته. إذا لم

تكن قد آمنت به بوصفه الرب على حياتك، ومخلّصك الشخصي، ألا تفعل ذلك الآن، إذ تقرأ هذا السرد البسيط للأسلوب الذي به مات المسيح لأجلك؟ كذلك صُلب لصّان معه، **من هنا ومن هنا**. وكان ذلك تتميمًا لنبوة اشعياء ٥٣: ١٢ «**وأحصي مع أثمة**».

١٩: ١٩ كانت قد درجت العادة أن يُجعل عنوان فوق رأس المصلوب، للتصريح بجرمه. لذا أمر بيلاطس بأن يوضع على صليب يسوع العنوان: **يسوع الناصري، ملك اليهود**.

١٩: ٢٠ علّق ألكسندر *Alexander* على هذا ببراعة، على الشكل التالي:

> بالعبرانية، اللغة المقدّسة للآباء وللرائين. وباليونانية أيضًا، اللغة الموسيقية والذهبية التي تبعث روحًا في المشاعر والأحاسيس، وتجسّم الأمور الفلسفية المبهمة. وأيضًا باللاتينية، لغة شعبٍ اعتُبر في وقت من الأوقات الأقوى بين بني البشر. إذًا كانت هذه اللغات الثلاث تمثّل الأعراق الثلاثة مع أفكارهم: الوحي، الفن، والأدب؛ التقدم، والحرب، والتشريع. فحيثما توافرت هذه الأشواق البشرية الثلاثة، وحيثما أمكن التعبير باللغة البشرية، وحيثما وُجِد قلب يخطئ، ولسان ينطق، وعين تقرأ؛ يحمل الصليب رسالة عظيمة.

كان **المكان قريبًا من المدينة**. وبذلك يكون الرب يسوع قد صُلب خارج حدود المدينة. وفي أيامنا، لا نعرف هذا الموقع بشكل محدّد.

١٩: ٢١ إن صيغة الكلمات التي جعلها بيلاطس على صليب يسوع، لم ترق **رؤساء الكهنة**. كانوا يريدون أن يظهر ذاك كادّعاء قام به يسوع، وليس كحقيقة (كما هو الواقع).

١٩: ٢٢ رفض بيلاطس تغيير هذه الكتابة. يبدو أنه كان قد نفد صبره مع اليهود، حتى إنه لم يعد مستعدًّا للإذعان لهم في ما بعد. لكن كان يجدر به إظهار هذا العزم قبلاً.

١٩: ٢٣ في حالات كهذه من تنفيذ حكم الإعدام، كان يُسمح للعسكر بتقاسم مقتنيات الضحايا الشخصية. لذا نجدهم هنا يتقاسمون **ثياب** يسوع، والتي كانت، حسب الظاهر، تتألف من خمسة أقسام. وبعد اقتسامهم أربعة منها، بقي **القميص** الذي كان **بغير خياطة**، حتى إن محاولة تقطيعه، كانت ستُفقده قيمته.

١٩: ٢٤ وهكذا اقترعوا على القميص، لكي يسلّموه من ثم إلى الرابح المجهول الهوية. لقد فاتهم أن يُدركوا أنهم، بتصرُّفهم بهذا الشكل، كانوا في الواقع يتممون نبوة كُتبت قبل نحو ألف سنة (مز ٢٢: ١٨). إن هذه النبوات المتمّمة تأتي لتذكّرنا من جديد بأن هذا الكتاب هو كلمة الله الموحى بها، وبأن يسوع المسيح هو حقًّا المسيّا المنتظر.

ط. *يسوع يوصي يوحنا بأُمّه* (١٩: ٢٥-٢٧)

١٩: ٢٥ يرى العديد من علماء الكتاب المقدس أن هذه الآية تحوي أربع نساء، مذكورة أسماؤهنّ على الشكل التالي: (١) مريم، أم يسوع؛ (٢) أخت مريم، سالومة، أم يوحنا؛ (٣) مريم زوجة كلوبا؛ (٤) ومريم المجدلية.

١٩: ٢٦، ٢٧ كان الرب، على الرغم من آلامه، يهتم بالآخرين، بكل حنان. فلدى رؤيته أمّه، والتلميذ يوحنا، عرّفه إليها باعتباره الشخص الذي سيكون بمثابة ابنٍ لها منذ ذلك الحين. عندما خاطبها بالعبارة «**يا امرأة**»، لم يكن يحط قط من قدرها. لكن، لنلاحظ جيدًا أنه لم يقل لها "أمي". وهل من درس هنا لأولئك الذين قد يميلون إلى الترفيع من شأن مريم لدرجة تقديم العبادة لها؟ فيسوع طلب من يوحنا هنا الاعتناء بمريم، كما لو كانت أمّ يوحنا نفسه. وقد أطاع يوحنا أمر الرب، وأخذ مريم إلى خاصته.

ي. إكمال المسيح عمله (١٩: ٢٨-٣٠)

١٩: ٢٨ بين العددين ٢٧، ٢٨، عندنا، ولا شك، ساعات الظلمة الثلاث، أي من ساعة الظهيرة إلى الساعة الثالثة بعد الظهر. وفي هذه الفترة، كان الله قد ترك يسوع عند مكابدته عقاب خطايانا. كما أن صرخته «**أنا عطشان**»، عبّر فيها عن عطش جسدي حقيقي، كان الصلب قد زاد من حدّته؟ إلاّ أنّها تذكّرنا أيضًا بأن عطشه الروحي إلى خلاص نفوس بني البشر، كان أعظم من عطشه الجسدي هذا.

١٩: ٢٩ أعطاه العسكر خلاًّ ليشرب، ويرجّح أنهم ربطوا اسفنجة برأس قصبة مع **زوفا، وضغطوا بها** على شفتيه. (والزوفا هو نبات كان يُستخدم أيضًا في عيد الفصح - خر ١٢: ٢٢). إلا أنه يجب التمييز بين هذا الخل، وذاك الخل الممزوج بمرارة، والذي كان قد قُدِّم ليسوع قبلاً (مت ٢٧: ٣٤). والمعروف عنه أنه كان قد امتنع عن شرب ذلك، بما أنه كان مخدِّرًا، من شأنه أن يخفف من وطأة آلامه. كان ينبغي له أن يحمل خطايانا بكامل وعيه.

١٩: ٣٠ «**قد أكمل**». لقد أكمل العمل الذي كان أبوه قد أوكله إليه: سكبه نفسه ذبيحةً مُحرَقةً عن الخطية؛ عمل الفداء والتكفير. فصحيح أن الرب لم يكن قد مات بعد، إلاّ أن موته ودفنه وقيامته كانت أكيدة عندئذ كما لو أنها حصلت فعلاً. لذا بات باستطاعة الرب يسوع الإعلان أنّ الطريق قد تمّ إعداده لخلاص الخطاة. فشكرًا لله الآن على العمل الكامل الذي قد أتمّه الرب يسوع على صليب الجلجثة.

يرى بعض العلماء أن القول «**نكّس رأسه**»، قد يعني أن الرب يسوع قد حنى رأسه إلى الوراء. وقد كتب فاين *Vine* في هذا المجال: "ليس الكلام هنا عن وقوع الرأس بعجز إلى تحت على أثر الموت، بل بالحري عن إقدام المسيح بإرادته على جعله في وضع مريح".

إن العبارة «**وأسلم الروح**» تؤكد أن موت المسيح كان إراديًا فهو الذي قرّر توقيت حصول هذا الموت. وهكذا، في سيطرته الكاملة على قدراته، أطلق روحه، هذا العمل الذي يعجز أي إنسان عادي عن القيام به.

ك. طعن جنب المخلّص (١٩: ٣١-٣٧)

١٩: ٣١ ومن جديد، يستوقفنا مدى حرص هؤلاء اليهود المتديّنين على التدقيق في الأمور الطفيفة. هذا في وقت كانوا فيه ضالعين باقتراف جريمة قتل. كانوا فعلاً «يُصَفُّون عن البعوضة، ويبلعون الجمل». لقد ارتأوا أنه لم يكن يحق إبقاء **الأجساد على الصليب في السبت**. ذلك لأن المدينة كانت ستحتفل بأحد الأعياد الدينية. لذا، طالبوا بيلاطس بضرورة **كسر سيقان** المصلوبين الثلاثة، لتسريع موتهم.

١٩: ٣٢ لا يذكر الكتاب المقدس الأسلوب الذي اعتُمد لكسر السيقان. لكن، لا بدّ من أنه كان من الضروري كسرها في عدة أماكن، ذلك لأن كسرًا واحدًا لم يكن يكفي للتسبب بالموت.

١٩: ٣٣ كان هؤلاء العسكر ملمّين جدًّا بمسائل كهذه. لذا عرفوا أن **يسوع** كان قد **مات** فعلاً. كما أنه انعدم كل احتمال بأنه كان واقعًا في غيبوبة. وعلى هذا الأساس، عدلوا عن كسر رجليه.

١٩: ٣٤ لا يذكر يوحنا لماذا أقدم أحد **العساكر على طعن جنب يسوع**. ولعل ذلك كان بمثابة تعبير أخير عن شرّ قلبه. "إنها الضربة الغاضبة التي سدّدها العدو المهزوم، بعد المعركة، وفيها يبيّن ما في قلب الإنسان من حقد عميق ودفين من نحو الله ومسيحه". وليس من إجماع حول مغزى **الدم والماء**، وأهميته. فبعضهم يرون في ذلك مؤشرًا إلى أن يسوع مات على أثر انفجار في قلبه، لكن سبق لنا أن قرأنا عن موته أنه كان بمثابة فعل إرادي قام به. أمّا آخرون فيعتقدون أن لهذه العبارة علاقة بالمعمودية وبالعشاء الرباني، غير أن هذا التفسير يبدو بعيد الاحتمال. غير أن الدم يشير إلى التطهير من مُذنبيّة الخطية، فيما الماء يرمز إلى التطهير من نجاسة الخطية، وذلك بواسطة كلمة الله. وقد عبّر أحدهم عن هذه الحقيقة كما يلي:

لِيَكُنِ الماء والدم
اللذين جريا من جنبك الطعين
بمثابة علاج مزدوج للخطية،
لتخليصي من مذنبيّتها ومن سلطتها عليّ!

اغسطس تُبلادي Augutus Toplady

١٩: ٣٥ قد يشير العدد ٣٥ إلى حقيقة عدم كسر ساقي يسوع، أو إلى طعنه جنبه بالحربة، أو إلى حادثة الصلب بجملتها. والعبارة «**الذي عاين**»، تشير، ولا شك، إلى يوحنا الذي دوّن لنا هذا الخبر.

١٩: ٣٦ من الواضح أن هذا العدد، يعود بنا إلى العدد ٣٣ بصفته تتميمًا للآية في خروج ١٢: ٤٦ «وعظمًا لا تكسروا منه». وكان الكلام هنا عن حمل الفصح. فالله كان قد قرّر ضرورة عدم كسر أي واحد من عظامه. كما أن المسيح هو حمل الفصح الحقيقي، الذي تمّم الرمز بكل دقّة.

١٩: ٣٧ أمّا العدد ٣٧، فيعود بنا إلى العدد ٣٤. فهذا الجندي، وعلى الرغم من عدم إدراكه للأمر، كان يتمم الكتاب بشكل رائع (زك١٢: ١٠). "للإنسان شره، أمّا الله فله طريقه". فنبوة زكريا تشير إلى يوم آتٍ، حين سيتسنى للمؤمنين من اليهود أن يروا الرب عائدًا إلى الأرض: «فينظرون إليّ، الذي طعنوه، وينوحون عليه كنائح على وحيد له».

ل. الدفن في قبر يوسف (١٩: ٣٨-٤٢)

١٩: ٣٨ هنا تبدأ رواية دفن يسوع. فالمدعو **يوسف الذي من الرامة**، كان حتى هذا الحين تلميذًا في السر. **والخوف من اليهود** هو الذي منعه من الاعتراف جهارًا بالمسيح. لكننا نراه الآن يتحرك بكل جرأة للحصول على جسد يسوع بهدف دفنه. لقد كان بفعله هذا، يعرّض نفسه لمكابدة إصدار الحُرم بحقه، وللاضطهاد، ولمعاملته بعنف. إلاّ أنه يؤسفنا فقط كونه لم يكن على استعداد للوقوف إلى جانب الربّ يسوع المرفوض

عندما كان ما يزال يخدم الجموع.

١٩: ٣٩، ٤٠ إن شخصية **نيقوديموس** لم تعد الآن غريبة على قرّاء يوحنا، بما أنه سبق لهم أن قابلوه عندما أتى **إلى يسوع ليلاً** (أص٣)، وعندما أصرّ على ضرورة أن يقوم السنهدريم بالتعامل مع يسوع بعدل، من طريق الإصغاء إليه (يو٧: ٥٠، ٥١). وها هو الآن ينضم إلى يوسف، إذ أحضر معه نحو **مئة منًّا من المرّ والعود**. ويُرجّح أن هذه الأطياب كانت بشكل مسحوق يُجعل على كل الجسد. وبعد هذا، كان الجسد **يُلف بأكفان**.

١٩: ٤١ كان كل واحد تقريبًا من التفاصيل المعروضة في هذا النص، بمثابة تتميم لنبوة، فاشعياء كان قد تنبأ أن بعض القوم سيخطّطون لدفن المسيّا مع الأشرار، على أنه سيُجعل «مع غنيٍّ عند موته» (إش٥٣: ٩). **فالقبر الجديد في بستان** كان، ولا شك، يخصّ رجلاً غنيًّا. ويذكر لنا البشير متّى أن هذا القبر كان يملكه يوسف الذي من الرامة.

١٩: ٤٢ وُضع **جسد يسوع** في القبر. فاليهود كانوا حراصًا على التخلّص من هذا الجسد قبل عيدهم الذي كان يبدأ عند المغيب. لكن هذا كلّه كان جزءًا من خطة الله التي اقتضت جعل الجسد في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ. والجدير ملاحظته في هذا السياق أنّ كل جزء من اليوم كان، بحسب التقويم اليهودي، يُحسب يومًا كاملاً. لذا فإن مكوث الرب في القبر على مدى أجزاء من ثلاثة أيام، كان ما يزال بمثابة تتميم لنبوته في متّى ١٢: ٤٠.

٩. ابن الله في انتصاره (أص٢٠)

أ. القبر الفارغ (٢٠: ١-١٠)

٢٠: ١ كان **أول الأسبوع**، يوم الأحد، حين **جاءت مريم المجدلية إلى القبر** قبل الفجر. وهذا القبر يُرجّح أنه كان أشبه بحُجرة صغيرة محفورة في جانب إحدى التلاّت أو المنحدرات. كما أن **الحجر** كان، ولا شك، مستديرًا ومسطّحًا، وذلك على شاكلة حجر الرحى الكبير. كذلك يُظن أنه جُعل داخل أُخدودٍ محفور على طول الجهة الأمامية للقبر، بشكل يسمح بدحرجته لإغلاق القبر. ولدى وصول مريم إلى المكان، كان **الحجر** قد رُفع من قبل. ونذكر هنا، بشكل عرضي، أن هذا الأمر كان قد حصل بعد قيامة المسيح، كما نفهم من متى ٢٨.

٢٠: ٢ وللوقت، ركضت مريم **إلى بطرس** ويوحنا، لكي تنقل إليهما الخبر الذي يحبس الأنفاس، والذي مفاده أن جماعةً ما كانوا قد أخذوا جسد الرب **من القبر**. غير أنها لم تذكر هوية الفاعل، بسبب جهلها لها. ويجدر بنا التوقّف عند أمانة النساء ووفائهنّ للرب خلال الصلب والقيامة. فالتلاميذ كانوا قد تركوا الرب وهربوا. أمّا النساء فوقفنَ في المكان غير آبهات لسلامتهنّ الشخصية. وهذه الأمور لا تخلو من مغزى.

٢٠: ٣، ٤ من الصعب تخيّل ما كان يدور في خلد **بطرس** ويوحنا، خلال توجّههما من المدينة إلى البستان القريب من جلجثة. كان يوحنا، على الأرجح، أصغر سنًّا من بطرس، حتى وصل **أولاً إلى القبر**.

٢٠: ٥ من المحتمل أن مدخل القبر كان على علو منخفض، مما يفرض على المرء أن ينحني حتى يتسنّى له دخوله. **نظر يوحنا الأكفان موضوعة هناك.** فهل تمّ فكّها عن الجسد، أم هل كانت ما تزال بالشكل الذي كانت عليه عندما كانت ملفوفة حول الجسد؟ في ظننا أن الاحتمال الأخير هو الصحيح. ولكنه لم يدخل القبر.

٢٠: ٦، ٧ كان **بطرس** الآن قد وصل إلى القبر، وللوقت **دخله** من دون أي تردّد. فاندفاعه، بل قُل تهوّره أحيانًا، يجعلنا نشعر بأننا ذوو قرابة له. وهو أيضًا **نظر الأكفان موضوعة هناك**، كما لاحظ خلو المكان من جسد المخلّص.

لقد أُضيف ذكر **المنديل** بالتفصيل، لإظهار أن مغادرة الرب للمكان كانت قد حصلت بترتيب ومن دون عجلة. فلو أن أحدًا ما سرق الجسد، لما كان حرص على **لفّ** هذا المنديل.

٢٠: ٨ دخل يوحنا القبر، ورأى هناك الأكفان والمنديل مرتّبة في أماكنها. إلاّ أن العبارة، **«ورأى فآمن»**، تعني ما هو اكثر من مجرّد النظر، بالمعنى المادي للكلمة. بل المقصود هنا هو أنه فهم. ذلك لأنه كان يقف أمام البراهين على قيامة المسيح. فهذه الأدلّة بيّنت له ما حصل، وعلى أثر ذلك، **آمن**.

٢٠: ٩ لم يكن التلاميذ حتى ذلك الحين قد استوعبوا حقًا **الكتاب**، من العهد القديم، القائل إن المسيّا **ينبغي له أن يقوم من الأموات**. كما أن الرب نفسه كان قد كرّر ذلك على مسامعهم مرات عدة، غير أنهم لم يفهموه. لذا كان يوحنا أول من أدرك ذلك.

٢٠: ١٠ بعد هذا، رجع التلميذان إلى موضعهما في أورشليم، على الأرجح. لقد خلصا، ولا شك، إلى الاعتقاد أن لا جدوى من انتظارهما عند القبر. بل كان حَرِيًّا بهما أن يذهبا لإخبار التلاميذ بما رأيا.

ب. *الظهور لمريم المجدلية* (٢٠: ١١-١٨)

٢٠: ١١ تستوقفنا أول كلمتين: **«أما مريم»**. كان التلميذان الآخران قد رجعا إلى البيت، أما مريم... وهنا أيضًا، نرى محبة امرأة ووفاءها للرب. كان الربُّ قد غَفر لها كثيرًا، لذا أحبّت كثيرًا. وهكذا سهرت وحدها خارج القبر. وكانت تبكي، لظنّها بأن أعداء الرب كانوا قد سرقوا الجسد.

٢٠: ١٢ وعند نظرها إلى الداخل، رأت، هذه المرة، **ملاكين... حيث كان جسد يسوع موضوعًا**. وهنا تستوقفنا الطريقة التي بها أتى الوحي على ذكر هذه الأمور بهدوء ومن دون أي انفعال.

٢٠: ١٣ لم تظهر على مريم أية أمارات للخوف أو للدهشة. لذا أجابت عن سؤالهما، وكأن الأمر كان طبيعيًا جدًّا. ويتّضح من جوابها أنها لم تكن قد أدركت بعد أن يسوع قام وأنّه حيّ من جديد.

٢٠: ١٤ في تلك اللحظة طرأ شيء جعلها تلتفت إلى الوراء. كان ذلك **يسوع** نفسه، غير أنها لم تميّزه. لعلها كانت الساعات الأولى من الصباح، ولم يكن الفجر قد اشرق بعد. وقد ظلت تبكي على مدى فترة طويلة؛ الأمر الذي يُرجّح أنّه غشّى نظرها. ومن جهة أخرى، قد يكون الله هو الذي حال دون إمكانها التعرّف بالرب، وذلك حتى يكون الوقت المناسب قد حان.

٢٠: ١٥ كان الرب يعرف الأجوبة عن هذه الأسئلة، إلاّ أنه أراد أن يسمعها من شفتيها. **لقد ظنّته البستاني.** فمخلّص العالم قد يكون قريبًا جدًّا من الناس، ومع هذا يفوتهم أن يميزوه. فهو غالبًا ما يظهر بمظهر وديع، وليس كأحد عظماء هذه الأرض. لقد قصدت مريم في جوابها ألاّ تسمّي الرب، بل اكتفت بالإشارة إليه ثلاث مرات بواسطة الضمير للغائب "الهاء". ذلك لأنها لم تكن معنيّة إلاّ بشخص الرب وحده، حتى إنها شعرت بأنه لم يكن من الضروري أن تعرّف به أكثر.

٢٠: ١٦ سمعت مريم الآن صوتًا مألوفًا لديها، كان يناديها باسمها. لم تعد الأمور تلتبس عليها. إنه **يسوع.** فدعته «**ربّوني**»، بمعنى "**يا معلمي العظيم**". ففي الواقع، كانت ما تزال تعتبره ذلك المعلم العظيم الذي عرفته. لم تدرك أنه الآن أكثر من مجرد معلّمها. ولقد كان الرب مزمعًا أن يشرح لها الطريقة الأجدّ والأوفى التي على أساسها كانت ستعرفه في ما بعد.

٢٠: ١٧ كانت مريم قد عرفت يسوع، على صعيد شخصي، كإنسان. كما أنّها عاينت المعجزات التي صنعها في أثناء حضوره بالجسد. لذا استنتجت من ذلك، أنه ما من أمل لها بالحصول على بركة من الرب، إلاّ إذا كان حاضرًا معها بشكل حسّي ومنظور. من هنا كان من الضروري أن يقوم الرب بتصحيح فكرها هذا. قال لها: "**لا تلمسيني** كمجرد إنسان في الجسد. **لأني لم أصعد بعد إلى أبي.** لكن، لدى عودتي إلى السماء، سوف أرسل الروح القدس إلى الأرض. ومتى أتى ذاك، فإنه سيعلن شخصي لقلبك بشكل لم تعهديه قط من قبل. كما أني سأكون أقرب منك، وأعزّ إليك، ممّا كان متاحًا خلال حياتي هنا".

ثم دعاها إلى **الذهاب إلى أخوته** لإحاطتهم علمًا بهذا النظام الجديد الذي جيء به. إنها المرة الأولى التي فيها يشير الرب إلى تلاميذه بالعبارة «**اخوتي**». كان عليهم أن يعرفوا أنّ أباه السماوي هو أبوهم، وإلهه إلههم. فالآن، وليس قبلاً، جُعل التلاميذ «أبناءً»، «وورثة الله».

لم يقل الرب يسوع: "إلى أبينا"، بل قال بالحري «**أبي وأبيكم**». والسبب هو أن الله أبوه بمعنى يختلف عن أبوّته ـ تبارك اسمه ـ لنا. فالله هو أبو الرب يسوع المسيح، منذ الأزل، والمسيح هو الابن منذ الأزل، وهو مساوٍ للآب. أمّا بالنسبة إلينا، فنحن أبناء الله بالتبني. كما أن هذه العلاقة تبدأ لدى اختبارنا الخلاص، ولا نهاية لها. ومن جهة أخرى، نحن بوصفنا أبناء لله، لسنا مساوين لله، ولن نكون كذلك أبدًا.

٢٠: ١٨ أطاعت **مريم المجدلية** الرب من حيث قيامها بهذه المهمة التي كان قد أوكلها إليها. وبذلك، أصبحت "الرسولة إلى الرسل"، كما لقّبها أحدهم. وهل باستطاعتنا التشكيك لحظة واحدة في كون هذا الامتياز الجليل قد مُنح لها لمكافأتها على وفائها للمسيح؟

ج. *ظهور الرب لتلاميذه* (٢٠: ١٩-٢٣)

٢٠: ١٩ كان الوقت الآن يشير إلى عشية يوم الأحد. وكان **التلاميذ مجتمعين**، ربما في العلّية حيث كانوا قد التقوا فيها قبل ثلاث ليالٍ. **كانت الأبواب مقفلة بسبب الخوف من اليهود.** فجأة، رأوا يسوع واقفًا **في الوسط**، كما سمعوا صوته قائلاً لهم: «**سلام لكم**». كان من الواضح أن الرب دخل الغرفة من دون فتح الأبواب.

لقد حصل ذلك بشكل معجزي. ومن الضروري أن نبقى نتذكّر أن جسد قيامته كان جسدًا حقيقيًا من لحم وعظام؛ ومع هذا كان بوسعه اختراق الحواجز بشكل مُغاير للنواميس الطبيعية. أمّا العبارة «**سلام لكم**» فقد اكتسبت الآن معنىً جديدًا بعد أن صنع المسيح سلامًا بدم صليبه. فالذين يتبررون بالإيمان، ينعمون بالسلام مع الله.

٢٠: ٢٠ خاطب الرب يسوع تلاميذه بالسلام، وبعد هذا **أراهم** سمات آلامه التي على أساسها تحقق هذا السلام. لقد رأوا آثار المسامير، بالإضافة إلى الجرح الناتج من الطعنة بواسطة الحربة. ففاضت قلوبهم بالفرح عندما تأكّد لهم أنه **الرب** حقًا. لقد قام من الأموات، متمِّمًا بذلك ما سبق له أن صرّح به. إن الرب المُقام هو مصدر فرح المسيحي المؤمن.

٢٠: ٢١ العدد ٢١ هو رائع جدًا. فالمؤمنون، لم يقصد لهم الرب أن يستمتعوا بالسلام وحدهم، وبشكل أناني، بل ينبغي لهم مشاركة الآخرين فيه. لذا نجده يرسلهم إلى العالم، كما كان **الآب** قد **أرسله** أيضًا:

جاء المسيح إلى العالم كشخص مسكين وفقير.
لقد جاء كخادم و كعبد.
لقد أخلى نفسه.
كانت مسرته في عمل مشيئة الآب.
لقد اتّحد بالإنسان.
لقد جال يصنع خيرًا.
لقد عمل كل شيء بقوة الروح القدس.
كان هدفه الصليب.
وها هو الآن يخاطب تلاميذه بالقول: «**أرسلكم أنا**» أيضًا.

٢٠: ٢٢ هذا العدد هو أصعب الأعداد في هذا الإنجيل. ففيه نقرأ عن يسوع أنه **نفخ** على التلاميذ، وقال لهم: «**اقبلوا الروح القدس**». فالمشكلة الآن تكمن في كون الروح القدس لم يُعطَ إلاّ لاحقًا، أي في يوم الخمسين. لكن، كيف كان باستطاعة الرب أن ينطق بهذه الكلمات، على الرغم من عدم حصول هذا الحدث فورًا؟

عُرضت عدة تفاسير لمضمون هذا العدد: (١) يرى بعضهم أن الرب كان يكتفي هنا بقطع وعد لتلاميذه بما كانوا سيحصلون عليه في يوم الخمسين. إلاّ أن هذا التفسير غير وافٍ تمامًا. (٢) آخرون يشيرون إلى أن المخلّص كان قد قال، في الواقع، "اقبلوا روحًا قدسًا"، عوضًا عن «اقبلوا الروح القدس». ويستخلصون من ذلك أن التلاميذ لم يكونوا، في ذلك الوقت، قد حصلوا بعد على الروح القدس بكل ملئه، بل على بعض خدمات الروح القدس فقط، كالمعرفة الأولى بالحق، أو التزوّد بالقوة والإرشاد للقيام بالمهام الموكولة إليهم. فباعتقاد هؤلاء أن التلاميذ حصلوا على عربون الروح القدس، أو على تذوّق مبدئي له. (٣) وآخرون أيضًا يصرّحون بأنه حصل في هذا الوقت انسكاب تام للروح القدس على التلاميذ. إلاّ أن هذا الرأي، يبدو بعيد الاحتمال، وذلك في ضوء بعض التصريحات التي تتناول مجيء الروح القدس بصفته حدثًا مستقبليًا (راجع مثلاً: لوقا ٢٤: ٤٩؛ أعمال ١: ٤، ٥، ٨) كما أنه يتّضح لنا من يوحنا ٧: ٣٩ أنه لم يكن ممكنًا للروح القدس أن يحلّ بملئه إلاّ بعد تمجيد يسوع، أي على أثر رجوعه إلى السماء.

٢٠: ٢٣ وهـذا العدد هو صعب أيضًا، وقد أُثير حوله الكثير من الجـدل. (١) فهناك رأي يعتبر أن يسـوع كان حقًـا قد منح رسـله (مـع خلفائهـم المفترَضين) السـلطان لغفـران الخطايا أو لإمسـاكها. إلاّ أن هذا الرأي يناقض، بشـكل مباشـر، التعليم الكتابي القائل إنّ باسـتطاعة الله وحده أن يغفر الخطايا (لو٥: ٢١). (٢) اقتبس جابلين *Gaebelein* رأيًا آخر في هذا المجال: "إن لمنح هذه القوة والسـلطان ارتباطًا وثيقًا بالكرازة بالإنجيـل، حيـث إن الـكلام هنـا هو عـن الظروف والشروط التي على أساسـها تُغفر الخطايا أو تُمسك". (٣) كما أن هناك رأيًا ثالثًا، شبيهًا بالرأي الثاني، ونحن نقبله؛ ومفاده أن التلاميذ قد أُعطوا الحق بإعلان حقيقة حصول غفران الخطايا، أو تأكيد ذلك.

لنسـتعرض الآن إيضاحًـا لهـذا الـرأي الثالث: لنفـترض أن التلاميذ خرجوا للكـرازة بالإنجيل، وأن بعض القوم تابوا على أثر ذلك، وقبلوا الرب يسـوع؛ فالتلاميـذ، في هذه الحـال، مخوّلـون أن يعلنوا لهؤلاء المؤمنـين، بل أن يؤكدوا لهم من كلمة الله أن خطاياهم قـد غُفرت. ومن جهة أخرى، إنْ رفض أناس أن يتوبوا وأن يؤمنوا بالمسـيح، فعلى التلاميـذ، في هذه الحال، أن يُعلّموهـم بأنهم ما يزالـون في خطاياهم؛ وإن ماتوا فسيهلكون إلى الأبد.

وبالإضافة إلى هذا التفسـير، علينا أن نلاحظ كيف أن الرب سبق أن منح التلاميذ سلطانًا خاصًّا في ما يتعلّق ببعض الخطايا. مثلاً، نجد في أعمال ٥: ١-١١، أن بطرس اسـتخدم هذا السـلطان، الأمر الـذي أدّى إلى مصرع حنانيا وسفّيرة. وبالمقابل، يطلّ علينا بولس، وهو يمسك تارة خطية أحـد الرجال الأشـرار في كورنثوس الأولى ٥: ٣-٥، ١٢، ١٣، ويغفـر الخطية طـورًا في كورنثوس الثانيـة ٢: ٤-٨. وفي كلتـا الحالتـين، يتعلّـق الغفران بالعقاب المترتب على الخطية في هذه الحياة.

د. *الشكّ المتحوّل إيمانًا* (٢٠: ٢٤-٢٩)

٢٠: ٢٤ علينا ألاّ نسـارع إلى الاسـتخلاص أنه يجب إلقـاء اللوم علـى **توما**، بسـبب غيابـه. فنحن نجهل السبب وراء عدم حضوره.

٢٠: ٢٥ إنّمـا يسـتحق تومـا الملامة علـى موقفه غير المؤمـن. كان يطلـب أن يتوافـر لديـه برهـان مرئي ومحسـوس على قيامة الـرب، وإلاّ فإنه **لا يؤمن**. وهذا هو موقـف العديـد من النـاس اليوم، مـع كونه غير منطقي. ذلك لأنّه حتى العلماء أنفسهم يؤمنون ببعض الأمور التي ليس بإمكانهم رؤيتها ولا مسّها.

٢٠: ٢٦ بعـد أسـبوع، ظهر الرب مرة أخـرى **لتلاميذه**. وكان **توما معهم** هذه المرة. ومن جديد، دخل الرب الغرفة بطريقة معجزيه، وحيّاهم بالعبارة نفسها: **سلام لكم**.

٢٠: ٢٧ عامـل الـرب تلميـذه غـير المؤمـن بلطف وبصبر. وذلك بدعوتـه إلى التحقّق من حقيقة قيامته، إذ يجعـل يده في الجـرح الذي كانت الحربة قد سـبّبته **في جنب الرب**.

٢٠: ٢٨ اقتنـع **توما**. غير أننـا لا نعلم هل وضع يده فعلاً في جنب الرب. لكنه عرف أخيرًا أن يسـوع قد قام وأنـه **هو الـرب والله** في آن. وقد عـبّر جون بويز *John Boys* عـن هـذا ببراعـة بقوله: "لقـد أقرّ توما بالألوهية التي لم يرَها، من خلال الجروح التي رآها".

٢٠: ٢٩ إن الأمر الهام الذي يجدر بنا ملاحظته هو أن يسوع قبِل العبادة بصفته الله. كان عليه أن يرفض ذلك، لو كان مجرد إنسان. ومن جهة أخرى، لم يكن إيمان توما هذا من الصنف الذي يُرضي الرب أكثرَ إرضاء. كان ذلك بمثابة تصديق مبني على العيان. **فالطوبى هي من نصيب الذين آمنوا ولم يروا.**

وتبقى كلمة الله البرهان الأعظم والأضمن. فنحن نمجّد الله عندما نؤمن بما يقوله؛ إلاّ أننا نهينه بطلبنا المزيد من البراهين. لذا يجدر بنا أن نؤمن بالكلمة، لمجرد أنها كلمة الرب، وهو المنزّه عن الكذب وعن اقتراف أي خطإ.

هـ. *هدف إنجيل يوحنا* (٢٠: ٣٠، ٣١)

لم يدوّن لنا إنجيل يوحنا جميع المعجزات التي صنعها يسوع. بل انتقى الروح القدس تلك الآيات التي تخدم قصده أفضل خدمة.

أمامنا هنا الغرض وراء كتابة يوحنا لهذا السفر. **لقد تمّم ذلك لكي يتسنى لقرائه أن يؤمنوا بأن يسوع هو** المسيّا حقًّا وابن الله. وعلى أساس **إيمانهم** هذا، **سيكون لهم حياة** أبدية **باسمه.**

وأنت، هل آمنت بالرب يسوع بهذا الشكل؟

١٠ـ الخاتمة: ابن الله مع خاصته بعد قيامته (ص٢١)

أ. *المسيح يظهر لتلاميذه في الجليل* (٢١: ١ـ ١٤)

٢١: ١ ينتقل مسرح الأحداث الآن إلى **بحر طبرية** (الجليل). فالتلاميذ كانوا قد رحلوا شمالاً إلى بيوتهم في الجليل. فلاقاهم الرب يسوع هناك. والعبارة «**أظهر أيضًا يسوع نفسه**»، تعني أن يوحنا كان مزمعًا أن يصف الطريقة التي بها ظهر المسيح لتلاميذه.

٢١: ٢ في ذلك الوقت، كان سبعة من التلاميذ بعضهم مع بعض: بطرس، وتوما، ونثنائيل، ويعقوب ويوحنا (ابنا زبدي)، واثنان آخران، لا نعرف مَن هما.

٢١: ٣ قرّر سمعان بطرس أن يذهب ليتصيّد في البحيرة، ووافق الآخرون على الذهاب معه. كان هذا القرار، على ما يبدو، طبيعيًّا جدًّا، مع أن بعض معلّمي الكتاب المقدس يرون أن هذه الرحلة جاءت خارج دائرة مشيئة الله، وأنّها لم تسبقها أية صلاة. وفي تلك الليلة لم يمسكوا شيئًا. لم يكونوا أول دُفعة من الصيادين يبوء مجهودهم، طوال الليل، بالفشل. وهذا إنما يوضح لنا عدم جدوى المجهودات البشرية بمعزل عن المعونة الإلهية، ولا سيّما في ما يختص بصيد النفوس.

٢١: ٤ كان يسوع في انتظارهم عند الصبح، بينما كانوا يجذّفون في اتجاه الشاطئ، إلاّ أنه فاتهم أن يميّزوه. فربما كان الظلام ما يزال مخيّمًا على المكان، أو لعلّ قدرة إلهية حالت دون تعرّفهم به.

٢١: ٥ وكأن الرب طرح عليهم السؤال التالي: "أيها الشبّان، أ في حوزتكم أيُّ شيء من الطعام؟" **أجابوه** بصوت أسيف: **لا.**

٢١: ٦ كان الرب، على حدّ علمهم، مجرّد رجل غريب يسير في محاذاة الشاطئ. لكن، في تجاوبهم مع نصيحته، أقدموا على إلقاء الشبكة إلى جانب السفينة الأيمن، فأمسكوا، ويا للعجب، كمية كبيرة

جدًّا من السمك، حتى لم يعد بوسعهم سحب الشبكة إلى الشاطئ. وهذا يُظهر أنه كان لدى الرب يسوع المعرفة الكاملة بمكان توافر السمك في البحيرة. كما أننا نتعلم من هذا أنه متى قام الرب بتوجيه خطّ سير خدمتنا، لا يعود للشباك الفارغة أي مكان. فهو يعرف مكان وجود النفوس المهيّئة لنوال الخلاص، كما أنه حاضر لتسديد خطواتنا في اتجاههم، إن نحن سمحنا له بذلك.

٢١: ٧ كان يوحنا أول من ميّز الرب، ثم سارع إلى إعلام بطرس بالأمر. فاتّزر هذا الأخير بثوبه الخارجي، وسار نحو الشاطئ. ولا يذكر لنا السياق هل اعتمد في ذلك أسلوب السباحة، أو التخويض، أو المشي على الماء (كما ارتأى بعضهم).

٢١: ٨ أمّا التلاميذ الآخرون فانتقلوا من سفينة الصيد الكبيرة إلى مركب تجديف صغير، وهكذا جرّوا الشبكة مسافة المئة متر تقريبًا التي كانت تفصلهم عن اليابسة.

٢١: ٩ كان المخلّص قد جهّز لهم طعام فطورهم أفضل تجهيز، وكان يتألف من سمك مشوي وخبز. ونحن لا نعلم هل كان الرب قد اصطاد هذا السمك، أو حصل عليه بشكل معجزي. لكننا نتعلم أنه لا يعتمد على مجهوداتنا الهزيلة. ففي السماء سنتعلم، ولا شك، أنه فيما نال العديد من الناس الخلاص من طريق الكرازة بالإنجيل والشهادة الشخصية، يبقى أن ثمة بعض القوم خلصوا بواسطة الرب نفسه ومن دون أية معونة بشرية.

٢١: ١٠ والآن دعاهم إلى سحب الشبكة التي تحوي السمك، لا لإعداده، بل بالحري لعدّه، كانوا بفعلهم هذا سيتذكرون "أنّ سرّ النجاح يكمن في العمل طوع أمره، والتحرّك على أساس الطاعة المطلقة لكلمته".

٢١: ١١ يحدّد لنا الكتاب المقدس بالتمام عدد السمك داخل الشبكة: مئة وثلاث وخمسون سمكة. لقد عُرضت عدة تفاسير ممتعة تتعلق بمعاني محتملة لهذا الرقم: (١) كان ذلك عدد اللغات المنتشرة في العالم في ذلك الزمن. (٢) عدد الشعوب والقبائل في العالم التي ستصل إليها شبكة الإنجيل. (٣) عدد الأنواع المختلفة من السمك في بحر الجليل، أو في العالم. إنّما هذا الرقم يلمّح، ولا شك، إلى تنوّع أولئك الذين يخلصون بواسطة الكرازة بالإنجيل: إنهم ينتمون إلى كل شعب وأمّة وقبيلة. لقد استغرب الصيادون ألاّ تكون هذه الشبكة قد تخرّقت. وفي هذا برهان إضافي على أنّ "عمل الله الذي نتممه على طريقة الله، لن يفتقر أبدًا إلى الموارد الإلهية". فالله سيسهر على صون الشبكة من التخرّق.

٢١: ١٢ لبّى التلاميذ الدعوة إلى تناول الطعام، وهكذا التفّوا حول الجمر للمشاركة في الخير الذي أعدّه لهم الرب. ولا بدّ من أن يكون جمر النار هذا، قد بعث في ذهن بطرس أفكارًا معيّنة. فهل ذكّره، يا ترى، بالنيران التي كان يصطلي قربها عندما أنكر الرب؟ ومن جهة أخرى، كان يعتري التلاميذ شعور غريب من الرهبة والمهابة في محضر الرب. فها هو الآن يقف قبالتهم بجسده المُقام. كما أن أسئلة كثيرة احتشدت،

ولا شك، في أذهانهم، وكانوا يودّون طرحها على الرب، غير أنهم لم يكونوا ليتجرّأوا على ذلك. لقد عرفوا أنه الرب، على الرغم من شعورهم بأن شيئًا من الغموض كان يكتنف شخصه المجيد.

٢١: ١٣ والآن قدّم لهم يسوع الطعام. ولعل هذا ذكّرهم بحادثة أخرى مشابهة، عندما أشبع الرب خمسة آلاف رجل بواسطة التّزر القليل من الخبز والسمك.

٢١: ١٤ إنها المرة الثالثة التي يظهر فيها يسوع لتلاميذه، كما يذكر لنا يوحنا. كما أن الأناجيل الأخرى تحدّثنا عن ظهورات أخرى. أمّا في هذا الإنجيل، فكان الرب قد ظهر لتلاميذه عشية يوم القيامة، ثم بعد ذلك بأسبوع، والآن عند شاطئ بحيرة الجليل اللازورديّة.

ب. ردّ نفس بطرس (٢١: ١٥-١٧)

٢١: ١٥ اهتم الرب بادئ ذي بدء باحتياجات تلاميذه الجسدية. ثم بعد أن أكلوا، توجّه الرب إلى بطرس لمعالجة بعض المسائل الروحية. فبطرس كان قد أنكر الرب جهارًا ثلاث مرات. ومنذ ذلك الحين، كان قد تاب وعاد إلى الشركة مع الرب. وفي هذه الأعداد، يقوم الرب بردّ نفس بطرس علنًا.

غالبًا ما أُشير إلى استخدام كلمتين مختلفتين للمحبة في هذا العدد. وهكذا بإمكاننا إعادة صياغة العدد ١٥ على النحو التالي: "**يا سمعان بن يونا، أتحبني أكثر ممّا يحبني هؤلاء التلاميذ الآخرون؟**" قال له: "**نعم يا رب، أنت تعلم أني مولع بك**". فبطرس لن يعود إلى الاعتزاز بأنه سيبقى أمينًا للرب، ولن يتخلى عنه أبدًا، حتى لو خان العهد جميع التلاميذ الآخرين وتخلّوا عنه. لقد تعلّم درسه. قال له الرب يسوع: ارعَ **خرافي**. (**أصلاً حملاني**). فرعاية الصغار في قطيع الرب تبقى من الأساليب العملية جدًّا لإظهار محبتنا له. والجدير ذكره أن الحديث تحوّل عن صيد السمك إلى رعاية الخراف. لقد صار الآن يوصي بالتعليم وبالعناية الراعوية، بعد أن كان يشير قبلاً إلى خدمات التبشير.

٢١: ١٦ عاد الرب، **ثانيةً**، يسأل بطرس هل يحبه. فردّ عليه بطرس هذه المرة أيضًا، معربًا، بكل صدق، عن عدم إركانه إلى قدراته الذاتية: "أنت تعلم أني مولع بك". وهذه المرة، **قال له** الرب: «**ارعَ غنمي**». فقطيع المسيح يتألف من خراف أو حملان، ومن غنم أيضًا؛ وهم جميعهم في حاجة إلى عناية مبنية على المحبة من قِبَل أشخاص يحبّون الراعي الصالح، ربنا يسوع.

٢١: ١٧ وكما أن بطرس كان قد أنكر الرب ثلاث مرات، هكذا أُعطي أيضًا ثلاث فرص للاعتراف به. وهذه المرة، استعان بطرس بحقيقية أن يسوع هو الله، وبالتالي يعرف **كل شيء**. لذا **قال له ثالثة**: "**أنت تعرف أني مولع بك**". وعلى أثر ذلك، أخبره الرب، وللمرة الأخيرة، أنّ باستطاعته برهان ذلك برعاية **غنم** المسيح. أمّا الدرس وراء هذا النص فهو أن المحبة للمسيح تبقى الدافع الوحيد المقبول لخدمته.

ج. يسوع يتنبأ بشأن موت بطرس (٢١: ١٨-٢٣)

٢١: ١٨ عندما كان بطرس **أكثر حداثة**، كان يتحرك بكل

حرية. كان يمضي إلى **حيث يشاء**. لكن الرب بلّغه هنا، أنه في نهاية حياته سوف يُعتقَل، ويقيَّد، ومن ثم يُقتل.

٢١: ١٩ هـذا العدد يفسّـر العدد ١٨. فبطرس كان بموته كشهيد، سيمجّد الله. فالذي كان قد أنكر الرب سـيُمنح الجـرأة اللازمة لبذل حياته في سـبيله. وهذا العدد يذكّرنا أنّ بوسـعنا تمجيـد الله في الموت كما في الحيـاة. وبعد هذا خاطبه يسـوع بالقول: «**اتبعني**». وبقوله هذا، لا بدّ من أنه كان قد بدأ بمغادرة المكان.

٢١: ٢٠ كان بطرس، على ما يبدو، قد شـرع باتّباع الـرب، لكنـه **التفت ونظـر** يوحنا يتبعه أيضًـا. وهنا، يتوقّف يوحنا قليلاً عن السرد لكي يعرّف نفسه بصفته الشخص **الذي اتكأ على صدر يسوع وقت عشاء** الفصح، ليسأله عن اسم الذي كان سيسلّمه.

٢١: ٢١ عندمـا رأى **بطـرس** يوحنـا، لا بـدّ من أنه تبادر إلى ذهنه السـؤال: «**وهـذا** (يوحنا)، **ما له**؟ فهل سيموت هو أيضًا كشهيد؟ أم سيبقى على قيد الحياة، وذلـك إلى حين رجوع الرب؟» لقد أراد أن يسـتفهم من الرب بشأن مستقبل يوحنا.

٢١: ٢٢ أجاب الرب أنه لم يكن لبطرس أن يهتم بآخرة يوحنـا. فعليه ألاّ يتأثّر بما يحصـل ليوحنا، حتى لو بقي حيًّا حتى مجيء المسـيح ثانيـة. إن الكثير من الإخفاق والفشل في الخدمة المسيحية يُعزى إلى انشغال التلاميذ بعضهم ببعض أكثر من انشغالهم بالرب نفسه.

٢١: ٢٣ اقتبس الناس كلمات الرب هذه، لكن ليس بشـكلها الصحيح. فالرب **لم يقل** إن يوحنا سـيكون على قيد الحياة لدى رجوعه. بل اكتفى بالقول: "حتى لو صحّ ذلك، فلِـمَ كان ذلك يؤثر في بطرس؟". كما أن كثيرين استوقفتهم حقيقة أن يسوع ربط هنا يوحنا بمجيئه الثاني، مع العلم أن يوحنا هو الذي أُعطي امتياز تدوين «إعلان يسوع المسـيح» أي سفر الرؤيا الذي فيه وصف الأزمنة الأخيرة بكل تفصيل.

د. *شهادة يوحنا الختامية ليسوع* (٢١: ٢٤، ٢٥)

٢١: ٢٤ أضاف يوحنا شهادة شخصية لصدق الأمور الـتي كتبها. وآخرون يرون في هذا ختم الشـيوخ في كنيسة أفسس، وموافقتهم على إنجيل يوحنا.

٢١: ٢٥ نحـن لا نخـاف أن نفهـم العـدد ٢٥ بمعناه الحرفي. فيسـوع هـو الله، وبالتالي لا محدود. فما من حـدود لمعنى كلماته ولا لعـدد أعماله. فإبان وجوده هنا على الأرض، كان ما يزال هو الحامل كل الأشياء: الشـمس، والقمر، والنجوم. فمن باستطاعته وصف كل ما يتضمّنه الإبقاء على حركة الكون بأسره؟ حتى المعجـزات التي صنعها الرب علـى الأرض، لا تعرض علينـا إلاّ نخة بسـيطة عن قـدرة الرب. ففـي عملية شفاء بسيطة، تأمّل في الأمور التي بسط الرب سيطرته عليها من أعصاب، وعضلات، وخلايا دموية، وغيرها من الأعضـاء الأخرى. وتأمّل أيضًا في سـلطانه على الجراثيم، والأسماك، وسـائر الحيوانـات. كذلك فكّر في قيادته لشئون الناس، وأيضًا في ضبطه لكل ذرّة لمواد هذا الكون. إذًا، هل يسـتطيع **العالم نفسـه** أن **يسـع الكتـب** اللازمة لوصف هـذه التفاصيل كلّها؟ الجواب هو بالتأكيد: كلا.

وبهذا نصل إلى نهاية تفسيرنا لإنجيل يوحنا. وربما أصبحنا الآن ندرك، أكثر من قبل، السبب الذي جعله من أكثر الأسفار المحبّبة في الكتاب المقدس. ففي الواقع، ما من أحد يقدر أن يقرأ هذا الإنجيل بتمعُّن وبروح الصلاة، من دون أن تسبيه من جديد محبّةُ الربّ، المُبارك الذي يقدّمه هذا الإنجيل.